الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

عدول حروف المعاني الجارّة في السّياق القرآني وأثره البلاغي

ـ دراسة نظرية تطبيقية ـ

ـ مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في إعجاز القرآن والدراسات البيانية ـ

إعداد الطالب:
ميلود عمارة

إشراف الدكتور:
صالح خديش

لجنة المناقشـــــة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
	رئيسًا		
صالح خديش	مشرفًا ومقرّرًا	أستاذ محاضر	المركز الجامعي -خنشلة-
	عضوًا		
	عضوًا		

السنة الجامعية: 1431هـ - 1432هـ/ 2010 م - 2011 م.

جامعة الأمير بدر للعلوم الإسلامية

إهـــداء

إلى نَبْعَيْ الرّحـــمة و الحَنان؛ أمّي الحنون، أبي الغالي

إلى سواعـــد الشّمـائل والأيمـان؛ إخـوتي:

مـــحمّـد، مصبـــاح، يوســـف

إلى كـلّ من خلصت نيـــّته

في مدارســـة الفُـرقـــان

إلى كلّ هـؤلاء أهـدي هذا العمل المتواضع.

الطالب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

الحمد لله الجليل ثناؤه، الجزيل عطاؤه، أحمده على ما أسبغ من النعمة وأظهر من المنّة وأسبل من السّتر، ويسَّر من العسر، وقرَّب من النّجاح، وقدر من الصّلاح، أحمده على آلائه، وأشكره على نعمائه.

أحمده ربي على ما منحني من جهد، وأعانني ويسَّر لي لإتمام هذا البحث، فله الحمد كلّه، أوَّله وآخره، ظاهره وباطنه، له الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرِّضى، وله الحمد على كل حال.

وإقرارا بالجميل أسجِّل بمداد العرفان جميل الشُّكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل: الدكتور/ صالح خديش ــ حفظه الله ــ على تفضُّله بالإشراف على هذا البحث، فجزاه الله عني خير ما يجزى معلِّما عن طالبه، ورزقه الإخلاص، ونفع بعلمه الطلاب والباحثين.

كما يسرني أن أتقدم بوافر الشُّكر والامتنان ــ سلفا ــ إلى السَّادة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة الموقَّرة؛ لتفضُّلهم بقبول مناقشة هذه المذكّرة، أسأل الله أن يوفقهم لما فيه الخير والصلاح، وأن ينفعني بتوجيهاتهم القيّمة التي من شأنها أن تزيد البحث تنقيحًا وإثراءً.

وأخص بالشّكر الدكتورة ذهبية بورويس التي لم تدّخر جهدا في الإجادة والإفادة، وأيضا الدكتورة سكينة قدور ناصحة ومرشدة، أطال الله عمرهم في خدمة العلم.

الطالب

مُقَدِّمَة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ـ مُقَدِّمَة:

الحمد لله ربّ العالمين، وعليه أتوكّل، وبه أستعين، وأصلي وأسلّم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّ أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، وأحرى ما يتسابق في حلْبة سباقه المتسابقون؛ كتاب الله ﷻ الذي أودعه الحكم والأسرار، فكان علَم الهدى والنّور، تحدّى الله ﷻ النّاس جميعا أن يأتوا بسورة من مثله فأبلسوا وعجزوا، لتبقى ألفاظه ومعانيه خالدة على مرّ العصور وتعاقب الأزمان فمهما توالت عنه الأفهام، ونَهَلت من مَعينه الفئام؛ لا تنقضي عجائبه وأسراره، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا شكّ أنّ هذا دليل إعجازه الأزليّ، الذي أُبلِست لرفعته فرسان الفصاحة وأرباب البيان.

ولهذا كان إعجاز القرآن المتعلّق ببيانه السَّاحر، وبلاغته العصماء؛ أشرف ما بُذلت له الأوقات، وأسمى ما سالت لقَيده المداد، لتعلُّقه بكتاب الله تعالى وفهمه، واستكناه أسراره وحِكمه. لأنّ الله ﷻ جعل القرآن نورا وهدى لمن تدبّره، وصرَف إليه فِكْره، وحدّق نظر قلبه إلى معانيه، ولم يصرِف عنه فِكْره، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمّد: 24].

وقد حَظِي علماء البلاغة قديما وحديثا بنصيب وافر من تتبع لأسرار هذا الوحي الإلاهي؛ إبرازا لوجوه الإعجاز البياني الخالد، متخذين من هذه العناية أشكالا كثيرة؛ منها ما يرجع إلى لفظه وآدائه، وأخرى إلى تأويله ومعناه، ومنها إلى أسلوبه وإعجازه، وغيرها.

ومما يلفت أنظار المتدبّرين؛ هو دقّة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ والتراكيب، وشدّة مناسبتها للسّياق الواردة فيه، وهذا ما عُرف بالنّظم البلاغي الذي انفرد به أسلوب التعبير القرآني؛ بمعانيه النّحوية، ونُكته البلاغية، ولطائفه المعنوية، وأسراره البيانية ((والأعجب أنه مع كونه أكثر الكلام افتنانا وتنويعا في الموضوعات، هو أكثره افتنانا وتلوينا في الأساليب في الموضوع الواحد. فهو لا يستمرّ طويلا على نمط واحد من التعبير، كما أنّه لا يستمرّ طويلا على هدف واحد من المعاني ألا تراه حين ينتقل من السّورة الواحدة من معنى إلى معنى؛ ينتقل في المعنى الواحد من إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار...إلى غير ذلك من طرق الأداء، على نحو من السُّرعة لا عهد لك بمثله

ولا بما يَقْرُب منه في كلام غيره قطّ. ومع هذه التحوّلات السّريعة المستمرّة التي هي مظِنَّة الاختلاج والاضطراب، بل مظِنَّة الكَبوة والعِثار، في داخل الموضوع أو في الخروج منه؛ تراه لا يضطرِب ولا يتعثّر، بل يحتفظ بتلك الطّبقة العليا من مَتانة النّظم، وجَودة السَّبك حتى يسوغ من هذه الأفانين الكثيرة مَنظرا مُؤتلفا... »[1]

2 ــ موضوع البحث:

بناءً على ما سبقت الإشارة إليه، وفي خضمّ هذه الفوائد جاءت هذه الرّسالة كاشفة لظاهرة بيانيّة أسلوبيّة كثُر شيوعها في القرآن الكريم، وهي ظاهرة مخالفةِ حروف المعاني الجارّة مقتضى ظاهر استعمالها، حيث نرى أنّ التّعبير القرآني يُؤْثِر حروف جرّ عن أخرى، في سياقات معيّنة، إذ نجده يستعمل الحرف لدلالة مقصودة في السّياق، ثم يعدل عنه إلى حرف آخر في السِّياق نفسه كما نلحظ في التّعبير القرآني تَعدية بعض الأفعال بحروف تَنْدُر أو تقِلّ تعلّقها بها في شهرة الاستعمال؛ اقتضاءً لمتطلَّبات السِّياق، مما يدعو ذلك إلى التدبُّر وإعمال الفَهم لإدراك ما وراء هذا العدول من مقاصد ودلالات.

وقد عنونته بـــ: "عدول حروف المعاني الجارّة في السّياق القرآني، وأثره البلاغي ــ دراسة نظرية تطبيقية ــ".

3 ــ أهمّية الموضوع:

تتجلّى أهمية هذا البحث في كونه « لطيف المأخذ، دقيق المغزى، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصّناعة تَعرّض إليه، ولا ذَكَرَه، وما أقول إنّهم لم يعرفوه، فإنّ هذا النّوع من الكلام أشهر من أن يخفى، لأنّه مذكور في كتب العربية جميعها. »[2]، فمَكْمَن الأهمية فيه أنّ حروف المعاني الجارّة ــ معْ كَثرة شيوع الدّراسات النّحوية عليها ــ استأثرت بلطائف في التراكيب، وبلاغة في الاستعمال، تُبْرِز وجها من وجوه الإعجاز البياني.

إضافة إلى ندرة التأليف في مثل هذا الموضوع لدقّة مسلكه، ولتعلّقه بفقه الدّلالة، وغموضه عن بعض المصنّفين.

---

(1) ــ النبأ العظيم، عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، (د ط)، ص144.

(2) ــ المثل السائر، ابن الأثير، ج2، ص227.

كما زادت أهمية الموضوع لَمّا عُلّق العدول بالسّياق القرآني؛ الحاكم القويّ في توجيه دلالات الألفاظ.

4 ــ أسباب اختيار الموضوع:

لقد شدَّ اهتمامي لهذا الموضوع أسباب ودوافع كثيرة، أوجز أهمّـــها فيما يلي:

ــ رغبتي في اكتشاف بعض كنوز هذا الكتاب العظيم، وخاصّة ما تعلّق بسبْك نظمه، ودقّة ألفاظه وجلالة معانيه، إذ قد تاه أكثر علماء الإعجاز البياني في المصطلحات البلاغية؛ لهذا لم يَعُد واضحا لعامّة النّاس أثر الإعجاز البياني وأهميَّته.

ــ كون هذه الدِّراسة تكشف عن ظاهرة لغويّة بيانيّة؛ وهي عمليّة العُدول والتي تلفت نظر المتأمّل في القرآن الكريم؛ يكشفُ تأمُّله عن سرٍّ من أسرار المعاني في القرآن الكريم الكامِنة في نظمه السَّاحر، وبيانه الخالد، وإعجازه المتجدِّد على مرِّ العصور، وتعاقب الأزمان.

ــ هذا الموضوع فيه دراسة للعلاقات الرّوحية بين معاني حروف الجرّ؛ في تراكيبها المختلفة وهذه العلاقات هي الوجوه التي يُتصوَّر بها المعنى؛ ليس المعنى المعجمي؛ وإنما المعنى السّياقي.

ــ لأنّ حروف الجرّ لديها قدرة كبيرة على وصل الكلام، وأنَّ لها معاني تخرج بها عن عملها النَّحوي إلى المعنى البلاغي وأسراره البيانية؛ ولا يمكن تفهُّم ذلك إلا بدراسة العدول إلى أحرف دون أخرى تبعا للسّياقات والمقاصد.

ــ بيان أسرار اللّغة العربية، وقدْرها، وشرفها، وما حَوَته من طُرُق الإيجاز، ولطائف المعاني وضروب الاتّساع، ولعلّ موضوع هذا البحث سيحظى بنصيب وافر من هذا الباب.

ــ اخترت حروف الجرّ دون غيرها من حروف المعاني، لأنَّها أكثر شيوعا في القرآن، وأنها أكثر ما تبرُز فيها هذه السِّمة البلاغية في القرآن الكريم، ومن جهة أخرى توخِّيا للحجم المناسب للبحث.

5 ــ الهدف من البحث:

تهدف هذه الدّراسة إلى التعريف بظاهرة العدول اللّغوية، ثم بيان الأثر البلاغي لاستعمالات حروف الجرّ في السّياق القرآني، وإبراز التغيّر الدّلالي إثر عملية العدول في حروف الجرّ، وذلك ضمن دراسة نظرية للعدول وكذا السّياق القرآني، ثم تطبيقية على القرآن الكريم بهدف بيان المواطن التي تجلّت فيها هذه الظاهرة وأثرها البلاغي، لتتّضح بذلك قيمتها البيانية.

6 ــ إشكالية البحث:

وفاقا لطبيعة هذا البحث، يمكن صوغ إشكالية هذا البحث في التّساؤلات الآتية:

ـــ إلى أي مدى تؤثّر عمليَّة عدول حروف الجرّ في الدّلالة ؟

ـــ هل كان مصدر استقاء معاني الحروف الجارّة من المعاجم؛ أم من السِّياق والتَّركيب المتكامل ؟

أو بعبارة أخرى: ما مدى تأثير السِّياق القرآني في تحديد معاني الحروف الجرّ ؟

ـــ هل كان عدول حروف الجرّ في القرآن الكريم مجرّد إمتاعٍ وتَطرِيَة لنشاط السّامع، أم جاوزه إلى أغراض بلاغيَّة ونُكات بيانية ؟

ـــ هل يناسب القول بتناوب حروف الجرّ بلاغة القرآن الكريم ؟

هذا ما أرجوا الإجابة عنه في هذا البحث بإذن الله ﷻ.

7 ـــ الدّراسات السابقة:

إنّ موضوع حروف المعاني الجارّة لم يُدرس؛ إلا أن تكون دراسات نحوية متعلِّقة بحروف الجرّ ومعانيها تابعة لقسم النّحو والصرف، كما توجد هناك دراسة لحروف المعاني الجارّة من جهة علم التفسير وهي رسالة ماجستير بعنوان: أثر دلالات حروف المعاني الجارّة في التفسير ـــ دراسة نظرية وتطبيقية على سورتي آل عمران والنّساء ـــ مقدَّمة لكلية الدّعوة وأصول الدين بجامعة أمّ القرى من الباحث: علي بن مناور بن ردّة الجهني، وأمَّا من جهة وظيفتها الدِّلالية المعنوية؛ وهي المساهَمة في تحديد دلالة السِّياق؛ وتحديدا العدول عن استعمال حروف جرّ معيّنة في سياقات معينة، لم أجد بحثا جمع ذلك ـــ وهذا في حدود علمي ـــ

8 ـــ المنهـــج المتّـــبع:

نظرا لطبيعة هذا البحث، فقد سَلَكْت المنهج الوصفي التحليلي، وهو كفيل بإبراز ظاهرة العدول اللّغوية، وتجلّياتها في الدّرس البلاغي.

كما التزمت خلال البحث كلّه بما يلي:

أوّلا: عزوت الآيات بأرقامها إلى سورها، حيث التزمت في كلّ نهاية آية ذكر اسم السّورة مع رقم الآية ووضعها بين قوسين، فمثلا: عزو الآية السابعة من سورة البقرة يكون بالشكل الآتي: [البقرة: 7].

كما اعتمدت رسم المصحف العثماني برواية حفص عن عاصم، في جميع الآيات الواردة في ثنايا البحث، إلا عند إيراد الكلمات المقتبَسة من القرآن الكريم.

ثانيا: وثّقت النصوص المنقولة من مصادرها، وذلك بذكر اسم المصدر، أو المرجع، ثم مؤلّفه، ودار النّشر، ومكانه، ثم الطّبعة، والسَّنة، يلي ذلك الجزء، والصّفحة.

وإن لم أعثر على النصّ من مصدره الأصلي عَزَوْته إلى المصدر الثانوي الذي نقل عنه.

ثالثا: حاولت اعتماد الرتيب الزمني عند الإحالة إلى أكثر من مصدر أو مرجع في الحاشية.

رابعا: قُمت بتعريف الأعلام غير المشهورين تعريفا موجزا، و لم أعرّف من لم أنقل عنه، كما لا أشير لمن سبقت ترجمته.

خامسا: في حالة حذف لبعض النصّ، أو بتر لكلام منقول أشير إلى ذلك بنقاط: "..."

سادسا: وضعتُ الكلام المنقول عن أصحابه بين علامتي تنصيص: « »، وقد توضع أيضا من غير ذِكر: "قال فلان"، وذلك حسْب المقام، وإذا لخّصت الكلام أو تصرّفت في لفظه دون معناه، فإني أقول في الحاشية: ينظر كذا.

سابعا: ظبطت الأبيات الشّعرية بالشّكل، وعزوتها إلى مصادرها الأصلية ما أمكن، وإن تعذّر ذلك فالمصادر اللّغوية الأخرى.

ثامنا: قمتُ بتمهيد عند افتتاح الدّراسة التطبيقية يبيّن المنهج الذي اتبعته فيها، وآثرتُ أن يكون ذلك هناك لأنّه بها أعلق ولها أخصّ.

10 ــ خطّـــة البحث:

تشتمل خطّة هذا البحث على مقدّمة، وقسمين، وخاتمة.

أمّـــا القسمان فأولاهما الدراسة النظرية، وتشمل فصلين:

الفصل الأول: وخصصته لظاهرة العدول وحروف الجرّ، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وعرّفت فيه العدول لغة واصطلاحا، كما أوضحت علاقة العدول بأصل المعنى، أمّا المبحث الثاني؛ فتطرّقت فيه لظاهرة العدول في البحث البلاغي، وتحديدا علاقة العدول بنظرية النّظم البلاغي، وذكر الظّواهر الأسلوبية التي تَشَكَّل فيها مفهوم العدول، وعلاقة منهج العدول في البلاغة العربية بمنهجه في علم الأسلوب الحديث، وفي المبحث الثالث بيّنت حروف الجرّ، وعدَّها وأهمّ معانيها ومسمّياتها، وكذا أنواعها، كما تناولت أثر حروف الجرّ في فهم معاني القرآن الكريم، وأيضا أثرها في إبراز بلاغة القرآن، وختمت هذا المبحث ببيان تجليّات ظاهرة عدول حروف الجرّ في القرآن الكريم.

أمّا الفصل الثاني فجعلته للسّياق القرآني وأثره في معاني حروف الجرّ، وقسّمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: وتناولت فيه تعريف السّياق القرآني؛ أركانه، وأنواعه، أمّا المبحث الثاني فتطرّقت فيه لأهمية السّياق القرآني، وكذا عناية العلماء به، وفي المبحث الثالث أوضحت أثر السّياق في إبراز معاني حروف الجرّ، وختَمت هذا الفصل ببيان ظاهرة التناوب والتضمين في حروف الجرّ.

أما القسم الثاني من هذا البحث وهو الدّراسة التطبيقية واشتملت على صور عدول حروف المعاني الجارّة في السّياق، ومجالها القرآن الكريم.

ثم الخاتـــمة، وفيها أهمّ نتائـــج البحث.

وقد ذيّلت هذه الرسالة بـــفهارس عامّة، وفق الترتيب الآتي:

ـــ فهرس الآيات القرآنية.

ـــ فهرس الأعلام المترجَم لهم.

ـــ فهرس الأبيات الشعرية.

ـــ ثبت المصادر والمراجع.

ـــ فهرس المحتويات.

ـــ أهمّ صعوبات البحث:

لا جرم أنَّ من أقبل على عمل قبل أن يسبر غوره على نحوٍ دقيق يحدّد معالمه؛ فإنه سيجد في طريقه بعض الصعوبات والعقبات التي تشتت عن الباحث فكره، وتعرقل سيره، من هذا المنحى واجهتني في هذا البحث بعض الصّعوبات يرجع جوهرها إلى طبيعة هذا الموضوع، أذكر منها:

أوّلا: ندرة التصنيف في موضوع عدول حروف الجرّ خصوصا، مما يدفع الباحث إلى نوع من الاستقلالية في تناول هذا البحث تنظيرا وتطبيقا، وهذا مكمن خطير على هذا البحث.

ثانيا: عدم ضبط المقاييس البلاغية لحروف الجرّ وذلك لاعتمادها ملكة الذّوق اللّغوي، والحسّ البياني، مما حدا بالباحث إلى الاجتهاد في استخراج الصور التي يتشكّل فيها مفهوم العدول.

ثالثا: عدم توفّر بعض الكتب الهامّة، التي من شأنها أن تخدم هذا الموضوع أكثر مما هو عليه، فلم أجدها في المكاتب ولا عبر الشبكة العنكبوتية، خاصة كتابي: من أسرار حروف الجرّ في الذِّكر الحكيم، محمد أمين الخُضري، وتناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم، محمد حسن عوّاد.

وفي الأخير أسأل الله ﷻ بمنّه وجوده وكرمه؛ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، ونافعا لكلّ من قرأه والله أسأل أن يعلمَنا ما ينفعنا وينفعَنا ما علمنا ويزدنا علماً، والحمد لله ربّ العالمين.

ـــ وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ـــ

القسم الأول:

الـــدّراسة النّظريـــة

الفصل الأول: ظاهرة العدول وحروف الجرّ

الفصل الثاني: السّياق القرآني وأثره في معاني حروف الجرّ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـــصل الأوّل:

ظاهرة العدول وحروف الجرّ.

المبحث الأول: العـــدول مـــصطـــلحـــا.

المبحث الثاني: ظاهرة العدول في البحث البلاغي.

المبحث الثالث: حروف الجرّ وعدولها في القرآن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأولّ: العدول مصطلحا

تناول هذا المبحث إيضاح مصطلح العدول في اللّغة، ثم حاول كشف مفهومه الاصطلاحي وخُتم بعلاقة العدول وأصل المعنى، وفق الترتيب الآتي:

المطلب الأول: تعريف العدول لغة.

المطلب الثاني: تعريف العدول اصطلاحا.

المطلب الثالث: العدول وأصل المعنى.

المطلب الأول: تعريف العدول لغةً

إنَّ تتّبع مصطلح"العُدول" لغويا، واستقصاء دلالته المعجمية، يحتّم علينا الرّجوع إلى ما قاله أئمّة اللّغة في هذا المصطلح، ويمكننا بذلك رصد أقوال بعض اللّغويين في مصطلح "العدول":

قال ابن فارس [1]: « العَينُ والدّالُ واللّامُ أصلان صحيحان، لكنّهما متقابلان كالمتضادَين أحدهما يدلّ على استواء، و الآخَر يدلّ على اعوجاج.

وقال: عَدَلَ وانْعَدَلَ: أي انْعَرَجَ، قال ذو الرُّمّة [2]:

وإنِّي لأُنْحِي الطَّرْفَ مِنْ نَحْوِ غَيْرِهَا حَيَاءً وَلَوْ طَاوَعْتُهُ لَمْ يُعَادِلِ. » [3]

وقال ابن منظور[4]: « عَدَلَ الحاكِمُ في الحُكم يَعْدِلُ عَدْلًا وهو عَادلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ ورَجُلٌ عَدْلٌ: مُقنِعٌ في الشَّهادة... » [5]

وقال: « عَدَلَ عن الشّيء يَعْدِلُ عَدْلا وعُدُولاً: حادَ...وعَدَلَ إليه عُدُولاً: رجَعَ.

---

(1) ــ هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي،كان من أئمة اللغة، رأسا في الأدب، جوادا كريما، له كتاب المجمل، معجم مقاييس اللغة، مات سنة 395هـ، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ج17، ص103، وبغية الوعاة، ج1، ص352.

(2) ــ هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، أبو الحارث، ذو الرمّة؛ شاعر من فحول الطّبقة الثانية في عصره، ولد سنة77هـ، وكان شديد القصر، دميما، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، توفي بأصبهان سنة117هـ، له ديوان شعر مطبوع، انظر ترجمته في: الأعلام، ج5، ص124.

(3) ــ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د ط)، ج4، ص246-247.

(4) ــ هو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن منظور الأنصاري المصري، ولد سنة 630هـ، كان فاضلا في الأدب، عارفا بالنّحو واللغة والتاريخ والكتابة، ولِيَ قضاء بغداد، وكان صدرا رئيسا، اختصر تاريخ دمشق، مات سنة711هـ انظر: البغية، ج1 ص248.

(5) ــ لسان العرب، ت: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1426هـ- 2005م، ج6، ص514.

يقال: وهو يعدِّلُ أمره ويعادِلُه إذا توقّف بين أمرين أيّهما يأتي يريد أنهما كانا عنده مستويين لا يقدِر على اختيار أحدهما ولا يترجَّح عنده، وهو من قولهم عَدَلَ عنه يَعْدِلُ عُدولاً إذا مال كأنَّه يميل من الواحد إلى الآخر، قال المرَّار[1]:

فَلَمَّا أَنْ صَرَمْتُ، وَكَانَ أَمْرِي   قَوِيماً لَا يَميلُ بِـــهِ العُدُولُ. »[2]

وقال الفيروزأبادي[3]: « العَدْلُ: كالعَدالَة، والعُدُول، والمعدِلَة، والمعدَلَة. عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عَادل وعَدْل بلفظ الواحد... »[4]

وقال الجـــوهري[5]: « العَدْلُ خلاف الجَوْر، يقال عَدَلَ عليه في القضية فهو عَادِل...والعَدِيل الذي يُعَادِلُك في الوزن والقَدْر، يُقالُ فلانٌ يُعادِل أمرَه عِدَالا ويُقَسِّمُه، أي يُمَيِّلُ بين أمرين أيُّهما يأتي، قال ابن الرِّقاع [6]:

فَإِنْ يَكُ فِي مَنَاسِمِهَا رَجَاءٌ   فَقَدْ لَقِيَتْ مَنَاسِمُهَا الْعِدَالَا. [7] »[8]

ومنه سُمّيَ العَدْلُ في الأسماء: وهو أن تريد لفظا فتَعْدِل عنه، كعُمر من عامر، والفيصل في معرفة دلالة كلّ من المعنيين هو سياق الكلام، وقد ورد المعنيان في القرآن الكريم، قال تعالى:

---

(1) ــ هو المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي أبو حسان؛ شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية، وكان مُفْرِط القِصَر ضئيلا، نِسبتُه إلى"فَقَعْس" من بني أسد بن خُزيمة، انظر: الأعلام، ج7، ص199.

(2) ــ لسان العرب، ج6، ص518.

(3) ــ هو محمّد بن يعقوب بن محمّد الشيرازي الفيروزأبادي، ولد سنة 729هـــ، تفقّه ونَظَرَ في اللغة،كان كثير المطالعة صنَّف القاموس المحيط، والرّوض المسلوف، وغيرها، مات سنة 816هـــ، انظر: بغية الوعاة، ج1، ص273.

(4) ــ القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، (د ط)، ج4، ص13.

(5) ــ هو إسماعيل بن حمّاد الجوهري، من أذكياء العالم، وكان يُضرب به المثل في جودة خطّه، أخذ عن خاله إبراهيم بن إسحاق، وعن أبي سعيد السّيرافي، وعن أبي علي الفارسي، مات سنة 393هـــ، انظر: بغية الوعاة، ج1، ص446- 448.

(6) ــ هو عَدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرّقاع، من عاملة، شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنّى أبا داود،كان معاصرا لجرير مُهاجيا له، لُقّب بشاعر أهل الشّام، مات بدمشق سنة 95هـــ، له ديوان الشعر مما جمعه ثعلب... انظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص221.

(7) ــ ينظر: ديوان عدي بن الرقاع، ص93، وقد اعتمد جامِعُ الديوان في هذا البيت؛ لسانَ العرب لابن منظور.

(8) ــ الصّحاح، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، القاهرة، 1376هـــ- 1956م، ج5، ص1760 - 1761.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ ﴾. [الانفطار: 7]، أي: صَرَفك إلى ما شاء من الصّور وفي رواية: **فَعَدَّلَكَ**، أي: قوَّم خَلْقك.[1]

يتبيّن ممّا سبق أنّ مصطلح العدول يتجاذبه معنيان متقابلان، الأوّل يدور حول الإنصاف والاستواء والآخَر حول الميل والرجوع؛ ولكن المعنى الثّاني هو الذي يهمّنا في هذا البحث، تحسّساً لربط المصطلح بالمفهوم العام للعدول، ومدى مناسبة الميل من الواحد إلى الآخر ـــ على حدّ قول ابن منظورـــ لمفهوم ظاهرة العدول اللّغوية والتي نحن بصدد دراستها، والتي تقتضي ميلاً من لفظ إلى لفظ، و من معنى إلى معنى في بيان التّعبير القرآني ـــ كما سيأتي ـــ.

(1) ـ ينظر: الكلّيات، أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسني الكفوي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ- 1993م، ص661.

المطلب الثاني: تعريف العدول اصطلاحا

وردت في التراث البلاغي والنّقدي عدّة مصطلحات صاحبت مصطلح العدول ضُمّنت في دائرة "شجاعة العربية "[1]، ومن بين هذه المصطلحات نذكر: الالتفات،ونقض العادة، والاتّساع وإخراج الكلام لا على مقتضى الظّاهر[2]...وغيرها.

وقد أُستُعمِل مصطلح "العدول"في التراث النّحوي والبلاغي[3] ؛ بمعنى الخروج عن مقتضى الظاهر فجاء مصطلح: "العدول عن الظّاهر"، و"العدول عن الأصل" بهذا المعنى؛ في عدّة مصنفات منها: الإنصاف لأبي البركات الأنباري (ت577هـ)، الأولى: قالها في حمل ذوات الواو على ذوات الياء في الجمع، مثل جمع قاضي قُضيً، كما يُقال غازٍ وغُزىً، والأخرى في حديثه عن صرف ما لا ينصرف في ضرورة الشّعر.[4]

وأيضا: الجنى الدّاني في حروف المعاني، للمرادي (ت749هـ)، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (ت751هـ)، ومختصر المعاني لابن سعد التفتازاني (ت793هـ) [5]، وغيرهم.

إنّ مظاهر العدول في اللّغة العربية كثيرة ومتشعّبة[6] ولا يمكن بحال أن تستوفى في هذا المقام لكن حسبي الإشارة إلى بعضها؛ حتى يستبين سبيل البحث، ومما يدخل في باب العدول ما أسموه

---

(1) ــ استخدم ابن جني في الخصائص: (ج2، ص360،447) هذا المصطلح، وهو ما عَبّر عنه ابن قتيبة بمجازات الكلام: (تأويل مشكل القرآن، ص 20)، وأيضا هو الاتّساع والتسامح في الكلام، عند عبد القاهر الجرجاني: (دلائل الإعجاز ص62، وص438).

(2) ــ ينظر على الترتيب: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص74، ومفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1407هـ، ص211، والخصائص، ج2، ص215، وج3، ص47، ومفتاح العلوم، ص239.

(3) ــ ينظر: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م، ص37.

(4) ــ ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، ت: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م، ص642 -392.

(5) ــ ينظر على الترتيب: الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ -1992م، ص539، وبدائع الفوائد، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ج2، ص457، ومختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ، ص63.

(6) ــ ينظر: ظاهرة العدول في البلاغة العربية، عبد الحفيظ مراح، (رسالة ماجستير) جامعة الجزائر، 2005م، وانظر: الإعجاز الصرفي في القرآن، عبد الحميد أحمد هنداوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429هـ- 2008م، ص144- 169.

بـــ"التعويض" [1]، قال في تعريفه أبو البقاء الكفوي[2]: ((التعويض هو إقامة اللّفظ مقام اللّفظ وقد جرَت العادة على أنّهم يستعملون لفظا مقام لفظ آخر، ثمّ يعكسون القضية فيستعملون ذلك الغير مقام الأوّل، فمن ذلك لفظ "غير"، فإنّهم يقيمونها مقام "إلّا" في باب الاستثناء، ويعكسون الأمر في باب الصّفة...))[3]

وقد أورد الزّركشي[4] في باب: "إقامة صيغة مقام أخرى" عدّة صور لهذا النّوع، منها "فاعل" بمعنى مفعول، و"فعيل" بمعنى مفعول، ووقوع الإخبار بلفظ الفرد عن لفظ الجمع، وإطلاق الخبر وإرادة الأمر وغيرها.[5]

ولعلّ هذا ما عُرف في الدّرس النّحوي باسم: "التقارض"[6]، وهو: ((أن تَعطي كلمةً حكماً يختصّ بها إلى كلمة أخرى لتعامل معاملتها، كما تعطي الكلمة الأخرى حكماً يختصّ بها إلى الكلمة الأُولى لتعامل معاملتها أيضاً.))[7]

ومن بين أنواع التقارض: التقارض بين اللّفظين في المعاني، كإقامة حروف الجرّ بعضها مكـــان بعض إذا تقاربت المعاني؛ وهو التناوب عند جمهور الكوفيين؛ أي أن يقترض الحرف من الحـــرف الآخر معناه كاقتراض "في" معنى "على" في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71]، وهي مسألة خلافية بين النّحاة الكوفيين والبصريين.[8]

---

(1) ــ ينظر: الصاحبي في فقه اللّغة، أحمد بن فارس، ت: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـــ-1993م، ص235، والمزهر في علوم اللغة، السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص267.

(2) ــ هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء؛ صاحب الكليات كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء بتركيا وبالقدس، وببغداد، توفي باستانبول سنة 1683م، انظر: الأعلام، ج2، ص38.

(3) ــ الكليات، ص293.

(4) ــ هو محمّد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين عالم بفقه الشافعية والأصول، ولد بمصر سنة 745هـــ، وتوفي بها سنة 794هـــ، له تصانيف كثيرة في عدّة فنون، منها: لقطة العجلان، والبرهان في علوم القرآن...انظر: الأعلام، ج6، ص60.

(5) ــ ينظر: البرهان، ج2، ص285 - 291، والإتقان، مطبعة حجازي، بالقاهرة، ج2، ص 38.

(6) ــ ينظر: ظاهرة التقارض النحوي في القرآن الكريم، سوزان عبد الجبار، مجلّة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد3، ج1 2009م، ص351.

(7) ــ المرجع نفسه، ص352.

(8) ــ سيأتي الحديث عنها في الفصل الثاني، المبحث الرابع من هذا البحث.

كما عقد ابن هشام[1] في كتابه: "المغني" بابا نفيسا يحاكي نظام اللّغة [2] في استعمالاتها المختلفة مصوّرا بذلك معاني الاتّساع في كلام العرب، وذلك في قواعد جزئية خرجت عن أمور كلّية، نذكر منها ما يتعلّق بباب العدول، كقوله: قد يُعطى الشّيء حكم ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما وأيضا قوله: ومن مُلَح كلامهم تقارض اللّفظين في الأحكام. [3]

ومن مظاهر العدول في اللّغة ما ذكره ابن قتيبة في باب: مخالفة ظاهر اللّفظ معناه، وتدخل فيه أمور عدّة، مثل مجيء الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير، أو على الاستفهام وهو تعجّب أو على الأمر وهو تهديد، أو عام ويراد به الخاص، وغيرها. [4]

ومنها التغيّرات الصّرفية لبعض الصّيغ وعلاقتها بالمعاني، وَفق متطلّبات المقام، وما يحمله أسرار اختلاف هذه الصّيغ من ((الفروق الفنّية بين المعاني ممّا يفيد أكثر الإفادة في التوظيف البلاغي لتلك الصّيغ في سياقاتها التي تطابق مقتضى الحال...)) [5]، كالعدول من صيغة "فَعِيل" إلى "فُعَال" للمبالغة، نحو طُوال إلى طَوِيل؛ لأنها أبلغ منها في المعنى، وأُدرِجت عند اللّغويين تحت عدّة مسمّيات منها: التفسير على المعنى دون اللفظ، قوّة اللفظ لقوّة المعنى، تكثير اللّفظ لتكثير المعنى... [6]، ولا جرم أنّ التخيّر في استعمال صِيَغ دون أخرى تمليه ظروف الكلام، وتكتنفه أركان السّياق، ((ذلك أنّ الاختيار الفنّي لتلك الصّيغ من قِبَل المبدع، وكذلك ما يقوم به من تَكرار لبعض الصّيغ، أو عدول فنّي مقصود من صيغ يقتضيها السّياق إلى صيغ أُخَر يراها أكثر مناسَبة كلّ ذلك يُحدِث بلا شك نوعاً من الإثارة، ولفت الذّهن للمتلقّي ناقداً كان أو غير ناقد.)) [7]

---

(1) ــ هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ابن هشام الأنصاري، أبو محمد، جمال الدين، العلامة المشهور من أئمّة العربية، ولد سنة 708هـــ، تفقّه للشافعي ثم تحنبل، حدّث عن ابن جماعة بالشاطبية، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم، توفي سنة 761هـــ، له عدّة مصنفات منها: مغني اللبيب، وشرح التسهيل، وشذور الذهب...انظر ترجمته في: البغية، ج2، ص69، والأعلام، ج4، ص147.

(2) ــ "النظام اللغوي" في علم اللّسانيات الحديث، أو "اللّسان" عند دي سوسير، وهو منهج معياري لدراسة اللّغة باعتبارها سلوكا اجتماعيا خاصّا بمجتمع معيّن، انظر: القاعدة النحوية تحليل ونقد، محمود حسن الجاسم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـــ- 2007م، ص53.

(3) ــ مغني اللبيب في كتب الأعاريب، ص884، وص 915.

(4) ــ ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص275، وما بعدها.

(5) ــ الإعجاز الصرفي في القرآن، عبد الحميد أحمد هنداوي، ص7.

(6) ــ ينظر: الخصائص، ج3، ص260، وص264، وص267، وانظر: المزهر، ج1، ص155- 156.

(7) ــ الإعجاز الصرفي في القرآن، ص6.

ولعلّ أكثر ما يُستأنس به إيضاحا لقضية العدول؛ ظاهرة: إحلال كلمة محلّ أُخرى تقاربها في معناها العام، وسمّى أهل اللّغة ذلك: "تنكيتا"[1]، ويعنون به: « أنْ يَقصد المتكلّم شيئا بالذّكر دون أشياءٍ، كلُّها تسدّ مسدّه؛ لولا نكتة في ذلك الشّيء المقصود تُرجّحُ اختصاصه بالذّكر، وعلماء هذا الفنّ أجمعوا على أنّه لولا تلك النّكتة التي انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأً ظاهرا عند أهل النّقد، وجاء من ذلك في الكتاب العزيز قولُه تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النّجم: 9]، فإنّه سبحانه خصّ الشّعرى بالذّكر دون غيرها من النّجوم، وهو ربّ كلّ شيء لأنّ مِنَ العَربِ مَن عَبَدَ الشّعرى، وكان يُعرف بابن أبي كبْشة [2]، ودعا خَلقاً إلى عبادتها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النّجم: 9] التي ادّعيت فيها الرّبوبية دون سائر النّجوم، وفي النّجوم ما هو أعظم منها. » [3]

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنعام: 31].

قال ابن أبي الأصبع[4]: « أما التّنكيت ففي قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡ ﴾، والنّكتة في ترجيح الحمل على الظّهور دون الرؤوس؛ كون الظّهور أقوى للحمل، فأشار بها سبحانه إلى ثقل الأوزار... » [5]

---

(1) ــ ينظر: بديع القرآن، ابن أبي الأصبع، ص212، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع ص499، والموافقات، الشاطبي، ج4، ص158، وخزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي ، ج2، ص307، والإتقان، ج2، ص242.

(2) ــ الظاهر اسمه: "أبا كبشة" رجل من سادة قبيلة خزاعة، وهو أوّل من سنّ لهم عبادة نجم الشّعرى، انظر: التحرير والتنوير ابن عاشور، الطبعة التونسية، ج27، ص151. أمّا ابن أبي كبشة فهي ما تقوله قريش للنّبي ﷺ ،كما في الصّحيحين من حديثٍ طويلٍ عن أبي سفيان ﷺ، انظر: الجمع بين الصّحيحين، محمّد الحميدي، ت: علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط2، 1423هـ - 2002م، ج3، ص306.

(3) ــ خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص307.

(4) ــ هو عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، ابن أبي الأصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، شاعر مشهور، و من العلماء بالأدب، ولد بمصر سنة 595هـ، وتوفي بها سنة 654هـ ، له تصانيف حسنة منها: بديع القرآن، والخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح ... انظر: الأعلام، ج4، ص30.

(5) ــ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص603.

والتّنكيت من النُّكتة؛ وهي في العِلم « مسألة لطيفة أُخرِجت بدقّة نظر وإمعان، مِن نَكَت رمحه بأرض إذا أثّر فيها، وسُمّيت المسألة الدّقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها. »(1)

وبناءً على هذا الأساس فإنّ من بين مستويات الجمال في الأداء القرآني دقّته في اختيار الألفاظ، تبعاً للأغراض والمقاصد فتكون « المفردات المعجمية مؤشّرات أسلوبية من حيث مناسبة إحداهما دون أخرى بمعناها لسياق معيّن، فيتمّ اختيارها دون الأُخرى »(2)، فتُؤْثَر اللّفظة المذكورة عن أخرى؛ تُعدّ من البدائل اللغوية لها، والذي « يساعدها على الظّفر بمكان لها في الملفوظ؛ أنّ المقام يستدعيها أكثر مما يستدعي غيرها، وأنّ هدف إقناعَ المتكلّمِ مُخَاطبَه؛ يقتضها أكثر مما يقتضي غيرها... »(3)

كما أنّ « استكشاف الجمال في الجملة يتمّ بعد الانغراس في تربة تركيبها المفترض للمقارنة بين التركيب الأدبي الحادث، والتّركيب النّحوي السّابق، وهو ما يُعرف في الدّراسات المعاصرة باسم: العدول. »(4)

وهذه الإشارة للعدول توحي بما أسماه عبد القاهر الجرجاني بـــ"التَّخَيُّر" (5) الذي يتميّز به الأسلوب والذي « يعني العدول عن معنى من معاني النّحو إلى معنى آخر لأداء دلالة لا يؤدّيها المعنى الأول. »(6) وهذا التّخيّر جعله الجرجاني إحدى المعايير التي تقاس بها مزيّة الكلام وفضيلته حيث قال في معرِض سياقه لجودة النّظم ولطافته: « ...لأنّه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعاً وحتى تجد إلى التّخيّر سبيلاً وحتى تكون قد استدركت صوابا. »(7)

فالعُدول إذن هو: ضربٌ من النّظم، وجودةٌ في الصّياغة، وبراعةٌ في الأسلوب.

---

(1) ــ التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـــ، ص316.

(2) ــ البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1420هـــ- 2000م، ج1، ص434.

(3) ــ الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص169.

(4) ــ العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، إبراهيم بن منصور التركي، مجلّة جامعة أمّ القرى لعلوم الشريعة واللّغة العربية وآدابها، ج19، العدد40، ربيع الأول، 1428هـــ، ص548.

(5) ــ جاء التّخيّر عند الجرجاني بمعنى إيثار أحد التّراكيب عن الآخر؛ لخصيصة معيّنة، يفقدها التّركيب الأوّل.

(6) ــ الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي، شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص35.

(7) ــ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط2، 1992م، ص98.

وهناك من عرّف العدول على سَعة معناه بأنّه: « مجاوزة السُنن المألوفة بين النّاس في محاوراتهم وضروب معاملاتهم؛ لتحقيق سِمة جمالية في القول تُمتِّع القارئ، وتُطرب السَّامع، وبِها يصير نصاً أدبيًّا. »(1)

لكن الذي نلاحظه في هذا التّعريف هو تَوسعة معنى العُدول ليشمل أصنافا أدبية شتّى: "القصّة الرواية، المسرحية..." قد تخرج بنا بعيداً عن مرامينا وهي دراسة الظّاهرة في القرآن الكريم، وإنَّما العُدول الذي سيدرج في هذه الدّراسة سيكون خاصّا بالبناء اللّغوي والنّمط الأسلوبي باختيار أنساق تعبيرية محدّدة دون أخرى؛ في سياقات معيّنة، وهو معنى التَخَيُّر عند عبد القاهر الجرجاني ـــ كما مرّ آنفاً ـــ.

وهذا المفهوم أقرّه أحد الباحثين؛ حيث يرى أنّ مصطلح العدول وهو مصطلح الأسلوبيين خاصّة متّصل أشدّ الاتّصال بمصطلح الاختيار؛ الذي هو مصطلح اللّسانيين خاصّة، فقال: « على أنّنا سنعتبر المفهومين هذين واحدا، ذلك أنّ فرق ما بين العدول والاختيار في تعريف الأسلوب مَهْمَا اجتهد القوم من النّاحية النظرية في ضبط حدوده ليس بالفرق الواضح تمام الوضوح. »(2)

لكن هناك من لم يعدّ الاختيار مرادفاً ومساوياً للعدول، وذلك ـــ في رأيه ـــ لعدم التّلازم بين المفهومين؛ بمعنى أنّه لم يعتبر كلّ اختيار يؤدي إلى قيام العدول، بل جعل العدول اختياراً مخصوصاً إذ يقوم على خروج عن أصل لغوي، لكنّه في الوقت نفسه استدرك، وجعل إطلاق مصطلح العدول مشتركاً بين الاختيار والعدول، فهو يعتبر كلّ عدولٍ اختيارا وليس كلّ اختيار عدولا.(3)

وهذه النّظرة ـــ في رأيي ـــ لم تُبعد العدول عن معنى التّخيّر، لأنّ الذي عَدَلَ من لفظ إلى لفظ آخر فقد اختار الثّاني عن الأوّل.

(1) ـ العدول في البنية التركيبية ، ص549- 550، نقلا عن: رؤية في العدول عن النمطية، عبد الموجود متولي بهنسي، ص5.

(2) ـ الحجاج في القرآن، ص170-171.

(3) ـ تعدّد المعنى في القرآن، ألفة يوسف، دار سحر للنشر،كلية الآداب، تونس، ط2، ص337، وانظر: الإعجاز الصرفي، ص161.

وهناك من جعل الاختيار بمعنى "الابتعاد"، فالابتعاد من نمط في التّعبير باتجاه آخر ليس إلا اختياراً لنمط دون آخر، مثلما أنّ اختيار نمط والتّخلي عن آخر ليس غير تطبيق حَرفي لمفهوم الابتعاد. (1)

ويمكن تعريف العُدول بأنّه: « مخالفة الكلام لصياغته اللّغوية الأصلية المفترضة؛ لتحقيق قيمة جمالية، أو دلالية، أو بلاغية. » (2)

وقد استخدم النّقد المعاصر للتّعبير عن العدول دلالات لغوية تشير إلى معناه، أوصلها الدّكتور عبد السّلام المسدي إلى اثنتي عشرة مصطلحا؛ أوردها فيما يقابل خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر تحت عنوان أسماه: "كشف الدَّوال المعبِّرة عن الواقع العَرَضي"، في الوقت الذي أحصى فيه ستّة عشر مصطلحاً فيما يقابل مقتضى ظاهر الكلام تحت عنوان أسماه: "ثبت المصطلحات المعبَّر بها عن الواقع الأصل". (3)

وخلال هذا الكمّ الهائل من المصطلحات نلحظ أنّ هناك توسّعا من الدّراسات الأسلوبية الحديثة في البدائل اللّغوية لمصطلح العدول؛ باعتباره إجراءً بلاغيا نقديا « يُستخدم لبلاغة دراسة التّركيب، وشعرية اللّغة » (4)، ولعلّ من أسباب هذه التّوسعة ؛ التّرجمة (5)وما انجرّ عنها؛ التي ربّما تجرّ معها أزمةً في المصطلح؛ يصعُب خوضها، إضافةً إلى مُرونة الدّلالة المعجمية لهذا المصطلح يتعسّر حصرها في لون لغويّ معيّن.

وبعد هذا نخلص إلى تعريف العدول، وهو أنّه: اشتمال الكلام المركّب على جزء مخالف في ظاهره لنسق ذلك التّركيب الكلّي؛ باعتبار أصل لغوي مفترض، مراعاةً لما يقتضيه سياق الكلام من تلك المخالفة. (6)

---

(1) ــ ينظر: الإبلاغية في البلاغة العربية، سَمير أبو حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص41.

(2) ــ العدول في البنية التركيبية، ص550.

(3) ــ ينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السّلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، ص99، 100.

(4) ــ العدول في البنية التركيبية، ص591.

(5) ــ ينظر: من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1424هـ-2003م، ص55-61.

(6) ــ ينظر: مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم، ظافر العمري، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، 2004م، ص9.

أمّا عدول حروف المعاني الجارّة ــ عنوان هذا البحث ــ فيعني: مخالفة مقتضى الظاهر في استعمالات حروف الجرّ؛ بإيثار وتخيّر حرف جرّ عن آخر؛ يقوم مقامه في الظاهر، مراعاةً لما يقتضيه سّياق الكلام من تلك المخالفة.

وأخيرا أورد تذنيبا ينبغي لنا معرفته أمام هذه الدّراسة، هو مدى قَبول علماء الشّريعة القَول بالعدول في القرآن خاصّة، وهل أطلقوا هذا اللّفظ أو ما اشتقّ منه على كلام الله خصوصا، وإلا فكيف بإطلاق لفظٍ مُحدَث عن القرآن خاصّة، و لم يكن لنا سلفٌ في ذلك ؟ فأقول: قد ورد في كلام العلماء ــ عليهم الرّحمة ــ إطلاق لفظ "عَدَلَ" عن كلام الله تعالى ويَعْنُون به: إيثار المولى ﷻ للفظٍ مذكور عن آخر غير مذكور يقوم مقامه في الظّاهر،كالألفاظ المترادفة مثلاً. (1)

وفيما يأتي ذكر بعض أقوالهم بصورة مقتضبة، لعَدَم الإطالة، والاكتفاء بإيراد موضع الشّاهد فقط.

قال ابن تيمية: « ... فيُشبِه ــ والله أعلم ــ أن يكون إنَّما عدل عن لفظ فارقَ إلى لفظ طَلَّق للإيذان بأَنَّه نكاح قد يكون فيه الطَّلاق، لا نكاحٌ معقود لوقوع الطَّلاق. » (2)

وقال ابن الدهّان(3): « ...الجواب: لو كان المقصود ما ذكروه قال: إنّما الصّدقات للفقراء أو المساكين، فلمّا عَدَل عن صيغة التخيير إلى صيغة التشريك دلّ على ما قلناه... » (4)

وقال ابن القيّم في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ [ص: 75] : «...ولهذا عَدَلَ عن اسم آدم العلم مع كونه أخصّ وأتى بالاسم الموصول الدّال على أنّ جهة التشريف المقتضية لإسجاده له؛ كونه خَلَقه بيدَيه، وأنت لو وضعتَ مكان "ما" لفظة "مِن" لما رأيت هذا المعنى باديا على صفحاتها... » (5)

---

(1) ــ ليس المقصود بالترادف المحض، بل المقصود الألفاظ المتّفقة في الدلالة مع امتياز أحدها بزيادة عن الأخرى، انظر: مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ- 2005م، ج20، ص423.

(2) ــ الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ- 1987م، ج6، ص254.

(3) ــ هو محمّد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدهّان، عالم بالحساب واللّغة والتاريخ، من أهل بغداد، مات بالحلة المزيدية سنة 590هـ، من كتبه: تقويم النظر؛ في فقه المذاهب الأربعة، وغريب الحديث...انظر: الأعلام، ج6، ص279 ومعجم المؤلفين، ج11، ص15.

(4) ــ تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، ت: صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة الرشد، 1422هـ -2001م، ج3، 279.

(5) ــ بدائع الفوائد، ج1، ص232- 233.

وقال أيضا بعد تفسير قوله تعالى: ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾ [المائدة: 89]: "...وهو سبحانه عَدَلَ عن الطّعام الذي هو اسم للمأكول إلى الإطعام الذي هو مصدر صريح، وهذا نصّ في أنّه إذا أطعم المساكين، ولم يملكهم فقد امتثل ما أمر به، وصحّ في كلّ لغة وعُرف: أنّه أطعمهم." (1)

وقال الصّفدي(2) عن قوله تعالى: " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ [الأحزاب: 50] إلى قوله: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ [الأحزاب: 50] عَدَلَ عن الإضمار إلى التّصريح، وكرّر اسمه ﷺ تنبيهاً على أنّ تخصيصه ﷺ بهذا الحُكم أعني النّكاح بالهبة عن سائر النّاس لمكان النّبوة، وكرّر اسمه ﷺ تنبيهاً على عظمة شأنه، وجلالة قدْره إشارة إلى علّة التّخصيص وهي النّبوة..." (3)

وقال العثيمين(4): " ... كلّ إنسان مؤمن فإنّ غايته أن يحبّه الله ﷻ، وهي المقصود لكلّ مؤمن لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31]، ولم يقل: اتبعوني تصدُقوا فيما قلْتم، بل عَدَلَ عن هذا إلى قوله: ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾، لأنّ الشّأن كلّ الشّأن أن يحبّك الله ﷻ." (5)

وبناءاً على استعمال العلماء ـــ رحمهم الله ـــ لهذا المصطلح بما دلّ عليه مفهومه، يمكن أن تبتعد أوهام الالتباس تجاه هذا المصطلح، وخاصّة عند إطلاقه عن تحوّلات الألفاظ في التّعبير

---

(1) ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، ت: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط14، 1407هـ-1986م، ج5، ص498.

(2) ـ هو خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ولد في صفد بفلسطين سنة 696هـ ، وتعلّم في دمشق، ولع بالأدب وتراجم الأعيان وتولى ديوان الإنشاء في صفد وغيرها، توفي في دمشق سنة 764هـ، له زهاء مأتي مصنف، منها الوافي بالوفيات وألحان السواجع... انظر: الأعلام، ج2، ص315.

(3) ـ أعيان العصر وأعوان النصر، خليل بن أيبك الصفدي، ج3، ص340.

(4) ـ هو محمّد بن صالح بن محمّد بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد في مدينة عنيزة، سنة 1347هـ، تعلّم التفسير والتوحيد والحديث والفقه وأصوله و الخط والحساب، و درّس في كلية الشريعة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، وعضو هيئة كبار العلماء، له نشاط كبير في الدّعوة إلى الله وتبصير الدعاة في كلّ مكان، عُرض عليه القضاء، فطلب الإعفاء، توفي سنة1421هـ، له ما يجاوز المائة مؤلّفا. نقلاً ـــ بتصرّف ـــ عن كتاب: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم البريدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1426هـ- 2005م، من ص27 إلى ص54.

(5) ـ شرح رياض الصالحين، ت: محمود بن الجميل، مكتبة الصّفا، القاهرة، ط1، 1423هـ- 2002م، ج1، ص313.

القرآني، وخصوصاً عن كلام الله ﷻ، لهذا ارتضيْتُ به مصطلحا للتّعبير عن تخيّر التّعبير القرآني لحروف الجرّ؛ لغرض يقتضيه السّياق، ويطلبه المقام لِما تضمّنه من غرائب المعاني، ولطائف النّحو ونكت البلاغة، وأحسَب أنّ هذا المعنى للعدول هو الذّي استعمله العلماء ـــ رحمهم الله ـــ في مصنّفاتهم.[1]

(1) ـ ومن بين المعاصرين الذين استحسنوا مصطلح العدول أذكر: تمام حسان، وعبد الله صولة، وعبد الله الهتاري... وتبنّته كثير من الدّراسات الجامعية، منها: العدول عن النّظام التركيبي في أسلوب القرآن الكريم، حسن منديل العكيلي، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد. الإعجاز البياني في العدول النّحوي السّياقي في القرآن الكريم، عبد الله علي الهتاري رسالة دكتوراه طُبِعت في دار الكتاب الثقافي بالأردن، العدول عن المطابقة بين أجزاء الجملة، نجلاء محمد نور عبد الغفور عطار، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى...

المطلب الثالث: العدول وأصل المعنى

اقتبس البلاغيون معيارا نحويا يقيسون عليه عدول الكلام، و جعلوه كاشفا يميز بين ما وافق أصل معنى الكلام؛ وهذا ما عُرف عند البلاغيين بـــ"أصل المعنى" أو"أصل الكلام" أو"أصل معنى الكلام ومرتبته الأولى"[1]، وما خرج عن القياس النّحوي[2] المألوف؛ فهو العدول عن الأصل. [3]

فإذا كان العدول معناه خروج الكلام عن أصله؛ فلا بدّ من معرفة ما تولّد منه هذا الخروج وهو أصل المعنى، فمعرفته وما يخرج منه تبدو مهمّة للبلاغي الذي يُعنَى بالكيفية التي يطابق بها الكلام مقتضى الحال « لأنّه من خلالها يستطيع أن يكشف عن المزايا الفنّية في التركيب، وبالتالي يستطيع أن يحدّد مواطن الصواب والخطأ البلاغي؛ وَفق ما تمليه نظرية مطابقة الكلام لمقتضى الحال. » [4]

فالعدول باعتباره تحوّلا في القول، يخضع لجدلية الأصل والفرع[5] عند النّحويين، وحتى المفسّرين وغيرهم، لأنّه متعلّق بفقه الدّلالة، وهذه الجدلية كانت سبباً في تعدّد معنى العدول عندهم؛ بين من يعدّه عدولاً في التّركيب وخروجا عن أصل ما، وبين من لا يعتدّ بقضية الأصل والوضع اللّغوي، وهذا الاختلاف تلخّصّه طريقتان:

الأولى: تشمل وجود مقولة الأصل اللّغوي نفسها بين مقرّر إيّاها وناف وجودها، وجوهر هذا الاختلاف هو استحالة استقصاء جميع الأقوال، والاستعمالات اللّغوية على وجه تامّ.

والثانية: تقبل وجود مقولة الأصل اللّغوي، وتختلف في عناصرها، وأسّ هذا الاختلاف ضبابية مقولة الأصل. [6]

يقول حسان تمام: « إنّ اللّغة لا تتّسم بالاطّراد المطلق، ومن هنا جرّد النّحاة أصل وضع الحرف وأصل وضع الكلمة، وأصل وضع الجملة، وكذلك جرّدوا أصل القاعدة؛ لِيَميزوا بين

---

(1) ــ ينظر على الترتيب: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص681، والخصائص ،ج2، ص384، ومفتاح العلوم السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ط2، 1987م، ص285.

(2) ــ المقصود بالقياس النّحوي: حَمْلُ غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، انظر: الأصول، تمام حسان، ص151.

(3) ــ ينظر: الأصول، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1420هــ، ص107، وص127.

(4) ــ البلاغة بين الأدباء والعلماء ، حامد صالح الربيعي، 1996م، ص583.

(5) ــ ينظر: التعليل النحوي في الدرس اللّغوي، خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، دار المسيرة، عمان، ط1، 1427هــ-2007م، ص47- 74.

(6) ــ ينظر: تعدّد المعنى في القرآن، ألفة يوسف، ص340.

القواعد الأصلية والفرعية...إنّ أصول القواعد هي القواعد التي لا تقيّدها الشّروط كرفع الفاعل والمبتدأ، أو تقديم الفعل على الفاعل، وكون الفاعل اسما وكون المبتدأ معرفة... والقواعد الفرعية عدول عن هذه القواعد. »[1]

كما « يتمثّل نسق اللّغة العربية في قواعد نمطية؛ هي أصل الوضع في التعبير عن الأغراض وتحقيق التواصل، غير أنّ هذا النّسق يتّسع لقواعد فرعية، تحوّلت من القاعدة الأصلية بواسطة مجموعة من المسالك الموصوفة بالشّجاعة، ومعظمها الحذف والإضمار، والفصل، وتشويش الرّتبة والحمل على المعنى. وقد يكون هذا التّحول مطّردا فيُقاس عليه، وقد يكون غير مطّرد فلا يقاس عليه، كضرورة الشّعر. »[2]

ويمكن إيضاح العدول وأصل المعنى؛ بما اصطَلح عليه ــ عبد الحكيم راضي ــ بالمثالي والمُنحرِف وقَصد بالمثالي المستوى العادي للّغة، أمّا المنحرف فهو المستوى الفنّي لها؛ وضرب لذلك مثلاً من تفسير الزّمخشري لآية: ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ ﴾ [الإسراء: 100]، قال الزّمخشري [3]: "لو" حقّها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء... وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب، فأمّا ما يقتضيه علم البيان فهو أنّ: ﴿ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ ﴾ فيه دلالة على الاختصاص؛ وأنّ النّاس هم المختصّون بالشّحّ المتبالغ.[4]

وقال في موضع آخر: « وإذا كان النّحاة واللّغويون قد حرصوا على مثالية اللّغة في مستواها العادي ــ وهو المستوى الذي يعنيهم الاشتغال به ورعايته ــ فإنّ البلاغيين ــ وهم المعنيون باللّغة الفنّية ــ قد حرصوا على العكس من النّحاة واللّغويين، على تأكيد صفة مخالفة لا بدّ من تحقّقها في الاستخدام الفنّي للّغة... وهذه الصّفة هي المغايرة أو الانحراف على نحو معيّن عن القواعد والمعايير المثالية التي تحكم اللّغة العادية. »[5]

فهو بذلك يقسّم اللّغة مستويين: المستوى العادي "المثالي" الذي قام على رعايته النّحاة واللّغويون ــ وهو أصل المعنى ــ و المستوى الفنّي "المنحرف"، وهو ما اهتمّ به علماء البلاغة ــ

(1) ــ البلاغة والأصول، ص63، نقلا عن: التراث اللغوي العربي، مجلة فصول، العدد1، 1980م، ص 91.
(2) ــ البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007م، ص63.
(3) ــ ينظر: الكشاف، ج2، ص651.
(4) ــ ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)، ص191.
(5) ــ المرجع نفسه، ص206.

وهو العدول ــ لما تضمَّنَه الأسلوب من طاقات إيحائية ونكت بلاغية، وإن كانت نظرته للعدول هنا غير مخصّصة لصنف لغوي معيّن، وذلك لتنظير هذا المفهوم في التراث النّقدي العربي، لكن حَسْبُ الدّراسةِ منه بابُ البلاغة وخصوصاً علم المعاني.

وإذا كان العدول هو الانحراف عن مثالية اللّغة، فهل تكون بلاغة الكلام، وجماليات الأسلوب في علم المعاني مقصورة عليه، أو لأصل الكلام منها نصيب ؟.

يرى صاحب "البلاغة والأسلوبية" أنّ علم المعاني باعتباره العلم الذي تُعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها يطابق اللّفظ مقتضى الحال؛ يقوم على رعاية مستويين من الكلام: المستوى العادي والمستوى الفنّي، فذِكْر المطابقة ــ على حدّ رأيه ــ يُخرِج ما لا تحصل به المطابقة أصلا مما يدخل في المستوى العادي، كالإعلال والتصحيح والإعراب؛ مما يحتاج إليه في أصل المعنى، وهو ما تكفّلت به مباحث النّحاة، أمّا أبواب المعاني فيمتنع فيها إجراء الكلام على الأصل، فهي أبواب تقوم أساسا على العدول في اللّغة عن مستوى استخدامها المألوف. (1)

وهذه النّظرة تقتضي القول بأنّ علم المعاني قائم أساسا على فكرة العدول عن الأصل، وأنّه لا يمكن بحال أن يَدرس البلاغي علم المعاني إذا وافق الأصل؛ لأنّ ذلك مما اختصّ به النّحاة، ويؤكّد هذا قوله: « إذا كان النّحاة واللّغويون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثالي؛ فإنّ البلاغيين ساروا في اتجاه آخَر حيث أقاموا مباحثهم على انتهاك هذه المثالية، والعدول عنها في الأداء الفنّي. » (2)

لكن من تتبّعَ أقوال البلاغيين في مسألة الأصل، ومقتضى الظاهر، يجد أنّ هذا ــ الرّأي ــ لا يمكن تعميمه واطّراده؛ إذ إنّ علم المعاني يَدرس الكلام حتَّى وإن وافق الأصل، وَفقا لقاعدة: "لكلّ مَقام مَقال"(3) ولأنّ البلاغة في الكلام هي « مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته » (4) لا ما يقتضيه الظّاهر وهو ما سمّاه الشّيخ عبد القاهر توخّي معاني النّحو، فمخالفة الظّاهر؛ إنّما تكون لاعتبار مناسب لمقام الكلام(5)، وسياق القول، ثمّ الاعتبار المناسب هو مقتضى الحال، وهذا الأمر

---

(1) ــ ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، دار نوبار، القاهرة ، ط1، 1994م، ص270.

(2) ــ المرجع نفسه، ص269.

(3) ــ ينظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ص168.

(4) ــ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، ص11.

(5) ــ ينظر: مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال و مواقعها في القرآن الكريم، ظافر العمري، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، 2004م، ص7.

وعاه السّكاكي[1] في مفتاحه حيث يرى أنّ « مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال، وعلى لا انطباقه »[2]، فإنّ لكلّ مقام مقالاً، ولكلّ غرض فنّاً وأسلوباً.

قال ابن القيّم إثر فائدة المفرد والجمع: « في ذكر المفرد والجمع، وأسباب اختلاف العلامات الدّالة على الجمع، واختصاص كلّ محلّ بعلامته، ووقوع المفرد موقع الجمع، وعكسه، وأين يحسن مراعاة الأصل، وأين يحسن العدول عنه، وهذا فصل نافع جدّاً يُطلِعك على سرّ هذه اللّغة العظيمة القَدْر المفضّلة على سائر لغات الأُمم. »[3]

بمعنى أنّ التّراكيب اللّغوية تستدعيها الأحوال وتطلبها المقامات؛ فقد يَرُوقك أصل المعنى في مقام وتستهجنه في مقام آخر، وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين بتتبّعه كيفية ورود الأصل عند البلاغيين خلال ما كتبه القزويني عن الأصل، في أثناء دراسته لعلم المعاني، وتبيّن أنّ تناول القزويني له يرِد عنده في ثلاث صور، ألخّصها في الآتي:

أوّلا: ذكر حالات الأصل ومعانيه الأساسية في اللّغة: وتتجلّى في تتبّع مواضع الاستعمالات الأصلية في الكلام، أي الحالات التي تستدعي مجيء الكلام وَفقا لأصله، ويرِد هذا عند البلاغيين في مبحث الفصل والوصل، والحديث عن المعاني الأصلية لأدوات الاستفهام... دون التّعرض لمواطن العدول في شيء من ذلك.

ثانيا: ذكر المعاني البلاغية التي يفيدها الأصل: وذلك في تناول القزويني لأسلوب الحذف والذّكر في أحوال المسند إليه معدّداً الأغراض التي يفيدها الحذف والأغراض التي يفيدها الذِّكْر، و إدراكه أنّ الكلام أحيانا لا يقتضي الحذف، وأنّ الذِّكْر هو الأصل، ومع ذلك، قد يتضمَّن أغراضا بلاغية أخرى،كما في قوله تعالى: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: 18]. فذَكر المسند إليه: "هِيَ" وَفقا للأصل، ومع هذا فقد تضمّن الكلام غرضا بلاغيّاً؛ هو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب.

ثالثا: ذكر الأصل لمعرفة المعاني البلاغية المستفادة من مخالفته: يَذكر هنا الأصل كونه مدخلاً لعرض الصّور البلاغية التي يخالف فيها الكلام أصله، وقد تجتمع هذه الصّورة مع النّوع الأول وذلك خلال سرد القزويني استعمالات الأصل ومعانيه؛ ثمّ يعقّب بعد ذلك بذكر ما يخالف فيه

(1) ــ هو أبو يعقوب يوسف السكاكي، ولد سنة 555هـــ،كان علامة بارعا في علوم شتى خصوصا المعاني والبيان، مات بخوارزم سنة 626هـــ، من كتبه: مفتاح العلوم، انظر: البغية، ج2، ص364، والأعلام، ج8، ص222.

(2) ــ مفتاح العلوم، ص175.

(3) ــ بدائع الفوائد، ج1، ص188.

الكلام ذلك الأصل لنُكت بلاغية، أي أنّ القزويني بعد أن يذكر الأصل في الكلام يشرع في تَعداد الأغراض البلاغية للعدول عن ذلك الأصل، حيث يذكر الفرق في الدّلالة بين: "إنْ" و "إذا"، ثمّ يذكر أنّهما تدلّان على تعليق الشّرط بالجزاء في المستقبل، لهذا يمتنع في كلّ واحدة من جملتيهما الثّبوت، وفي أفعالهما المُضيّ، هذا هو الأصل، ويجوز أن يعدِل الكلام عن هذا الأصل ــ على رأي القزويني ــ لنكتة بلاغية. (1)

ويقول معقّباً: ((ومن هنا يتّضح أنّ العدول في علم المعاني يظهر في النّوع الثالث، وأمّا النّوعان الأوّلان فَهُــما مما يدخل تحت مباحث علم المعاني عند البلاغيين، دون أن يتحقّق فيهما الــعدول.)) (2)

وهو بذلك يجعل الحالات التي يوافق بها الكلام مقتضى الظاهر؛ مِهاداً لِوُلوج باب العدول، وأنّ الأصل مما يُعنى به علم المعاني أيضا، وأنّ مراعاته من مراعاة مقتضى الحال، فلا تكون بلاغة التّركيب حكراً على ما خالف أصل المعنى.

ثمّ يقول ناقداً لقيام علم المعاني على فكرة العدول: ((إذ لا يجب التعميم هنا، فجمال التركيب الأدبي في دراسة البلاغيين لعلم المعاني ليست مقصورة على ما خالف الأصل، فعِلمُ المعاني لا يدرس الكلام إذا خالف الأصل فحسب، بل هو يدرس الكلام أيضا حتّى وإن وافق الأصل للبحث عن دلالات الأساليب اللّغوية وبلاغة استعمالها.)) (3)

وما يؤكّد هذا؛ عدم انصراف البلاغيين عن مثالية اللّغة بل ((جعلوا منها مرآةً ينعكس عليها انحراف المستوى الفنّي، ومعياراً يقيسون إليه مقدار هذا الانحراف.)) (4)

لكن الخطَر في قضيّة "أصل المعنى"يكْمن في إقحامها في: استنباط معاني القرآن الكريم وتفسيره بالنّسبة للمفسّر، وفي مراعاة القاعدة النّحوية بالنّسبة للنّحوي؛ وغيره، ذلك أنّ رؤية الكثير من النّحويين ــ لاسيما المعاصرين ــ لقضية العدول وأصل المعنى مبالغ فيها، إذ عُدّ العدول "انتهاكا"

(1) ــ ينظر: العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، إبراهيم منصور التركي، ص552- 555.

(2) ــ المرجع نفسه، ص555.

(3) ــ المرجع نفسه، ص555- 556 ، وهذا هو ما يراه السكاكي، وأسماه: "مقتضى الحال" أي: ورود الكلام على الاعتبار المناسب انظر: المفتاح، ص169.

(4) ــ نظرية اللغة في النقد العربي، ص206.

لسُنَن الكلام [1] و"انحرافا" عن الأصل[2]، وتخطّي للمألوف، وبالتالي يمكن منها الولوج إلى باب التأويل؛ باعتبار أصل المعنى وما تولّد منه، أو تخطئة بعض الآيات القرآنية استنادا إلى قواعد النّحو والبلاغة، أو الأخذ بمدلولات الألفاظ اللّغوية بمعزِل عن السّياق والمعنى، ولا جرم أنّ المبالغة في التشبّث بقضية الأصل والفرع ترمي بنا بعيدا عن الفهم السّديد لمعاني القرآن، لكن النّظرة المتأنّية تقول: إنّ العدول هو ((خروج عن أصل، أو مخالَفة لقاعدة، ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدْراً من الاطّراد؛ رُقيَ بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليهما.))[3]

وأردت بهذا الإشارة إلى مسألة مهمّة؛ وهي عدم إخضاع كلام الله ﷻ لقواعد نحوية تركيبية إذا ما تعارضت بعض الظّواهر القرآنية مع تلك القوانين الوضعية التي قنّنها البشر، لأنّ القرآن هو أصل الأصول، وهو الحاكم على قواعد النّحو وليس العكس، وأنّ القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه، ولا تحيط بكلامه العلوم؛ لأنّه كلام الله تعالى. وهذه قضية لا يسَع المقام لبسطها[4]، لكن حسبُنا إيضاح الإشكال الذي يُتوهّم من إطلاق العدول في القرآن على أنّه خروج عن أصل ينبغي أن يكون عليه الكلام، فلهذا أقول:

إنّ الألفاظ والتراكيب قد تخرج عن أصل وضعها ــ وإن سُمِّيت خروجا ــ لكنّها تبقى دائرة في فلَك نظام العربية، وجارية على بلاغة الكلام، قال ابن تيمية: ((واللّفظ يصير بالاستعمال له معنى غير ما كان يقتضيه أَصل الوضع، وكذلك يكون في الأسماء المفردة تارة، ويكون في تركِيب الكلام أخرَى...))[5]

وقَصَدَ بالاستعمال: اللّفظ الجاري في سياق الكلام، بدليل قوله عن ظاهر اللّفظ: ((قد يكون ظهوره بمجرّد الوضع، وقد يكون بسياق الكلام.))[6]

---

(1) ــ ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص268.

(2) ــ ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ- 1998م، ص208.

(3) ــ البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ج1، ص77.

(4) ــ للتفصيل في هذه المسألة؛ ينظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها على القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت دار المعرفة الجامعية، اسكندرية 1994م، من ص189 إلى ص208، والقاعدة النّحوية دراسة تحليلية نقدية، أحمد عبد العظيم عبد الغني، دار الثقافة، القاهرة، 1410هـ- 1990م، ص15.

(5) ــ مجموع الفتاوى، ت: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ- 2005م، ج14، ص430.

(6) ــ المصدر نفسه، ج6، ص356.

ولأنّه إذا صار الشيء مشهورا في الاستعمال في شيء؛ لم يُراعَ أصل معناه، نحو: توكّلت على الله واعتمدت عليه، ونحو قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]، تعالى الله عن استعلاء شيء عليه. (1)

وهذا من الاتّساع في الكلام الذي قال عنه المبرد (2): « والكلام يكون له أصل، ثمّ يتّسع فيه فيما شاكَلَ أصله، فمن ذلك قولهم: زيدٌ على الجبل، وتقول عليه دَيْن، فإنّما أرادوا أنّ الدَّيْن قد رَكِبه وقد قهره. » (3)

لهذا لا يمكن أن نُخضع القرآن الكريم للقاعدة النّحوية، أو جعلها هي الأصل والقرآن الفرع وهذا ليس تحطيما لقواعد النّحو كما جرى في فكر بعض المعاصرين(4)، لكن حسبنا بيانا أن نقول إنّ « القرآن لُغته ونَحْوه وتصريفه ومعانيه كلّها منقولة بالتّواتر...وهو الشّاهد على صحّة غيرها مما يُحتجّ له بها، فهو الحُجّة لها والشّاهد، وشواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصحّ من الشّواهد من غيره، حتى إنّ فيه من قواعد الإعراب، وقواعد علم المعاني والبيان ما لم تشتمل عليه ضوابط النّحاة وأهل علم المعاني إلى الآن... » (5)

وقال ابن القيم: « لا يجوز أن يُحمل كلام الله ﷻ ويُفسّر بمجرّد الاحتمال النّحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون به الكلام له معنى ما، فإنّ هذا مقام غلِط فيه أكثر المعربين للقرآن فإنّهم يفسّرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويُفهم من ذلك التركيب أيُّ معنى اتّفق، وهذا غلطٌ عظيم... » (6)

وأردف مؤصّلا طريقة لفهم القرآن: « بل للقرآن عُرفٌ خاصّ ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها... فكما أنّ ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلّها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي

(1) ــ ينظر: شرح الرضي على الكافية، الاستراباذي، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، ط2، 1996م، ج 4، ص321.

(2) ــ هو محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرّد، إمام العربية ببغداد في زمانه، ولد سنة 210هـ أخذ عن المازني وأبي حاتم السجستاني، وتوفي ببغداد سنة 286هـ، من كتبه: الكامل، والمقتضب، وإعراب القرآن... انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، ج4، ص313، وبغية الوعاة، ج1، ص269، والأعلام، ج7، ص144.

(3) ــ المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ط3، 1415هـ- 1994م، ج1، ص184.

(4) ــ ينظر: في نقد النحو العربي، صابر بكر أبو السعود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د ط)، 1988م، ص29.

(5) ــ الصواعق المرسلة، ابن القيم، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـ- 1998م، ج2، ص747.

(6) ــ بدائع الفوائد، ج3، ص876.

تعجز عنها قدْرُ العالمين، فكذلك معانية أجلّ المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به. »[1]

وبناءً على هذا يمكن القول بأنّ العدول في القرآن ليس الخروج عن قوانين العربية، وإنما المقصود هو العدول النّظامي الأسلوبي؛ الذي يوافق نظام العربية المتكامل، والذي يُحمل الكلام فيه بعضه على بعض« ويرتبطُ أوّله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه. »[2]

وهذا ما عناه حسان تمام بالأساليب العدولية، ووضّح معنى العُدول فيها بقوله: « إنّ هذه الأساليب معدول بها عن أصل الاستعمال في عرف النّحاة، ولكن النّحاة على الرّغم من ذلك يقبلونها، ويرفعون درجتها في الاستعمال إلى مستوى التراكيب القياسية، ويبوّبون لها، ويمنحونها المصطلحات الدّالة عليها على عكس نظرهم إلى الترخّص الذي يضطرّون إلى تبريره، فمن المصطلحات العدولية: الحكاية، النّقل، التضمين، النّيابة... والنّحاة يهشّون لكلّ ذلك لأنّه من جُملة المسموع الذي لا يمكن رفضه، ولا وصْمُه بالنّدرة، أو الشّذوذ أو القلّة لكثرة شُيوعه. »[3]

(1) ــ بدائع الفوائد (مصدر سابق)، ج3، ص877.

(2) ــ المزهر في علوم اللغة، ج1، ص313.

(3) ــ البيان في روائع القرآن، ج1، ص443 - 444.

المبحث الثاني: ظاهرة العدول في البحث البلاغي

أبرز هذا المبحث ظاهرة العدول في البلاغة العربية، منها علاقته بالنّظم والظواهر الأسلوبية الأخرى، ومحلّه من علم الأسلوب الحديث، وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: العدول ونظرية النّظم البلاغي.

المطلب الثاني: العدول وظواهر الأسلوب الأخرى.

المطلب الثالث: العدول وعلم الأسلوب الحديث.

المطلب الأول: العـــدول ونظرية النّظم البلاغي

باعتبار العدول خروجا على مقتضى ظاهر الكلام، فهو أسلوب الكلام المبني على اختيار الألفاظ والتّراكيب. والأسلوب يعني: « الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه »[1]، إذن فلُحمة العدول هي الاختيار؛ بتوخّي الفروق الدّقيقة بين الألفاظ ووضعها في مواضعها؛ تبعاً للمقاصد والأغراض التي سيق لها الكلام.

أمّا النّظم كما فَهِمَه عبد القاهر الجرجاني[2] هو: « أن تضعَ كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعملَ على قوانينه وأصوله... »[3]، لكن يجب أن نفهم مِن علم النّحو ما علمه منه الجرجاني من أنّ « الألفاظ مغلقةٌ على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنةٌ فيها حتّى يكون هو المستخرِجُ لها، وأنه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام أو رجحانه حتى يُعرض عليه... »[4]

فوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النّحو هو"توخّي معاني النّحو فيما بين الكلم"، ومعاني النّحو ليست علامات الإعراب؛ الرفع، والنّصب، والجرّ، وإنّما « معاني النّحو منقسمة بين حركات اللّفظ وسكَناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخّي الصّواب في ذلك، وتجنّب الخطأ من ذلك. »[5] إذن؛ فمدار أمر النّظم

---

(1) ــ مناهل العرفان، الزّرقاني، دار الفكر، ج2، ص303.

(2) ــ هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الجرجاني؛ أبو بكر، أخذ النّحو عن ابن أخت الفارسي، وكان من كبار أئمة العربية والبيان، شافعيا أشعريا، مات سنة471، وقيل474، من كتبه: العوامل المائة النحوية، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة انظر: البغية ج2، ص106، والأعلام، ج4، ص48.

(3) ــ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط2، 1992م، ص81.

(4) ــ المصدر نفسه، ص28.

(5) ــ الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـــ- 2003م، ص109.

عند الجرجاني على معاني النّحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، وأنّ مزيّته بحسب المعاني والأغراض التي تُؤمّ. [1]

ويبيّن الجرجاني هذا كلّه فيقول: « واعلمْ أنّا لم نوجب المزيَّة من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه فنستند إلى اللّغة، ولكنا أوجبناها للعلم بمواضِعها، وما ينبغي أن يُصنعَ فيها، فليس الفضل للعلم بأنَّ الواو للجمع، والفاء للتَّعقيب بغير تراخ، و"ثمّ" له بشرط التراخي، و"إنْ" لكذا، و"إذا" لكذا، ولكن لِأن يتأتّى لك إذا نَظمت شعراً وألّفت رسالة أن تُحسن التخيُّر، وأن تعرف لكلٍّ من ذلك موضعه. » [2]

أمّا قوله: بحسب المعاني والأغراض التي تُؤمّ، أي: الغرض الذي يقصده المتكلّم من مطابقة مقتضى الحال، وفي هذا يقول القزويني [3]: « وهذا ـــ أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال ـــ هو الذي يسمّيه الشّيخ عبد القاهر بالنّظم حيث يقول: النّظم تآخي معاني النّحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يُصاغ لها الكلام. » [4]

فيمكن إذن تفهُّم العلاقة بين العدول بمعناه العام وهو الخروج عن مقتضى الظّاهر، وبين ما أسماه الجرجاني بالنّظم أو معاني النّحو، فكلّ منهما تبنّى مبدأ التّخيّر سواء في الألفاظ أو التّراكيب ووَضعُ الكلام وَفقَ الأغراض والمقاصد.

وهذا التّخيّر هو إحدى الأركان التي تربّع فيها النّظم، وإحدى شروط فضيلة الكلام التي يتوقّف عليها النّظم، قال الجرجاني: « ...لأنّه لا فضيلَةَ حتّى ترى في الأمرِ مَصنعاً، وحتى تجد إلى التّخيُّرِ سبيلاً، وحتى تكونَ قد استدركتَ صواباً. » [5]

---

(1) ـ دلائل الإعجاز، ص87.

(2) ـ المصدر نفسه، ص249- 250.

(3) ـ هو محمّد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، ولد بالموصل سنة 666هـ، أصله من قُزوين، أتقن الأصول والعربية والمعاني والبيان، وَلِيَ القضاء، وهو من أدباء الفقهاء، توفي سنة 739هـ، من كتبه: تلخيص المفتاح، والإيضاح في علوم البلاغة... انظر ترجمته في: بغية الوعاة، ج1، ص156، والأعلام ج6، ص192.

(4) ـ الإيضاح، القزويني، ص12.

(5) ـ دلائل الإعجاز، ص98. قال هذا بعدما أشار إلى أنّ ألطف الكلام ما كان عمله أدقّ وطريقُه أغمض ووجه المشابكة فيه أغرب.

لكن هذا التّخيّر ليس اعتباطياً، بل هو اختيار لِلَفظ يقتضيه السّياق، تبعاً للمعنى والمقصد، فكما يكون العدول من لفظ إلى آخر يصحبه عُدول من معنى إلى آخر[1]، يكون النّظم كذلك؛ إذ لا يكون لإحدى العبارتين مزيّة على الأخرى، حتّى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها ـــ وليس المقصود بالمعنى هنا دلالة اللّفظ ـــ بل يراد به الغرض الذي أراد المتكلّم أن يُثبتَه أو ينفيَه.[2]

وهذا الاختيار يقع في العلائق التي تكون بين معاني الألفاظ حال التركيب، ولا يمكن دراسة هذه العلائق بمعزِل عن البلاغة والنّحو، لأنّهما كالضّفيرة في الكشف عن المعنى، وهذا ما كشف عنه مؤلّف الجرجاني: "دلائل الإعجاز"، والأمر نفسه عند السّكاكي في مفتاحه، حيث قَرَنَ علم النّحو بعلميْ المعاني والبيان، فقال: « وأوردت علم النّحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبديع. »[3]، وكذلك الأمر عند ابن القيّم إذ يرى أنّ النّحو تابع للبلاغة في القرآن خاصّة [4]، فدلّ ذلك على تعلّق النّحو بالبلاغة وخاصّة علم المعاني؛ الذي ينضوي فيه العدول.

فلا غَرو إن وجدنا الإمام الشّاطبي ـــ رحمه الله ـــ [5] يقول عن سيبويه ـــ إمام النّحو ـــ إنّه « وإن تكلّم في النّحو، فقد نبّه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرّفاتها في ألفاظها ومعانيها و لم يقتصر فيه على بيان أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبيّن في كلّ باب ما يليق به، حتى إنّه احتوى على عِلم المعاني والبيان، ووجوه تصرّفات الألفاظ والمعاني. »[6]

و قال تمام حسّان: «...النّحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يَدَّعي لنفسه هذا القِسم من أقسام البلاغة الذي يسمّى علم المعاني، حتّى إنّه ليحسُن في رأيي أن يكون علم المعاني قمّة الدّراسات النّحوية... »[7]

---

(1) ـــ ينظر: معاني النّحو، فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ج1، ص9.

(2) ـــ ينظر: دلائل الإعجاز، ص258.

(3) ـــ مفتاح العلوم، ص6.

(4) ـــ ينظر: ابن القيم اللّغوي، أحمد ماهر البقري، مؤسسة شهاب الجامعة، الاسكندرية، 1409هـ- 1989م، ص137.

(5) ـــ هو إبراهيم بن موسى بن محمّد اللّخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة،كان من أئمّة المالكية، توفي سنة 790هـ، له عدّة مؤلفات منها: الاعتصام، وأصول النحو، والمجالس...انظر ترجمته في: الأعلام، ج1، ص75، ومعجم المؤلفين، ج1، ص118.

(6) ـــ الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ- 1997م، ج5، ص54.

(7) ـــ اللغة معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، طبعة 1994م، ص18.

و لكن يمكن تمييز النّحو عن المعاني بأنّ النّحو يؤدّي أصل المعنى مطلقا، وأنّ مصدر المقاييس المعتمدة في تحديده هي استقراء كلام العرب، أمّا المعاني هي ما تؤدّيه مراعاة قواعد التراكيب من وظائف معنوية تستبين بها علاقات الكلم بعضها ببعض؛ وتتحقّق بمراعاة المقامات، والأحوال مستنبطة من تراكيب البُلغاء. (1)

ويمكن تلخيص ما سبق بقولنا إنّ العدول هو إحدى المواد التي يدرسها النّظم، وأنّ « النّظم يئول في النّهاية إلى نوع من الثّبات والتغيّر، فالثّبات يتّصل بالمعنى الأصلي، أمّا المتغيّر فيتّصل بالدّلالة وتنوّعها من خلال العدول في التّراكيب بالتقديم والتّأخير، والحذف والذِّكر، والتّعريف والتّنكير... » (2)

(1) ــ ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص492، والنّحو والأسلوب، ص15.

(2) ــ النّحو بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، محمد عبد المطلب، مجلّة فصول، العدد1، 1984م، ص35.

المطلب الثاني: العدول وظواهر الأسلوب الأخرى

إنّ العدول المقبول عند البلاغيين ــ كما سبق ــ هو الخروج عن مقتضى الظاهر والأقيسة العقلية للنّحاة، وليس عدولا عن الصّواب، بل هو من صميم نظام العربية المتكامل الذي ينمّ عن مستوى إبداعي رفيع وواقع استعمالي بليغ، وهذا النّوع تتعدّد صُوَره وأشكاله ((فلا يكاد يخلو مبحث من مباحث علم المعاني من رصد صورة الأصل، ثمّ بيان الصورة البلاغية التي تتحقّق من خلال العدول عن هذا الأصل))[1]، وهذا ممّا أدرجه المتأخّرون [2] ضمن علم المعاني في مباحث خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر، والتوسّع في الكلام؛ لأغراض ومقاصد بلاغية يقتضيها السّياق، ولكثرة أنواع هذه الظّواهر بتقسيماتها وفروعها؛ أَقْتَصِر بذكر أهمّها ممّا يتشكّل فيها مفهوم العدول، فمن أهمّها أذكر:

أوّلا: أسلوب الالتفات:

وهو من أبرز صور خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر، وهذا الأسلوب في الكلام عند جمهور [3]، علماء البيان هو: ((التّعبير عن معنى بطريق من الثلاثة؛ التكلّم، والخطاب، والغيبة؛ بعد التّعبير عنه بآخر منها))[4]، وهذا يقتضي كون الالتفات هو عدول صيغ الضّمائر مع اتّحاد المعنى وأيضا ((أن يكون الضّمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه))[5]، وهو ما أشار إليه أبو عبيدة [6]ــ وإن لم يسمّه التفاتاً ــ بقوله: ((ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشّاهد

---

(1) ــ العدول في البنية التركيبية، ص557.

(2) ــ قصدت بالمتأخّرين السّكاكي ومن بعده، ينظر: مفتاح العلوم، ص169، والإيضاح، ص106، والمثل السائر، ابن الأثير، دار نهضة، مصر، ط2، ج2، ص70، وعلم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح بسيوني مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، ص259، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم دمشق، ج1، ص478.

(3) ــ خلافا للسكاكي الذي لم يحصر الالتفات في خلاف مقتضى الظّاهر فقط، ومفهومه للالتفات أعمّ من مفهومهم. انظر: المفتاح ص199، والبلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري، محمّد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، ص370.

(4) ــ ينظر: عروس الأفراح ضمن شروح التّلخيص، السّبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص465، والمثل السائر ج2، ص167- 168، والعمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط5، ص45.

(5)ــ عروس الأفراح، ج1، ص472.

(6) ــ هو مَعمر بن المثنى التيمي البصري؛ أبو عبيدة، مولى بني تيم ؛ تيم قريش، ولد سنة 110هــ، أخذ عن يونس وأبي عمرو، وهو أوّل من صنّف غريب الحديث،كان شعوبيا، أو خارجيا، من كتبه: مجاز القرآن، والأمثال في غريب الحديث والمثالب...مات سنة210 هــ، وقيل غير ذلك، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ج9، ص 445، والبغية، ج2، ص294.

ثمّ تُركت وحُوِّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس: 22] أي بكم. »[1]

وقد أفاض البلاغيون في الْتماس الأسرار التي يحقّقها هذا التّحول في الأسلوب، فابن الأثير[2] يرى أنّ الالتفات هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدَنْدَن، وإليها تُسنَد البلاغة، وعنها يُعَنْعَن[3] وليس ببعيد عنه قول السّكاكي: « وهذا النّوع قد اختصّ مواقعه بلطائفَ معانٍ قلّما تتّضح إلا لأفراد بلغائهم ــ يعني العرب ــ أو للحُذّاق المهَرة في هذا الفنّ وللعلماء النّحارير... »[4]

وهذا الإقرار لأسلوب الالتفات من هؤلاء العلماء وغيرهم؛ يَستبعدُ كون غرض الالتفات مقصورا على تطرية نشاط السّامع، ولزيادة الإصغاء ــ كما جاء هذا عن الزّمخشري و القزويني[5] وغيرهم ــ وهي « رؤية تجهض كثيرا من القيم البلاغية التي يمكن أن يتفتّق عنها مثل هذا الأسلوب. »[6]، وإلى هذا ذهب ابن الأثير، حيث خالف رؤية الزّمخشري السّابقة، ويرى أنّ الانتقال من أسلوب إلى آخر لا يكون إلا لفائدة اقتضته، غير أنّها لا تُحَدّ بحدّ، ولا تُضبَطُ بضابط، وأنّ الغرض الموجب لاستعمال هذا النّوع مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشّعب شُعَبا كثيرة، وإنّما يؤتى بها على حسَب الموضع التي تَرِد فيه. [7]

---

(1) ــ مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، ج1، ص11، وانظر: الصاحبـــي، ص219.

(2) ــ هو أبو الفتح نصر الله بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم، المعروف بابن الأثير، ولد سنة 558هـــ، مَهرَ في النّحو واللّغة وعِلْم البيان، استكثر من حفظ الشّعر، مات ببغداد سنة637هـــ، من كتبه: كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم، وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، وكتاب المثل السائر، انظر ترجمته في: البغية، ج2، ص315، ومعجم المؤلفين، ج13 ص98.

(3) ــ ينظر: المثل السائر، ج2، ص167

(4) ــ مفتاح العلوم، ص201، والنّحرير: هو المتقِنُ الذي نَحَرَ العلوم، أي: طهّرها من الشّكّ والشّبهة،كما يُطهَّر المنحورُ من الفضْلة. انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التّلخيص، ج1، ص453.

(5) ــ ينظر: الكشاف، ج1، ص56، والإيضاح في علوم البلاغة، ص77.

(6) ــ العدول في البنية التركيبية، ص571.

(7) ــ المثل السائر، ج2، ص 169- 170.

لكن نجد العلوي[1] في المقابل يدافع بشدّة عن رؤية الزّمخشري، ويعدّها معنىً يليق بالبلاغة ووجهاً لا غبار عليه يشير إلى مقاصد البلاغة،كما عاب عن ابن الأثير نقده للزمخشري، لأنّ ابن الأثير ـــ على حدّ قوله ـــ لم يطلّع على أغواره، ولا أحاط بكُنهه، ودقيق أسراره[2]، وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين في نظرته للالتفات، إذ يرى أنّ ابن الأثير جاوز حدّ الإنصاف في نقده للزمخشري، ولا يمنع أن يكون الالتفات وجها من وجوه إثارة المتلقي، ولفت انتباهه بشرط عدم اقتصار الغرض في ذلك.[3]

والحقّ أنّ هذا الأسلوب وإن تضمّن الإثارة والتَّطْرية، لا يخلوا من معان بلاغية، ووظائف تعبيرية تتجاوز حدّ الإمتاع.

وأسلوب الالتفات ـــ بوصفه عُدولا في التّركيب ـــ قد لاقى مفهومَه اضطراباً عند بعض البلاغيين[4]، وذلك لتعسّر ضبطه في أسلوب معيّن، باتّساع دائرته حيناً، وضيْقها حيناً آخر، فمن تتبّع ظاهرة "الالتفات البلاغية" في مدوّنات البلاغة فإنه يجد جمهور البلاغيين ممن نَهَجَ نَهْجَ ابن المعتزّ [5] أنّهم حصروا هذه الظاهرة الأسلوبية في لون واحد هو: "المخالفة بين الضّمائر"[6]، أمّا ضياء الدّين ابن الأثير، ومن بعده يحي بن حمـــزة العلوي، وبدر الدين الزّركشي [7]؛ فقد وسّعوا دائرة الالتفات إلى ألوان أخرى تجاوزت دائرة الضمائر لتشمل انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر[8]، حتى أدخل العلوي كلّ عدول أسلوبي في مسمّى الالتفات، حيث قال في تعريفه:

---

(1) ـ هو يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي، من أكابر أئمّة الزيدية، ولد في صنعاء سنة 996هـــ، أظهر الدعوة بعد وفاة المهدي محمّد بن المطهر، توفي سنة 745هـــ، من مؤلّفاته: الشّامل نهاية الوصول إلى علم الأصول، انظر: معجم المؤلفين، ج13، ص195، والأعلام، ج8، ص143.

(2) ـ ينظر: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، مصر، 1914م، ج2، ص133.

(3) ـ أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، حسن طبل، ص25.

(4)ـ ينظر: المرجع السابق، ص4.

(5) ـ هو أبو العباس عبد الله بن المعتزّ بن المتوكّل بن المعتصم، ولد سنة 247هـــ، أخذ الأدب عن المبرّد وثعلب، كان أديبا بليغا شاعرا، معدودا من جملة العلماء والأدباء، مات سنة 296هـــ، من كتبه: الزهر والرياض، وطبقات الشعراء...انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، ج3، ص76، والأعلام، ج4، ص 118.

(6) ـ ينظر: البديع، ص58، والكشاف، ج1، ص56، ومفتاح العلوم، ص199، والإيضاح في علوم البلاغة، ص75.

(7) ـ ينظر: المثل السائر، ج2، ص 167، والطراز، ج2، ص132، والبرهان، ج3، ص325.

(8) ـ ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، حيث عدّ جملة من صور الالتفات في القرآن منها: (البناء النّحوي، العدد، الأدوات..)، وانظر: من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، عبد الحكيم راضي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 2006م ص141 وبلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ط)، 1991م، ص280.

« ومعناه في مصطلح علماء البلاغة؛ هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول »[1]، فنظرة العلوي توسّع مفهوم الالتفات إلى دائرة التنوّع الأسلوبي.

ويعقّب الدّكتور حسن طبل بعد هذه النّظرة للالتفات فيقول: « والحقّ أنّ هذا الاتجاه الذي بدأه ابن الأثير والذي لم يُكتب له الذّيوع في مسيرة البحث البلاغي هو اتّجاه صائب في ضوء ما لاحظناه من قبل، من دوران الدّلالة اللّغوية للالتفات حول معنى الخروج، أو التّحول عن المألوف[2]، إذ من الطبيعي أن تتّسع دلالة الالتفات في معناه الاصطلاحي لتشمل ظاهرة الخروج أو التّحوّل الأسلوبي بكلّ تجلّياتها أو صوَرها المتعدّدة »[3]، ولعلّ هذا ما عناه بعض المتأخّرين الذين عرّفوا الالتفات بأنّه: « نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى مطلقاً. »[4]

لكن هناك من لم يرتض بهذا الاتجاه الموسّع للالتفات، وعدّه خلاف المشهور، في الحين الذي حقَن فيه نبعَ الخلاف، واعتبر أنّ ذلك مسألة اصطلاحية لا يترتّب عليها كبير أثر.[5]

ويَتحقّق العدول في الالتفات بانصراف الكلام عن البُنى التّركيبية التي تخصّ الطريق الأول واختياره بُنى تركيبية تخصّ الطريق الجديد الذي عَدَل إليه، وذلك لأغراض بلاغية، ينبض بها التّركيب، لكن هذه الدّراسات حول ظاهرة الالتفات في الغالب الأعمّ لم تهتمّ بقيمته البلاغية بقدْر ما اهتمّت برصد الأمثلة له من القرآن ومن كلام العرب.[6]

ثانيا: وضع الظّاهر موضع الضّمير، ووضع الضّمير موضع الظاهر:

وهو من صور خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر، قال الزّركشي في حديثه عن أسباب الخروج على خلاف الأصل: « واعلم أنّ الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدّث عنه كذلك. والأصل أنّه إذا ذُكر ثانياً أن يُذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظّاهر السّابق... »[7]، لكنّ

---

(1) ــ هو تحوّل عن المألوف باعتبار المعايير النحوية، أمّا من ناحية عرف الاستعمال فهو مألوف، وهذا ما عرفناه في تعريف العدول.

(2) ــ الطراز، ج2، ص132.

(3) ــ أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص22.

(4) ــ عروس الأفراح ضمن شروح التّلخيص، ج1، ص464.

(5) ــ ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ- 1996م، ص262.

(6) ــ ينظر: العدول في البنية التركيبية، ص571.

(7) ــ البرهان، ج2، ص484.

العدول عن هذا الأصل يتضمّن أغراضا بلاغية اقتضاها السّياق، أدرجها البلاغيون[1] في حالات العدول عن الأصل، باسم: وضع الظّاهر موضع المضمر، وعكسه.

فمن صور وضع الظّاهر موضع المضمر، قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: 159]، فقد أوثر التّعبير بلفظ الجلالة في موضع الضّمير فلم يقل: عَليَّ، وأيضا لم يقل: إنّه يحبّ، أو إنّي أحبّ، لما احتواه هذا العدول من سرّ بلاغي لا يتحقّق بغيره من ذلك؛ تقوية لداعي المأمور، وتحقيق التّوكُّل بالتّصريح باسم المتوكَّل عليه. وأغراض هذا الفنّ كثيرة أوصلها الزّركشي[2] إلى سبعة عشر غرضا.

ومن صور وضع المضمَر موضع الظّاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: 117] فالضّمير في قوله: "إنّه" يسمَّى ضمير الشّأن، إذ لم يتقدّم له مرجع، وإنّما يفسّر بالجملة التي بعده، والسّر الجمالي وراء هذا العدول، هو تفخيم الشّأن أو القصّة وتثبيتها في الأنفس، لأنّ مجيء الضمير مبهماً بدون عائد يجعل المخاطب ينشغل به، ويتشوّف إلى تفسيره، فيصغى إلى الكلام وعندما يعثر على المفسّر يقع في النّفس موقعاً حسناً؛ فيقرّ بها ويثبت، ولو اعتمدت الأصل ووضعتَ الاسم الظاهر موضع الضّمير في هذه الآية وقلتَ: إنَّ الكافرين لا يفلحون، لأدبرَت الرَّوعة، وزالت جماليَّات التّركيب. [3]

وهذا اللّون مليء بالحكم والأسرار، لا يسعُ المقام لعرضها، فهي مبثوثة في مصنّفات البلاغة وغيرها. [4]

ثالثا: الأسلوب الحكيم[5]: وهو من بين الأنماط الذي يخرج به الكلام عن مقتضى الظّاهر وهو يعني: " تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنّه الأَوْلى

(1) ــ ينظر: البرهان، ج2، ص482، والبلاغة العربية، ج1، ص503.

(2) ــ البرهان، ج2، ص483، وانظر: عروس الأفراح، ج1، ص459.

(3) ــ ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، ج1، ص261.

(4) ــ ينظر: المرجع السابق، ج1، ص260، والبلاغة العربية، الميداني، ج1، ص507.

(5) ــ أدرج ابن أبي الأصبع هذا الأسلوب تحت باب: "الحَيْدة والانتقال"، انظر: تحرير التحبير، ص565.

بالقصد، أو تلقّي السّائل بغير ما يَتطلَّب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنّه الأَوْلى بحاله، أو المهمّ له... » [1]

ومن أمثلة الأوّل قول القبعثرى للحجّاج بن يوسف الثّقفي لّما توعّده الحجاج بالقتل قائلاً: "لأحملنّك على الأدهم"، أي: لأقيّدنك بالحديد، فردّ القبعثرى: مثْلُ الأمير يَحمِلُ على الأدهم والأشهب، أي: من الخيل.[2]

وهذا العدول عن ظاهر مراد المتكلّم؛ يتجلّى في إجابة المخاطب بغير ما ينتظر من جواب خلافا للأصل المفترض.

ومن أمثلة الثّاني ــ أي إجابة السّائل بغير ما يطلُب في سؤاله ــ قولُه تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: 189]، وذلك أنّهم « سألوا عن سبب اختلاف القمر في زيادة النّور ونقصانه، فأُجيبوا ببيان الغرض من هذا الاختلاف، وهو أنّ الأهِلّة بحسب ذلك الاختلاف؛ معالم يوقت بها النّاس أمورهم من المزارع والمتاجر ومحال الدّيون والصّوم وغير ذلك، ومعالم للحجّ يعرف بها وقته، و ذلك للتنبيه على أنّ الأَولى والأَلْيق بحالهم أنْ يسألوا عن ذلك، لأنّهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة، ولا يتعلّق لهم به غرض. » [3]

والذي ينبغي الإشارة إليه أنّ هذا الأسلوب في القرآن الكريم لا يمكن أن يكون عدولاً عن حقيقة معيّنة، أو حَيْدة عن صواب مقصود ــ وإن كان هذا موجوداً في كلام البَشر الذي تعتريه صفات النّقص والعِيّ والقُصور ــ بل هو خروج عن الظّاهر الذي يرتقبه السّائل ويترجّاه، وإلا فهي إجابة متمكّنةٌ في قرارها، أصيلةٌ في مقامها، غير متناهية من الحِكمة واللّطف.

رابعا: الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المستقبل، وبالعكس:

هذه الصّورة للعدول عدّها الزركشي ممّا يقرُب من الالتفات بأن يُنتقل الكلام من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر[4]، وهو « الانتقال في تتابع الجُمل من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع وبالعكس. » [5]، فالنّوع الأوّل ــ الانتقال من الفعل المستقبل إلى الماضي ــ

(1) ــ الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص79.

(2) ــ البلاغة العربية، ج1، ص499.

(3) ــ مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ، ص81.

(4) ــ البرهان في علوم القرآن، ج3، ص336.

(5) ــ البلاغة العربية، الميداني، ج1، ص515.

يَغلُبُ فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور المتوعَّد بها، فيُعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النّمل: 87]. (1)

وهذه الصّورة؛ أي: "الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل" تُقرّر وجود الفعل الماضي، وتُأَكِّدُ وقوعَه كما قال ابن الأثير:((فإنّه إنّما قال "ففزِع" بلفظ الماضي بعد قوله "يُنفخ" للإشعار بتحقيق الفَزَع، وأنّه كائنٌ لا محالة، لأنّ الفعل الماضي يدلّ على وجود الفعل، وكونه مقطوعا به.)) (2)

أمّا النّوع الثاني ــ الانتقال من الفعل الماضي إلى المستقبل ــ ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: 25].

يُبيّنُ ابن الأثير نكتةَ العدول في هذه الآية فيقول:((فإنّه إنّما عطَف المستقبل على الماضي لأنّ كفرَهم كان وَوُجد ولم يَستجِدّوا بعده كفراً ثانيا، وصدّهم متجدّد على الأيّام لم يمضِ كونُه وإنّما هو مستمِرٌّ يُستأنَفُ في كلّ حينٍ)) (3)، فالكفر من شأنه إذا حصل أن يستمرّ حكمُه عُبِّر عنه بالماضي، أمّا الصّدّ فجاء بالفعل المستقبل إشعاراً بالتّكثير، ولو قال: "وصدّوا" لأشْعَرَ بانقطاع صدّهم.(4)

والأمثلة عن هذا النّوع من المخالفة لمقتضى الظّاهر كثيرة (5) لا يسع المقام لحصرها، وأغراضها متنوّعة بتنوّع الصّيغ لاختلاف المقام، واقتضاءات السّياق، وغيرها.

وممّا يدخل في دائرة خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر أذكر بإيجاز: أسلوب القصر، والإنشاء (الأمر، والنّهي، والتّمنّي والاستفهام، والنّداء)، أسلوب الإيجاز، والإطناب، والتّكرار، والاعتراض وعطف العام على الخاص، وبالعكس، وغيرها مما يتشكّل فيها مفهوم العدول.

---

(1) ــ ينظر: المثل السائر، ج2، ص185، والعدول في البنية التركيبية، ص 573.

(2) ــ المثل السائر، ج2، ص185.

(3) ــ المصدر السابق، ج2، ص 184.

(4) ــ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص336.

(5) ــ ينظر: البلاغة العربية، الميداني، ج1، ص478.

المطلب الثالث: العـــدول وعلم الأسلوب الحديث

بالرّغم من ذيوع ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في البحث البلاغي العربي، فقد اتّخذها علماء الأسلوب والنّقد الحديث، مقياساً كاشفاً لطبيعة الجمال اللغوي؛ ومنه إلى الظاهرة الأسلوبية، باعتبارها الظاهرة التي تبتعد عن الاستعمال المألوف؛ وتهتمّ بمظاهر الخروج عن الأشكال النّحوية في صورتها الأولى وذلك تحت عدّة اصطلاحات[1] منها: "العدول" و"الانزياح" و"المخالفة"، و"الانتهاك"...

ومدلول الأسلوب ـــ عند الأسلوبيين ـــ يعني: ((تفجّر الطّاقات التعبيرية الكامِنة في صميم اللّغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيّز الوجود اللّغوي... فالأسلوب هو الاستعمال ذاته.))[2]

فالأسلوبية إذن هي آلية نقدية تكشف عن جماليات الأسلوب، وتحليل التّراكيب اللّغوية والبلاغية للنّصوص.

أمّا عن المنهج الذي سار عليه الأسلوبيّون في تحليل ظواهر الأسلوب فهو منهج المقارنة، أي: مقارنة كلّ ظاهرة ببديلها المفترض، كي تتكشّف القيمة الفنّية لإيثارها ـــ دون هذا البديل ـــ في سياقها الخاص الذي وردت فيه.[3]

وهذا المنهج الذي سلكته الأسلوبيّة يلخّص محورين على أساسهما يتشكّل الأسلوب؛ وهما:

أوّلا: محور العلاقات الرّأسية: وهو المحور التي يتحرّك في الحقول الدّلالية عبر ظلال الفوارق الدّقيقة لينتقي مثلاً من بين أفعال الشّرب؛ امتصَّ، وشرِب، وبَلَعَ، وتجرَّع، وتعاطَى، و تَساقَى، ما يتلاءَم مع المعنى الدّقيق. و قد يمتدّ هذا المحور إلى التركيب الصّرفي، وإلى مجال المعجم التاريخي.

ثانيا: محور العلاقات الأفقية التّركيبية: وهو المحور الذي ينتقي النّسق التّركيبي الأكثر ملائمة للموقف وسوف يجدُ أمامه كثيرا من خيارات التّنسيق بين الوحدات الصغرى، الحروف والأفعال والأسماء التي تمّ اختيارها في المرحلة الأولى.[4]

---

(1) ـــ ينظر: الأسلوبية والأسلوب، ص100، وما بعدها.

(2) ـــ المرجع نفسه، ص89، وانظر تعريفات الأسلوبية في: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ص20، والأُسلوبية والبيان العربي، محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992م، ص23. والبلاغة والأسلوبية، ص172- 173- 174، و للتوسّع ينظر: الأسلوبية والأسلوب، للمسدي، مِن ص33 إلى ص125.

(3) ـــ ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ص41.

(4) ـــ ينظر: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص47.

فالانزياح من النّاحية العملية متّصل بركنين أساسين: الأوّل متّصل بالتوزيع أي بـــ"العلاقات الرّكنية" بمعنى العدول عن النّمط التّركيبي الأصلي،كالتقديم والتأخير، والحذف والذِّكر، والآخَر يختصّ بجدول الاختيار، ويوضّح هذا الدّكتور المسدي بقوله: « أمّا فيما يخصّ جدول الاختيار أي: العلاقات الاستبدالية فكقول الشاعر: "والعَيْنُ تَخْتَلِسُ السَّمَاعَ..."، فالمألوف أن تسترق حاسّةُ البصر النَّظر، وفي العدول عن عبارة النّظَر، واختيار عبارة السّماع سِمة أسلوبية. »[1]

وهذا المنهج وإن كان مبتكراً عند الأسلوبيين؛ فليس بجديد على فِكر عبد القاهر الجرجاني ومن قبله إذ إنّ هذين المنهجين قد « لقيا عناية فائقة في التّراث العربي القديم، وخاصّة في علم المعاني الذي اهتمّ بفكرتيْ الاختيار والتّنسيق، وجعل منهما أساسا للنّظرية التي قام عليها، وهي: نظرية النّظم. »[2]

وقد تحدّث البلاغيون عن مظاهر الخروج التي يتحقّق بها مطابقة مقتضى الحال، وهي صور الخروج عن مقتضى الظاهر ـــ كما جاء بعضها في المطلب السّابق ـــ ولم يهملوا موافقة الكلام لمقتضى الظاهر إذا طابق مقتضى الحال، « ولعلّ ما تحدّث عنه البلاغيّون من مظاهر الخروج؛ هو بعينه ما يتناوله درْس الأسلوب في العصر الحديث تحت اسم: "العدول" أو "الانزياح"، واستعمال كلمة "العدول" في تراثنا البلاغي كثير وشائع مما يدلّ على أنّ البلاغيين قد فهموا الخروج على أنّه عدول، وإن لم يتّخذوا من كلمة العدول مصطلحا. »[3]

قال المسدّي موضّحاً معنى الانزياح: «...على أنّ المفهوم ذاته يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التّجاوز وأن نُحْيِيَ له لفظة عربيّة استعملها البلاغيون في سياق محدّد، وهي عبارة العدول. »[4]

أردت ممّا سبق الإشارة إلى أنّ المنهج الذي سلكته الدّراسات اللّغوية الحديثة، والأسلوبية خصوصاً في معالجة العدول؛ باعتباره جديدا في فهمهم، هو المنهج العتيق الذي ترسّخت جذوره في التّراث العربي النقدي والبلاغي، وأُشرِب فَهمُه في التّفكير البلاغي العربي.[5]

---

(1) ـــ ينظر: الأسلوبية والأسلوب، ص163.

(2) ـــ دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص47.

(3) ـــ مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح خلف الربيعي، 1996م، ص579- 580.

(4) ـــ الأسلوبية والأسلوب، ص162- 163.

(5) ـــ للتفصيل ينظر: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص85، وما بعدها، فقد أشار إلى أنّ الأسلوبية الحديثة تبنّت في بعض مباحثها ما عُرِف في التراث البلاغي باسم: النظم وعلم المعاني. ومِن آفاق الفكر البلاغي عند العرب، عبد الحكيم راضي، ص19، وما بعدها، حيث بيّن أنّ المنهج التحويلي عند أصحابه لم يغب لفظا ومعنى عن التفكير اللّغوي العربي.

المبحث الثالث: حروف الجرّ وعدولها في القرآن

واحتوى هذا المبحث على أربعة مطالب؛ هي على النّحو الآتي:

المطلب الأول: حروف الجر، مسمّياتها، وأنواعها.

المطلب الثاني: أثر حروف الجر في فهم معاني القرآن.

المطلب الثالث: أثر حروف الجر في إبراز بلاغة القرآن.

المطلب الرابع: تجليّات ظاهرة عدول حروف الجرّ في القرآن.

المطلب الأول: حروف الجرّ، مسمّياتها، وأنواعها

أ ــ حروف الجرّ:

نظراً لورود حروف الجرّ في المصنّفات النّحوية الكثيرة [1]، وما يتعلّق بها، كتعريف الحرف وسبب تسميته بذلك، وذكر معاني حروف الجرّ، وأقسامها، وعدّها...اعتمدتُ صورة موجزة تلخّص ماهية حروف الجرّ، وعدّها، وأصول معانيها، ومسمّياتها الدّالة عليها، وأنواعها.

فحروف الجرّ تعني: " ما وُضِعَ للإفضاء بفعل أو شِبهه أو معناه إلى ما يليه وهو الاسم الصّريح"

فالفعل: نحو: مررتُ بزيد، فإنّ الباء أفضى معنى الفعل إلى الاسم الصّريح وهو زيد.

وشبه الفعل: نحو: أنا مارّ بزيد، فإنّ الباء أفضى معنى مارّ وهو شبه الفعل إلى زيد.

ومعنى الفعل: نحو: زيد في الدار لإكرامك: أيْ استقرّ فيها له. [2]

أمّا عن عدّ حروف الجرّ، فيقول ابن مالك ــ رحمه الله ــ:

هَاكَ حُرُوفَ الجَرِّ، وهِيَ: مِنْ، إِلَى حتَّى، خَلا، حَاشَا، عَدَا، في، عَنْ، عَلَى

مُذْ، مُنذُ، رُبّ، اللّامُ،كيْ، واوٌ، وتا والكَــافُ، والبَــا، ولَعَــلَّ، ومَتَــى. [3]

ــ **مِن:** لابتداء الغاية: قال سيبويه: " وأمّا "مِن" فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: مِنْ مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا. وتقول إذا كتبتَ كتاباً: مِنْ فلان إلى فلان فهذه الأسماء سِوى الأماكن بمنزلتها. " [1]

---

(1) ــ ينظر: الجنى الداني، المرادي، الباب الأول، والباب الثاني، وتوضيح المقاصد والمسالك، ج2، ص738، وهمع الهوامع، السيوطي، ج2، ص331، وشرح الجمل في النّحو عبد القاهر الجرجاني، ص163، وشرح الرضي على الكافية، الاستراباذي، ج4، ص260، ومعجم حروف المعاني، محمد حسن الشريف، مؤسسة الرسالة، ط1، ج2، وج3.

(2) ــ العوامل المائة النّحوية في أصول علم العربية، عبد القاهر الجرجاني، ت: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص87.

(3) ــ ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار الإمام مالك، الجزائر، 1430هـ- 2009م، ص62.

وجاء في "مغني اللبيب" أنّ ابتداء الغاية « هو الغالب عليها حتى ادّعى جماعة أنّ سائر معانيها راجعة إليه... » [2] و « علامة كونها لابتداء الغاية؛ صحّة استعمال "إلى" أو ما يفيد فائدتها في مقابلتها، نحو: سرتُ من البصرة إلى الكوفة، وقد يتوفّر القصد إلى المبتدأ منه، فلا يقصد فيها الانتهاء، نحو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. » [3]

ــ **إلى**: لانتهاء الغاية زمانا أو مكانا، وهو أصل معناها، قال المبرّد: "وأما "إلى" فإنّما هي للمنتهى، ألا ترى أنّك تقول: ذهبت إلى زيد وسرت إلى عبد الله، ووكلتُك إلى الله. [4]

ــ **حتّى**: الجارّة، ومعناها: انتهاء الغاية، ومذهب البصريين أنّها جارّة بنفسها، وقال الفراء[5] تخفِض لنيابتها عن "إلى" لا بنفسها، والفرق بينها وبين"إلى" هو أنّ مجرور"إلى" يكون ظاهرا وضميرا، أمّا "حتى" فلا يكون مجرورها إلا ضميرا، ومجرور"إلى" لا يلزم كونه آخر جزء أو ملاقي آخر جزء، تقول: أكلتُ السّمكة إلى نصفها، بخلاف حتّى، والفرق الآخَر أنّ أكثر المحقّقين على أنّ "إلى" لا يدخل ما بعدها فيما قبلها، بخلاف حتّى. [6]

ــ **في**: للوعاء، أو الظّرفية؛ وهي الأصل فيه، و لم يُثبت له البصريون غيره، تقول: هو في الجِراب وفي الكِيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغلّ، لأنّه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له وكذلك: هو في القبّة، وفي الدّار، وإن اتّسعت في الكلام فهي على هذا، وإنّما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشّيء وليس مثله. [7]

ــ **عن**: للمجاوزة، وهو أشهر معانيها، و لم يُثبِت لها البصريون غير هذا المعنى، تقول: رميتُ عن القوس لأنّه يقذف عنها بالسّهم ويبعده، قال سيبويه: « وأمّا "عن" فلِما عَدا الشيء، وذلك قولك: أطعمتُه عن جوع؛ جعل الجوع منصرفا تاركا له قد جاوزه، وقد سقاه عن العَيْمة؛

---

(1) ــ الكتاب، ج4، ص224، وانظر: المقتضب، ج4، ص136، وحروف المعاني، ص50، والجنى الداني، ص308.

(2) ــ مغني اللبيب، ص419.

(3) ــ أسرار النحو، ابن كمال باشا، ت: أحمد حسن حامد، دار الفكر، ط2، 1422هـ- 2002م، ص271.

(4) ــ ينظر: المقتضب، ج4، ص139، والصاحبي، ص136، وكشف الأسرار، ج2، ص264، والجنى الداني، ص385، وارتشاف الضرب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ- 1998م، ص1730.

(5) ــ ينظر: معاني القرآن، ت: محمد علي النّجار، الدار المصرية، (د ط)، ج1، ص137.

(6) ــ ينظر: الصاحبي، ص154، وشرح المفصل، ج8، ص15، والجنى الداني، ص542، وارتشاف الضرب، ص1752.

(7) ــ ينظر: الكتاب، ج4، ص226، وشرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ج8، ص20، والجنى الداني، ص250. وقال ابن فارس هي للتضمّن، انظر: الصاحبي، ص161.

والعَيْمة: شهوةُ اللّبن. » [1]، وأثبت لها ابن فارس معنى الانحطاط والنزول، كقولك "نَزَل عن الجبل" و"أَخَذَ العلم عن زيد"، لأنّ المأخوذ عنه أعلى رتبة من الآخِذ. [2]

ـــ **على**: لِاستعلاء الشيء؛ ولم يُثبِت لها أكثر البصريين غير هذا المعنى، وتأوّلوا ما أوهم خلافه تقول: هذا على ظهْر الجبل، وهي على رأسه، وأمّا مررْت على فلان فجرى هذا كالمثَل، وعلينا أمير كذلك، وعليه مالٌ؛ أيضا، وهذا لأنّه شيء اعتَلاه، ويكون مررْتُ عليه، أن يريد مروره على مكانه ولكنّه اتّسع ولا يخرج عن العلوّ، كما قال ابن فارس: « وهي وإن انْشَعَبَت راجعة إلى أصل واحد. » [3]

ـــ **اللام**: لام الإضافة، ومعناها المِلك واستحقاق الشيء، تقول: الغلام لَك، والعبد لَك، فيكون في معنى هو عبدك، فيكون مستحقّا لهذا كما يكون مستحقّا لما يملك، فمعنى هذه اللام معنى إضافة الاسم [4] وذكر "المرادي" أنّ أصل معناها الاختصاص، وأما المِلْك فهو نوع من أنواع الاختصاص؛ وهو أقوى أنواعه، وكذلك الاستحقاق، لأنّ من استحقّ شيئا فقد حصل له به نوع اختصاص. [5]

ـــ **الكاف**: كاف الجرّ حرف ملازم لعمل الجرّ، حرَكته الفتح، ومعناها التشبيه، وذلك قولك: أنت كزيد، وهي عند سيبويه لا تكون اسما، ومذهب الأخفش والفارسي وكثير من النّحويين أنّه يجوز أن تكون حرفا واسما. [6]

ـــ **الباء**: للإلزاق ـــ ويقال الإلصاق ـــ والاختلاط، تقول خرجْت بزيد، ودخلْت به، وضربتُه بالسّوط: ألزقْتَ ضرْبَك إيّاه بالسّوط، فما اتّسع من هذا في الكلام؛ فهذا أصله، والإلصاق معنى لا يفارق الباء لذلك لم يذكر له سيبويه معنى غيره. [7]

---

(1) ـ الكتاب، ج4، ص226، انظر: الجنى الداني، ص245، وارتشاف الضرب، ص1727.

(2) ـ الصاحبي في فقه اللغة، ص159.

(3) ـ الصاحبي، ص160، وانظر: شرح المفصل، ج8، ص37، والجنى الداني، ص476، وارتشاف الضرب، ص1706، وأسرار النّحو، ص276.

(4) ـ ينظر: الكتاب، ج4، ص217، وحروف المعاني، ص44، والصاحبي، ص117، والارتشاف، ص1710.

(5) ـ ينظر: الجنى الداني، ص96.

(6) ـ ينظر: الكتاب، ج4، ص217، والجنى الداني، ص78، والارتشاف، ص1710.

(7) ـ ينظر: الكتاب، ج4، ص217، وحروف المعاني، ص47، والصاحبي، ص107، وكشف الأسرار، ج2، ص250، وشرح المفصل، ج8، ص22.

ــ **خلا، حاشا، عدا:** هذه الأحرف مختلف في حرفيّتها، فتُستعمل تارة حروف جرّ، فتجرّ ما بعدها. وتستعمل تارة أفعالا فتنصب ما بعدها، وليس لها شواهد من القرآن الكريم. (1)

ــ **مُذْ، مُنْذُ، رُبّ:** لم يقع في القرآن مذ، ولا منذ، ولا ربّ؛ إلا مكفوفة بـــما؛ في آية واحدة(2)

ــ **كيْ:** حرف يقارب معناه معنى اللام، لأنّها تدلّ على العلّة والغرض، وتُستعمل حرف جرّ فيدخلونها على الاسم قالوا: "كيْمه"، والأصل "ما" الاستفهامية فأدخلوا عليها "كيْ" كما يدخلون اللام، ثمّ حذفوا الألف، وأتَوا بهاء السّكت في الوقف؛ فقالوا: "كيْمه"، كما قالوا: "لِمَه" (3)، وليس لها شواهد من القرآن الكريم.

ــ **الواو:** تجرّ في القَسَم، وقيل هي بمنزلة الباء، وذلك قولك: والله لا أفعل، وقيل الواو أصل وليست بدلا من الباء في القَسَم. (4)

ــ **التاء:** من حروف الجرّ، تجرّ في القَسَم، ولا تدخل إلا على اسم الله تعالى، وحكى الأخفش دخولها على الرَّبّ، قالوا: تربّ الكعبة، لكن ذلك شاذ. (5)

ــ **لعلّ، متَى:** هما حرفان شاذّان في الجرّ بهما، أمّا "لعلّ" فالجرّ بها لغة عقيل، يقولون: لعلّ زيدٍ قائمٌ، وأمّا "مَتِ" فالجرّ بها لغة هُذيل؛ بمعنى من، ومن كلامهم: أخْرَجَها متِ كُمّه، أي: مِن كُمّه (6)، وليس لها شواهد من القرآن الكريم.

ب ــ مسمّيات حروف الجرّ:

وردت عدّة مسمّيات تُطلق ويُراد بها حروف الجرّ، منها: حروف الإضافة، وحروف الصّفات وحروف الخفض. (7)

---

(1) ــ ينظر: الجنى الداني، ص436، 461، 558، والارتشاف، ص1751.

(2) ــ ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، ج3، ص412.

(3) ــ ينظر: شرح المفصل، ج8، ص49.

(4) ــ ينظر: الكتاب، ج4، ص217، والجنى الداني، ص154، والارتشاف، ص1717، وأسرار النحو، ص281.

(5) ــ ينظر: الجنى الداني، ص57، والارتشاف، ص1717، وأسرار النحو، ص281.

(6) ــ ينظر: الجنى الداني، ص582، وص505.

(7) ــ ينظر على الترتيب: الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، ت: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1399هـ-1979م، ص93، وشرح المفصّل ابن يعيش، ج8، ص7، ومعاني القرآن، الفراء، ج2، ص222. أمّا الخفض فمصطلح كوفي باعتبار حركة اللّسان عند النّطق، انظر: الإيضاح في علل النحو، ص93.

و« تسمّى حروف الإضافة، لأنّها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها، وتسمّى حروف الجرّ لأنّها تجرّ ما بعدها من الأسماء أي تخفضها، وقد يسمّيها الكوفيون حروف الصّفات لأنها تقع صفات لما قبلها من النّكرات. »(1)

قال الرضي: « والأظهر أنّه قيل لها حروف الجرّ، لأنّها تعمل إعراب الجرّ، كما سُمّيت بعض الحروف حروف الجزم، وبعضها حروف النّصب. »(2)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « نحاة الكوفة يسمُّون حروف الجرِّ ونحوها حُرُوف الصِّفات...إذ النّحاة إنّما سمّوا حروف الجرّ حروف الصّفات، لأنَّ الجارّ والمجرور يصير في المعنى صفة لما تعلَّق به. »(3)

وذكر ابن القيّم مصطلح "الوصلات"، وعَنى بها حروف الجرّ وما شاكلها في الوظيفة؛ وهي التّوصّل بها إلى غيرها. لأنّ حروف الجرّ وضعوها ليتوصّلوا بالأفعال إلى المجرور بها، فلولاها لما نفذ الفعل إليها ولا باشرها.(4)

ج ــ أنواع حروف الجرّ:

حروف الجــرّ التي وردت في القرآن الكريم؛ نوعان: نوع يجرّ الظّاهر فقط، ونوع يجرّ الظّاهر والمضمر. فالأوّل؛ هو الأحرف المذكورة في البيت الآتي:

بالظّاهِرِ اخْصُصْ مُنْذُ، مُذْ، وَحَتَّى وَالْكَاف، والْوَاو، ورُبَّ، والتَــا.

بالإضافة إلى: لَعَلَّ، وكَيْ، ومَتَى، أمّا النوع الآخَر: فهو الحروف الأخرى الباقية.(5)

أوّلا: الحروف المختصة بجرّ الظاهر والمضمر: وهي سبعة حروف، مِن، وإلى، وفي، والباء، واللام، وعن، وعلى.

ــ مِن: تأتي جارة للظاهر والمضمر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: 7]، والشّاهد في قوله: ﴿مِنَ

(1) ــ شرح المفصل، ابن يعيش، ج8، ص7.
(2) ــ شرح الرضي على الكافية، ج4، ص261.
(3) ــ مجموع الفتاوى، ج35، ص267.
(4) ــ ينظر: بدائع الفوائد، ج1، ص225- 226.
(5) ــ ينظر: توضيح المقاصد، ج2، ص741.

ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ حيث جرّت الظاهر، وفي قوله: ﴿ وَمِنكَ ﴾، حيث جرّت الضمير، وقوله: ﴿ وَمِن نُّوحٍ ﴾، حيث جرّت الظاهر.

ـــ إلى: تجرّ الظاهر كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: 105]، كما تجرّ الضمير، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: 10].

ـــ عن: تجرّ الظاهر، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر: 8] وتجرّ الضمير، كما في قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [البيّنة: 8].

ـــ على: تجرّ الظاهر والضمير كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [غافر: 80].

ـــ في: جرّها للظاهر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الذاريات: 20] وجرّها للضمير كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ ﴾ [الزّخرف: 71].

ـــ الباء: جرها للظاهر، كما في قوله تعالى: ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: 128]، وجرّها للضمير، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُواْ ﴾ [الإسراء: 107].

ـــ اللام: تُكسر مع جرّها للظاهر، كما في قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحشر: 1].

وتُفتح مع الضمير، كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: 255].

ثانيا: الحروف المختصة بجرّ الظاهر فقط: وهي: التاء، وحتى، والكاف، والواو، ومذ، ومنذ وربّ، والحروف الثلاثة الأخيرة لم ترد لها شواهد قرآنية.

ـــ التاء: ولا تجرّ إلا لفظ الجلالة (الله) جلّ وعلا، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يوسف: 85].

ـــ حتى: تجرّ الاسم الظاهر الصّريح، وجاءت في القرآن جارّة للفظ "حين" في ست آيات، وجاءت جارّة لمصدر ميمي في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر: 5]

ــ الكاف: كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: 74].

ــ الواو: ولا يُذكر فعل القسم معها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ [التين: 1- 3]، وجواب القسم هو قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ [التين: 4]. (1)

(1) ــ ينظر: النّحو القرآني قواعد وشواهد، جميل أحمد ظفر، مكة المكرمة، ط2، 1418هـ، 1998م، ص395- 398، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج2، ص185- 199- 272- 326- 432، ج3، ص320.

المطلب الثاني: أثر حروف الجرّ في تحديد معاني القرآن

لقد كان لحروف المعاني الجارّة الأثر البارز عند النّحويين الأصوليين و المفسّرين، حيث أوْلوها أهمية كبيرة تتعلّق أساساً بفهم القرآن وتفسيره، ومعرفة معانيه ومقاصده، بل ربّما تزيد العناية بذلك، إذا تعلّق الأمر بمسائل العقيدة كفهم آيات الصّفات، وغيرها، ومن ذلك سُمّيت بحروف المعاني لـــ" إيصالها معاني الأفعال إلى الأسماء، أو لدلالتها على معنى. "[1]

وإذا كانت الأدوات لا تدلّ على معان معجميّة لكنّها تدلّ على معان وظيفية تتمثّل في التّعليق[2]، فحروف الجرّ تختصّ بمعان وظيفية خاصّة، حيث تكون الأداة هي العنصر الرّابط بين أجزاء الجملة كلّها والمعنى الذي تؤدّيه هو معنى الجملة كاملة تحدّده القرينة، وهذا الأمر وعاه النّحاة وفهموه، أي ـــ تعلّق الحرف ـــ وقالوا في تعبيرهم عن هذا الفهم إنّ هذه "معان حقّها أن تُؤدّى بالحرف"، ومن هنا نعرف أنّ الأداة تنتمي إلى طائفة الكلمات التي يعبّر بها عن المعاني العامّة إمّا مباشرة أو بصورة غير مباشرة. [3]

ولقد اهتمّ القُدماء ـــ وخاصّة النّحاة ـــ اهتماما كبيراً بتعلّق الحرف بالفعل، وناقشوه ضمن مباحث التّعدي واللّزوم، وأنماط التّركيب النّحوية للحروف، وأفردوا لها مصنّفات خاصّة، منها كتاب الحروف للكسائي (ت189هـــ)، واللّامات في القرآن للأخفش الأوسط (ت215هـــ) واللّامات للزجاجي (ت337هـــ)، وغيرهم. [4]

قال أبو حيّان التوحيدي[5]؛ منوّها بدور الحرف في الإفصاح عن المعنى: "...والكلامُ يتغيّر المراد فيه باختلاف الإعراب، كما يتغيّر الحكم فيه باختلاف الأسماء، وكما يتغيّر المفهوم فيه

---

(1) ـــ كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام للبزدوي، عبد العزيز البخاري، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص160.

(2) ـــ التّعليق: مثل تعلّق الجار بالفعل، فيتوقّف معنى أحدهما إلا بالآخر، بشرط أنّ العرب وصلته به، واستمرّ سماع ذلك منهم، انظر: أمالي ابن الشّجري، هبة الله ابن الشجري، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـــ، ج3، ص169.

(3) ـــ ينظر: اللغة معناها ومبناها، ص125- 128.

(4) ـــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، محمّد محمّد داوود، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1423هـــ-2002م، ج1، ص11- 12.

(5) ـــ هو علي بن محمّد بن العباس التوحيدي، فيلسوف، متصوّف، معتزلي،كان متفنّنا في جميع العلوم، ولد بشيراز، وأقام مدة ببغداد مات عن نيّف وثمانين عاما، سنة400هـــ، من كتبه: البصائر والذخائر، والمقابسات، والإمتاع والمؤانسة... انظر ترجمته في: البغية، ج2، ص190، والأعلام، ج4، ص326.

باختلاف الأفعال وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف، ولقد قال رجلٌ بالرّي كان نبيلاً في مرتبته عظيماً عند نفسه: "اقعد حتّى تتغذّى بنا"، وهو يريد تتغذّى معنا؛ فانظر إلى المحال الذي رَكِبه بلفظه، وإلى المراد الذي جانَبَه بجهله. »(1)

وَحكى أيضاً مناظرة ساقها؛ عن أبي سعيد السّيرافي(2) قوله: «...سمعتكم تقولون إنّ "في" لا يَعرف النّحويون مواقعها، وإنّما يقولون هي للوعاء، كما يقولون إنّ الباء للإلصاق؛ وإنّ "في" تقال على وجوه: يُقال الشيء في الإناء، والإناء في المكان، والسّائس في السّياسة، و السّياسة في السّائس... فالنّحوي إذا قال "في" للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصّحيح، وكنّى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير... »(3)

فاللّغة اقتضت أن يكون لكلّ معنى من المعاني أدوات معيّنة كحروف الجرّ مثلاً، لكن لا يكفي المعنى العام لهذه الحروف، حتّى يُختار المواقع التي تتطلّب هذه الحروف، وهذه النّظرة « تقتضي أن تختصّ كلّ أداة من هذه الأدوات بجانب دقيق من جوانب المعنى. »(4)

كما كان لحروف الجرّ حضورها في تأصيل المسائل الفقهية، لأنّها تتعلّق بالمعاني والدّلالات التي يُفهم خلالها المقصود، ومن بين ما يبرزه دورها في المعنى الفقهي قولهم إنّ الرّجُل إذا « حَلف لا تخرج امرأته إلى العرس؛ فخرجت من أجله و لم تَصِلْ فلا حَنَث، لأنّ الغاية لم توجد، وكذا لو انعكس الحال فخرجت لغير العرس ثمّ دخلت إليه، بخلاف ما إذا أتى باللام؛ فقال: للعرس، فإنه لا يشترط وصولها متى خرجت له إمّا وحده وإمّا مع غيره طُلّقت؛ لأنّ حرف الغاية وهو "إلى" لم يوجد... ووجْه التّفرقة أنّ أصل "إلى" الغاية، وأصل "اللام" للمِلك؛ فإن تعذّر حُمِل ما يقتضيه السّياق من التعليق والانتهاء. »(5)

فإذا كان هذا الاهتمام من النّحاة والأصوليين؛ فمن البلاغيين يكون أولى و أحرى، لأنّ البلاغة تدرس علم المعاني الذي يستدعي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفصاحته، لكن مع ذلك « لم

---

(1) ــ الإمتاع والمؤانسة، ص95.

(2) ــ هو الحسن بن عبد الله المرزبان أبو سعيد السيرافي النّحوي، ولد بسيراف قبل270هـ، درس علوم القرآن والنّحو واللّغة والفقه ببغداد، وَلِيَ القضاء ببغداد، وله شرح الكتاب، وأخبار النّحاة والبصريين... انظر ترجمته في: البغية، ج1، ص507- 508.

(3) ــ الإمتاع والمؤانسة، ص106.

(4) ــ دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتّراث، ص128.

(5) ــ الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية ، ط1، 1411هـ-1991م، ج2، ص206.

يُدرج البلاغيون الحديث عن معاني حروف الجرّ ضمن الحديث عن متعلّقات الفعل، و لم يهتمّوا بمعانيها الأدبية ... » (1)

فالذين اهتمّوا بمعاني حروف الجرّ حقيقةً هم المفسّرون، حيث التفّتوا إلى معانيها الأدبية، لأنّهم يدركون حقيقةً أنّ حروف الجرّ لها تأثير بالغ في الدّلالة، وقد أعربت دراسات المفسّرين عن « مدى قدرة وفاعليّة المعنى النّحوي الدّلالي في الكشف عن دلالة النّصّ القرآني، ومن ثمّ الابتعاد عن الانحسار في نطاق الصّيغ النّحوية التّجريدية الثّابتة؛ التي لا تشكّل إلا شقّا واحداً من جدائل المعنى النّحوي لنصٍّ ما. » (2)

فمعرفة الدّلالات التي تؤدّيها الحروف في القرآن هي من القضايا التي يحتاج إليها المفسّر لفهم المعاني واستنباط الأحكام، وهذا ما نبّه عنه الإمام السّيوطي ـــ رحمه الله ـــ تحت عنوان: "معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر" ويعني بها حروف المعاني، وما شاكلها، حيث قال في شأنها : « اعلم أنّ معرفة ذلك من المهمّات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلامُ والاستنباط بحسبها... عن ابن عبّاس؛ قال الحمد لله الذي قال: عن صلاتهم ساهون، و لم يقلْ: في صلاتهم. » (3)

ومن الشّواهد التي يتوقّف معناها على فهم معاني حروف الجرّ في القرآن؛ قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾[المائدة: 6]. فقد اختلف المفسّرون في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ إلى أقوال حكاها ابن العربي(4) وهي: أنّ منهم من قال إنّ "إلى" بمعنى "مع" أي: مع المرافق، ومنهم من قال إنّ "إلى" حدّ، والحدّ إذا كان من جنس المحدود دخل

(1) ـ علم المعاني في التّفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية، فايزة سالم صالح يحيى أحمد، (رسالة دكتوراه) جامعة أمّ القرى، 1996م، ج1، ص219، وانظر: المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية، صالح بن عبد الله الشتري (رسالة دكتوراه) جامعة أمّ القرى، 1421هـ- 2001م، ص251.

(2) ـ فاعلية المعنى النّحوي الدّلالي، فايز صبحي عبد السّلام، مجلّة كلية الدّعوة الإسلامية، العدد21، 2004م، ص496.

(3) ـ الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي، القاهرة، (د ت)، ج1، ص146.

(4) ـ هو محمّد بن عبد الله الاشبيلي المالكي؛ أبو بكر بن العربي، ولد سنة 468هـ في اشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، ووليَ قضاء اشبيلية، وتوفي بفاس سنة 543هـ، من كتبه: العواصم من القواصم، وأمّهات المسائل... انظر: السّير، ج20، ص198.

فيه، تقول بعتُكَ هذا الفدّان[1] من ها هنا إلى ها هنا، فيدخل الحدّ فيه، وإذا لم يكن من جنسه لا يدخل كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [البقرة: 187]، لم يدخل اللّيل لأنّه ليس من جنس النّهار، ومنهم من قال إنّ المرافق حدّ السّاقط لا حدّ المفروض[2]. فمنشأ الخلاف في هاته الآية يتوقّف حول معنى "إلى" هل هي لانتهاء الغاية أم للمعية. فمن قال هي بمعنى "مع" قال بوجوب غسل المرفقين، ومن قال إنّ "إلى" للغاية والحدّ؛ فلا يدخل في المحدود رأى عدم وجوب غسل المرفقين، ونفس التّعليل بالنّسبة لقوله تعالى: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾.

ويبيّن ابن القيّم ــ رحمه الله ــ تأثّر المعنى؛ لاختلافٍ في استعمال حرف الجرّ دون آخر، في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة: 91-92] يقول: « فليس هذا بسلامُ تحيّة، ولو كان تحيّة لقال "فسلامٌ عليه" كما قال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الصافات: 109]، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ ﴾ [الصافات: 79]. ولكن الآية تضمّنت ذكر مراتب النّاس وأقسامهم عند القيامة الصّغرى حال القدوم على الله فذكر أنّهم ثلاثة أقسام: مقرّب له الرّوْح والرّيحان وجنّة النّعيم، ومقتصد من أصحاب اليمين له السّلامة فوعَدَه بالسّلامة، ووعد المقرّب بالغنيمة والفوز وإن كان كلّ منهما سالماً غانماً. وظالمٌ بتكذيبه وضلاله فأوعده بنُزل من حميم وتَصْلية جحيم، فلمّا لم يكن المقامُ مقامَ تحيّة، وإنّما هو مقامُ إخبار عن حالِه، ذَكَرَ ما يحصُل له من السّلامة. »[3]

ذكر هذا بعدما بيّن أنّ الأليق بسلام التحيّة أن يعدّى بـ"على" « فقولك سلّمت عليه، أي: ألقيت عليه هذا اللّفظ وأوضعته عليه إيذانا باشتمال معناه عليه كاشتمال لباسه عليه، وكان حرف "على" أليق الحروف به فتأمّله. »[4]

ثمّ يسأل عن معنى اللام في قوله لَكَ، ومعنى حرف "من" في قوله: ﴿ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ حيث لم يرَ أحدا من المفسّرين شفى في هذا الموضع الغليل، ولا كشف حقيقة التنزيل، يقول:

---

(1) ــ الفَدّان: لديه عدة معاني، والمقصود به هنا ــ والله أعلم ــ هو المزْرَعة، انظر: لسان العرب: (فدن)، ج7، ص905-906.

(2) ــ ينظر: أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ- 2003م، ج2، ص58- 59.

(3) ــ ينظر: بدائع الفوائد، ج2، ص619-620.

(4) ــ المصدر نفسه، ج2، ص619.

« فاعلم أنّ المدعو به من الخير والشّر مضاف إلى صاحبه بلام الإضافة الدّالة على حصوله له ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾ [الرعد: 25]، و لم يقل: "عليهم اللّعنة" إيذانا بحصول معناها وثبوته لهم وكذلك قولُه: ﴿ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [الأنبياء: 18].

ويقول في ضدّ هذا: لَك الرّحمة ولَك التّحية ولك السّلام، ومنه هذه الآية ﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ ﴾، أي ثَبتَ لك السّلام وحَصَل لك. وعلى هذا فالخطاب لكلّ من هو من هذا الضّرب، فهو خطاب للجنس أي: فسلامٌ لك يا مَنْ هو من أصحاب اليمين، كما تقول: هنيئاً لك يا من هو منهم، ولهذا ــ والله أعلم ــ أتى بحرف "من" في قوله: ﴿ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ والجار والمجرور في موضع حال، أي: سَلامٌ لك كائناً من أصحاب اليمين، كما تقول هنيئاً لك من أتباعِ رسول الله وحزبه، أيْ: كائنا منهم، والجار والمجرور بعد المعرفة يَنتصِب على الحال كما تقول: أحببتُك من أهل الدّين والعلم، أي: كائناً منهم فهذا معنى هذه الآية... »[1]

(1) ــ بدائع الفوائد، (مصدر سابق) ج2، ص622-621.

المطلب الثالث: أثر حروف الجرّ في إبراز بلاغة القرآن.

إنّ لحروف الجرّ في القرآن أغراضا ووظائف تتجاوز غرضها النّحوي، وذلك لما استودعته هذه الحروف من لطائف النّحو، ونُكت البلاغة، وغرائب المعاني، تُستوحى من السّياق القرآني التي ورد فيه الحرف، ولقد كان هذا محلّ اهتمام المفسّرين وعلماء البيان، حيث حاولوا إدراك الفروق الدّقيقة لحروف الجرّ، وأسرارها البلاغية، وفيما يأتي عرض لبعض النّماذج التي تجلّى فيها بعض مظاهر الإعجاز البياني لحروف الجرّ في القرآن:

المثال الأول: قال اللهُ تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحجر: 41].

قال الإمام ابن القيّم ــ رحمه الله ــ مستجلياً سرّ التّعبير بحرف الاستعلاء، دون حرف الوصول والانتهاء؛ الذي هو الأليق في الظّاهر، قال: ((قال الحسَن: معناه صراط إليَّ مستقيم، وهذا يحتمل أمرين أن يكون أراد به أنّه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، فقامت أداة "على" مقام "إلى"، والثاني أنّه أراد التفسير على المعنى؛ وهو الأشبه بطريق السّلف، أي: صراط موصل إليّ، وقال مجاهد: الحقّ يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعرج على شيء، وهذا مثل قول الحسن وأبين منه، وهو من أصحّ ما قيل في الآية، وقيل "عليَّ" فيه للوجوب، أي: عليَّ بيانه وتعريفه والدّلالة عليه، والقولان نظير القولين في آية النّحل وهي: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النّحل: 9]. والصّحيح فيها كالصّحيح في آية الحجر؛ أنّ السّبيل القاصد وهو المستقيم المعتدل يرجع إلى الله ويوصل إليه، قال طُفيل الغنوي [1]:

مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السّبيلِ عَلَيهِمُ، وصَرْفُ الْمَنَايَا بِالرّجَالِ تَشَقْلَبُ. [2]

أي ممرّنا عليهم، وإليهم وصولنا، وقال الآخَر:

فَـــهُنَّ الْـــمَنَايَا أَيُّ وادٍ سَلَكْتُهُ عَلَيْهَا طَرِيقِي أَوْ عَلَيَّ طَرِيقُهَا. [3]

فإنْ قيل: لو أريد هذا المعنى لكان الأليق به أداة "إلى" التي هي للانتهاء لا أداة على التي هي للوجوب ألا ترى أنّه لما أراد الوصول قال: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

---

(1) ــ هو طُفَيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان، شاعر جاهليّ فحل، من الشّجعان، وهو أوصفُ العرب للخيل عاصر النّابغة الجعدي، وزهير بن أبي سلمى، ومات بعد مقتل هرم بن سنان؛ سنة13 قبل الهجرة، له ديوان شعر صغير، انظر: الأعلام ج3، ص228.

(2) ــ انظر البيت في اللّسان: (سلف)، وفيه: (تقلّب) وليس (تشقلب)، انظر: اللّسان، ج5، ص566.

(3) ــ لم أجد هذا البيت، وقد استشهد به ابن تيمية في الفتاوى، ج15، ص215.

[الغاشية: 25-26]، وقال: ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ [لقمان: 23]، وقال: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴾ [الأنعام: 108]. وقال لمّا أراد الوجوب: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: 26]، وقال: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة: 17]. وقال: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: 6]. ونظائر ذلك.

قيل في أداة "على" سرّ لطيف وهو الإشعار بكون السّالك على هذا الصّراط على هدىً وهو حقّ كما قال في حقّ المؤمنين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 5]. وقال لرسوله: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النمل: 79]. والله ﷻ هو الحقّ، وصراطه حقّ، ودينه حقّ فمن استقام على صراطه فهو على الحقّ والهدى، فكان في أداة "على" على هذا المعنى ما ليس في أداة "إلى" فتأمّله فإنّه سرّ بديع. »[1]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النّساء: 23].

قد أعانت الباء في قوله: ﴿ دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ على تحقيق الكناية عن الجماع، بما لا يمكن أن تنهض به الحقيقة،كما قدّرها الزمخشري بقوله:"يعني أدخلتموهنّ السّتر"[2] مما يدلّ على قدرة هذه اللّغة على الوفاء بآداب الإسلام، وما يوجبه من الترفّع عن التّصريح بما يستحسن الكناية عنه، إلى جانب ما جسّدته بما فيها من معنى اللّصوق من الدّلالة على شدّة الارتباط والقرب الرّوحي والمخالطة الرّوحية بين الزّوجين، بما يحقّق الغاية من قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: 21].[3]

---

(1) ــ مدارج السّالكين، ت: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م، ج1، ص27-28.

(2) ــ الكشاف، ج1، ص528.

(3) ــ ينظر: أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير، على بن مناور بن ردة الجهني، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، 2007م، نقلا عن: من أسرار حروف الجرّ في الذّكر الحكيم، محمد أمين الخضري، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1409هـ- 1989م، ص175 - 176.

ولعلّ سرّ التّعدية بالباء في معنى القِران والالتحام يبرز في قوله تعالى:﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: 54]، قال الرّاغب الأصفهاني[1] عن آية: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾: ((أي: قرنّاهم بهنّ ولم يجيء في القرآن زوّجناهم حوراً، كما يقال: زوَّجْتُه امرأةً، تنبيهاً أنّ ذلك لا يكون على حَسَب المتعارف فيما بيننا من المناكحة.))[2]، أي ليس من عقد التّزويج؛ لأنّ العرب لا تقول: تزوّجت بها، وإنّما تقول تزوّجتها، لأنّ فِعل "تزوّج" إذا تعدّى بنفسه؛ أُريد به الإنكاح وإذا تعدّى بحرف الباء أُريد به الإقران، والفَرق أنّ الإنكاح لا يكون إلا بالعقد، والإقران يكون حتّى بلا عقد، وذلك لأنّ الحور العين في الجنّة مِلك يمين كالسّراري في الدّنيا فلا يحتاج الأمر إلى العقد عليهنّ [3]، قال أبو عبيدة : ((جعلناهم أزواجاً كما تُزوّج النّعل بالنّعل ــ أيْ ــ جعلناهم اثنين اثنين جميعاً بجميع.))[4]

ونخلُص إلى القول بأنّ حرف "الباء" في هذا الموضع له محسّنات معنوية، لا يؤدّيها أيّ حرف أُدُّعِيَ له النّيابة عنه. ومن أدرك ذلك، عَلِم أنّ القول بزيادة الحرف في القرآن، أمرٌ يحتاج إلى المراجعة، لأنّه ما راعى الوظائف الدّلالية المعنوية لحروف المعاني، لأنّ ((الأصل أنّه إذا أدّى الحرف معنىً زائداً؛ لا يُفهَمُ مِن حذْفِه، فليس زائداً.))[5]

المثال الثالث: قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف: 38].

ففي قوله: ﴿ فِيٓ أُمَمٖ ﴾ نلمس إشارات بلاغية تكشف عن سرّ التّعبير بـــ"في"، دون غيره من الحروف التي حملوها على معناه العام،كحرف "مع" مثلاً، والتي معناها الصّحبة. [6]

---

(1) ــ هو الحسين بن محمّد بن المفضل؛ أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالرّاغب من الأدباء الحُكماء، من أهل أصبهان، سَكَن ببغداد واشتهر، توفي سنة 502هـــ، من كتبه: محاضرات الأدباء، والأخلاق، والمفردات... انظر ترجمته في: البغية، ج2، ص297، والأعلام ج2، ص255.

(2) ــ المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد كيلاني، (د ط)، ص216.

(3) ــ ينظر: التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، ج25، ص318.

(4) ــ مجاز القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، ج2، ص209.

(5) ــ معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائي، شركة العاتك، القاهرة، ط2، 1423هـــ- 2003م، ج3، ص29.

(6) ــ ينظر: البحر المحيط، ج4، ص297- 298.

فالنّظم الحكيم آثر هذا الحرف لما تفرّد به من معنى الظّرفية، وإن احتوى معنى المصاحبة في هذا الاستعمال، أي أنّ "في" هنا جاءت على بابها، والتّقدير: ادخلوا في جملة أُمم؛ فحُذِف المضاف لأنّ هناك فرق بين قولنا: دَخَلَ معهم ودَخَلَ فيهم، فمعنى "دَخَلَ فيهم" أنّه أصبح من جملتهم ومعنى "دَخَلَ معهم" أنّه مصاحب لهم؛ وليس منهم، والدّليل على أنّها بمعناها وليست بمعنى "مع" أنّه لا يصحّ أن تقول "اذهَب في خالد"، ولا "ادخُل فيه"، كما تقول: "اذهب مع خالد، وادخُل معه"، لأنّ خالداً لا يكون ظرفاً لك، بخلاف "اذهب في القوم وادخُل فيهم" فإنّ القوم يكونون كالظرف له يحتوونه.[1]

فدلالة الحرف "في" أوْحت بأنّ المخاطَبين هم من أشكال تلك الأُمم وعلى صفاتهم [2]، وليس لمجرّد الصّحبة فقط، قال ابن عاشور[3]: « وهي كونهم في حالة واحدة، وحُكم واحد، سواءٌ دخلوا النّارَ في وسطهم، أم دخلوا قَبلهم أو بعدهم. »[4]

فلو نَقّبت عن أيّ حرف ليؤدّي هذه الوظيفة في هذا المقام؛ بنفس المستوى البلاغي، ما ظفرت بذلك أبداً. و هذا لِمَا تفرّد به كلّ حرف من دقائق المعاني الذي لا يشاركه فيه غيره من الحروف وأمثلة هذا الباب كثيرة في القرآن الكريم، لا يدرك بلاغتها إلا من أُوتيَ الذَّوق السّليم، والحسّ المرهف؛ و امتلك ناصية البيان، فهي بحقّ تكشف عن مدى الدقّة في اختيار حروف دون أخرى في التّعبير القرآني، وما تنشره هذه الحروف من معان وَفقا لنظرية السّياق؛ إبرازاً لبلاغة القرآن الكريم.

وما تُكِنّه بلاغة القرآن من إيحاءاتٍ وظِلالٍ أكثر من أن تحصيها الأقلام، و أوسع من أن تحيط بها الأفهام؛ لأنّها نظمٌ معجِز، وبلاغة عصماء.

---

(1) ــ ينظر: معاني النّحو، ج3، ص51.

(2) ــ ينظر: تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، 1420هـ- 1999م، ج3، ص410.

(3) ــ هو محمّد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة 1296هـ، عُيِّن عام 1932م شيخا للإسلام، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، توفي سنة 1393هـ، له عدّة مصنفات منها: مقاصد الشريعة الإسلامية، وموجز البلاغة، والتحرير والتنوير...انظر: الأعلام، ج6، ص174.

(4) ــ التحرير والتنوير، ج8، ص119.

المطلب الرّابع: تجليّات ظاهرة عدول حروف الجرّ في القرآن

إنّ من وجوه إعجاز البيان في التّعبير القرآني دقّته في استعمال حروف الجرّ والمزاوجة بينها، إذ نجده يستعمل الحرف لدلالة مقصودة في السّياق ثم يعدل عنه إلى حرف آخر في السّياق نفسه وذلك لأغراض بلاغية، ولطائف معنوية، تُكشف للعالِم الحاذق؛ إذا كَبَّل فِكْره بقرائن السّياق ومقامات الكلام، واستعمل الفهم والفِكر والرَوِيّة، ومعرفة المَواطن التي ينبغي أن تُجرّ بحروفٍ دون أخرى؛ وإن بدت متشابهة في الظّاهر.

قال ابن الأثير إثْر عنوان: "الحروف العاطفة والجارّة ": « وهو موضع لطيف المأخذ، دقيق المغزى، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصّناعة تَعرّض إليه، ولا ذَكَرَه. وما أقول إنّهم لم يعرفوه فإنّ هذا النّوع من الكلام أشهر من أن يخفى... »[1]، وعَنَى بذلك الوظيفة الدّلالية المعنوية لحروف الجرّ، وما يحمله العدول فيها من دقائق وأسرار، وليس ما اشتهرت دراسته عند النّحاة من وظيفة جرّ المعاني، وربط الجمل.

ويتجلّى مفهوم عُدول حروف الجرّ، عند قول ابن الأثير: « وأمّا حروف الجرّ فإنّ الصّواب يشذّ عن وضعها في مواضعها، وقد عُلم أنّ "في" للوعاء، و"على" للاستعلاء،كقولهم: زيدٌ في الدّار، وعَمرو على الفرس، لكن إذا أُريد استعمال ذلك في غير هذين الموضعين ممّا يشْكلُ استعماله عُدِل فيه عن الأَوْلَى. »[2]

وهذا العدول ــ كما أشرت سابقاً ــ بمعنى الخروج عن مقتضى الظّاهر، وهو معنى قوله: "عُدِل فيه عن الأَوْلى"، لأنّ الأَوْلى هو مقتضى الظّاهر، أو هو أصل المعنى عند النّحاة، إذ العدول: بمعنى استعمال "في" في موضع يُستشكَلُ فيه معنى الوعاء، واستعمال "على" في موضع يُستشكَلُ فيه معنى الاستعلاء، وهكذا في جميع حروف الجرّ.

و مناط العدول في حروف الجرّ هو التّحوّل في استعمال حرف جرّ إلى استعمال حرف آخر في السّياق القرآني الواحد، ممّا يلفت نظر القارئ، لأنّه لو جاء النّسق على استعمال مطّرد؛ لكان الكلام على مقتضى الظّاهر، ولَمَا تشكّل فيه مفهوم العدول.

---

(1) ــ المثل السائر، ج2، ص227.

(2) ــ المصدر نفسه، ج2، ص232.

ومنهم من عدّ هذا العدول صورة من صور الالتفات في مجال الحروف، أو المخالفة بين الأدوات المتماثلة، وهو: « التحوّل في التّعبير أو السّياق الواحد من أداة إلى أداة أخرى تماثلها في أداء وظيفتها "العامة"، وتفترق عنها في خصوصية هذا الأداء. »[1]، وهذا من التوسّع في مفهوم الالتفات ــ كما مرّ ــ وعدم قَصْره على الضّمائر.

ومن بين المواضع التي عُدل فيها بحروف الجرّ؛ في القرآن الكريم؛ قولُه تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ: 24].

فقد جاء حرف"على" مع الهدى، ثمّ عَدَلَ إلى حرف "في" مع الضّلال، ولو جاء على مقتضى الظّاهر لكان التّعبير: "على هُدى أو على ضَلال".[2]

يقول ابن الأثير عن سرّ هذا العدول: « ألا ترى إلى بَداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حَرفَيْ الجرّ ها هنا، فإنّه إنّما خولف بينهما في الدّخول على الحقّ والباطل؛ لأنّ صاحب الحقّ كأنّه مستعلٍ على فرسٍ جوادٍ يركضُ به حيث شاء وصاحب الباطل كأنّه منغمِسٌ في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجّه وهذا معنىً دقيق، قلّما يراعَى مثله في الكلام. »[3]، فتُدرك خلالها سرّ العدول، لأنّ "على" في هذا السّياق تحمل معنى العزّة والارتفاع بصاحبها المناسِبة للهدى، و"في" تحمل معنى الذلّ والانحطاط لصاحبها المناسِبة للغيّ والضلال.

وقد نبّه ابن القيّم إلى لطائف هذا العدول، فقال: « وتأمّل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فإنّ طريق الحقّ تَأخذُ عُلوّاً صاعدة بصاحبها إلى العليّ الكبير وطريق الضّلال تَأخذ سُفلاً هاويةً بسالكها في أسفل سافلين. »[4]

وإذا تأمّل العارف مواطن هذه الحروف في القرآن، وعدولها من حرف إلى آخر في السّياق نفسه ووازن بين ما هو على الظّاهر وما هو في السّياق، يُدرك حينها أنّ هناك فروقا دقيقة بين هذه الحروف ودلالات تُفهم من السّياق تُفصِح عنها هذه الحروف حيناً، وتَهمس بها حيناً آخر.

(1) ــ ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ص169.
(2) ــ ينظر: الطراز، ج2، ص53- 54.
(3) ــ المثل السائر، ج2، ص232.
(4) ــ مدارج السّالكين، ج1، ص28.

ولا عبرة بما يُقال إنّ المعاني واحدة وإن اختلفت صيغ الألفاظ؛ وأنّه لا مجال لتكلّف المعاني، إذ « لا يمكن أن يؤدّي تعبيران مختلفان معنىً واحداً، إلا إذا كان ذلك لُغَة... وفيما ذلك لا بدّ أن يكون لكلّ تعبير معنى، إذ كلّ عدول من تعبير إلى تعبير لابدّ أن يَصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التّعبيرية المتعدّدة إنّما هي صور لأوجه معنوية متعدّدة. »[1]

ولن تجد لنَظم هذه الحروف معنىً غير ما نحن بسبيله، وهذا ما قرّره الجرجاني في نظم الحروف بأنْ ينظر النّاظم في كل باب وفروقه، « وينظر في الحروف التي تشترك في معنىً، ثمّ ينفرد كلّ واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضعَ كُلاًّ من ذلك في خاصّ معناه. »[2]، وهذه المعاني لا تُدرى بمعزِل عن السّياق التي وردت فيه، « إذ لا يكتمل معناها إلا بوجود التّركيب المتكامل... فلا بَيْنة لهذه الأحرف خارج السّياق باعتبارها من أهمّ وسائل التعليق في اللّغة. »[3]

ومن صور العدول في حروف الجرّ؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التّوبة: 60].

فقد جاء حرف اللام مع الفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلّفة قلوبهم، ثمّ عَدَل إلى "في" مع البقية، فلا بدّ لهذا العدول في حَرفيْ الجرّ من خصوصية في المعنى، ودلالات تنشرها هذه الحروف، تُفتقد في أيّ حرف آخر.

قال الألوسي: « والعدول عن اللام إلى "فِي" في الأربعة الأخيرة على ما قال الزّمخشري[4] للإيذان بأنّهم أرسخ في استحقاق الصّدقة ممن سبق ذكره لما أن "في" للظرفية المُنْبئَة عن إحاطتهم بها وكونهم محلّها ومركزها، وعليه فاللام لمجرّد الاختصاص، وفي الانتصاف أنّ ثمّ سرًّا آخر هو أظهر وأقرب، وذلك أنّ الأصناف الأوائل ملّاك لما عساه أن يُدفع إليهم وإنّما يأخذونه تملّكاً فكان دخول اللام لائقاً بهم وأمّا الأربعة الأواخر فلا يملكون لما يُصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم، ولكن يصرف في مصالح تتعلّق بهم، فالمال الذي يُصرف في الرّقاب إنّما يتناوله السّادة

(1) ــ معاني النحو، ج1، ص9.
(2) ــ دلائل الإعجاز، ص82، وانظر تعريفه للنّظم، ص81.
(3) ــ البلاغة والأسلوبية، ص 284- 285.
(4) ــ ينظر: الكشاف، ج2، ص270.

المكاتبون أو البائعون، فليس نصيبهم مصروفا إلى أيديهم حتى يعبّر عن ذلك باللام المشعِرة بملكهم لما يصرف نحوهم، وإنّما هم محال لهذا الصّرف ولِمَصالِحه المتعلّقة به، وكذلك الغارمون إنّما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذِمهم؛ لا لهم، وأمّا في سبيل الله فواضح فيه ذلك، وأمّا ابن السّبيل فكأنّه كان مندرجاً في سبيل الله، وإنّما أُفرد بالذّكر تنبيهاً على خصوصيته مع أنّه مجرّد من الحرفين جميعاً. » (1)

فلولا العدول عن حرف اللام التي اقتضت التّمليك؛ لتساوت جميع الأصناف فيها، ولجفّ المعنى وضاع المقصود، فهذه المعاني وغيرها تُعرب عن دقّة التّعبير القرآني في اختيار الألفاظ التي تستدعيها مناسبات السّياق القرآني، وتُفصح عن النّبع البلاغي الفيّاض للتعبير القرآني، والمتجدّد في كلّ عَصر وحين.

وتبقى مسألة العدول في استعمال الحروف ممتدّةً إلى خارج حدود الجرّ، ويتتبّعها بعض البلاغيين محاولين الإفادة من ذلك في خلق صلات متجدّدة في صياغة الجمل، وعدم الاكتفاء بالصّور الوظيفية ـــ الجاهزة ـــ لتلك الحروف... (2)

وستأتي لاحقا ـــ بإذن الله ﷻ ـــ صوَر العدول الأخرى وبلاغتها؛ أثناء الدّراسة التطبيقية.

(1) ـ روح المعاني، ج10، ص124، وانظر: تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، ج16، ص89.
(2) ـ ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص 288.

الفصل الثاني:

السّياق القرآني وأثره في معاني حروف الجرّ

المبحث الأول: السّياق القرآني؛ تعريفه، وأركانه، وأنواعه.

المبحث الثاني: أهمية السّياق القرآني، وعناية العلماء به.

المبحث الثالث: أثر السّياق في إبراز معاني حروف الجرّ.

المبحث الرابع: حروف الجرّ بين التناوب والتضمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: السّياق القرآني تعريفه، وأركانه، وأنواعه.

لا بدّ لدارس السياق القرآني ــ قبل دراسته ــ من تصوّر لمعنى السياق القرآني؛ لغةً واصطلاحا، ثم معرفة أركانه، وأنواعه، وفي هذا المبحث تفصيل هذا على النّحو الأتي:

المطلب الأول: تعريف السّياق القرآني

أ ــ تعريف السّياق لغةً :

قال ابن فارس: ((السّينُ والوَاو والقَاف أصلٌ واحدٌ، وهو حَدْوُ الشَّيء، يُقَالُ: سَاقَه يَسُوقُه سَوْقاً. والسَّيِّقة ما استيقَ من الدّوابّ، و يُقالُ: سُقْتُ إلى امرأتي صَداقَها، وأسَقْتُه.))[1]

وقال ابن منظور: ((ساقَ الإبلَ وغيرَها يسُوقُها سَوْقًا وسِيَاقاً...وقد انساقَت وتَساوقت الإبلُ تساوُقاً إذ تتابعت، وكذلك: تَقَاودت فهي مُتَقاودة مُتَساوقة...))[2]

وبهذا يتبيّن أنّ السّياق والسّوق يُطلق ويراد به التّتابع والاتّصال، وهذا ما باحت به أيضا كتب المعاجم الأخرى.

ب ــ تعريف السّياق اصطلاحاً:

من المتعسّر إيجاد تعريف جامع مانع ــ في كتب الاصطلاح ــ [3] يحدّد مفهوم السّياق بالرّغم من ذيوع مفهومه في التراث العربي، وتَأكُّد أَهمّيّتُه، لذا تفاوتت أقوال العلماء في التعبير عن معناه، لكن نورد بعض أقوالهم التي تبيّن المراد بالسّياق:

قال ابن دقيق العيد[4]: ((أَمَّا السِّياق والقَرائن، فإنّها الدَّالَّة على مُراد المُتكلِّم من كلامه وهي المُرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، فاضبط هذه القاعدة فإنّها مفيدة في مواضع لا تحصى.))[5]

---

(1) ــ معجم مقاييس اللغة، ج3، ص117.

(2) ــ لسان العرب، ج5، ص906.

(3) ــ مثل:كتاب التعريفات للجرجاني، والكليات، لأبي البقاء الكفوي؛ حيث أشار إلى أهمّيته و لم يعرّفه، وغيرها.

(4) ــ هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي المالكي والشافعي، الإمام المحدث العلامة، ولد قرب الحجاز سنة625هـــ،كان من أذكياء زمانه واسع العلم،كثير الكتب، وقورا، ورعا، من كتبه: شرح العمدة، والإلمام...توفي في صفر سنة 702هـــ، انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج4، ص182.

(5) ــ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ت: مصطفى شيخ مصطفى، ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط1، 1426هـــ - 2005م، ص278.

فالسّياق عنده هو الغرض والمقصود الذي أراد المتكلّم أن يثبتَه أو ينفيَه، والقرينة التي تبيّن ما أُجمِل وتُعيّن ما احتُمِل.

وقال الزركشي: « ليكن محطّ نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التّجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً حتّى كأنّ غيره مطروح. »[1]

و قَرينة السِّياق: « هِي ما يُؤخذ مِن لَاحِق الكلام الدَّالِّ على خصوص المقصود أَو سَابقه. »[2]

وعُرّف السّياق بعمومه على أنّه: « مجرى أحداث عمل أدبيّ وثيق الترابط، يسهل عملية ربط الكلام وبناء النّص بناء محكما؛ في بدئه وختامه والحِبكة بينهما. وإذا اقتطع من السّياق بَدا في غير مكانه، حتى إذا أُعيد إلى مكانه من النّص بَدا مُهِمّا ورابطا للفقرات. وكثيرا ما يكون الكلام غامضا، ولكنّه يُفهم من السّياق، أي من سير الأحداث سيرا منسّقا. »[3]

وممّا يمكن أن يُوَضِّح نظريّة السّياق عند البلاغيين [4]؛ قولهم: "لكلّ مقام مقال"إذ عُدّ على مدار شرف المعنى ويعنون به؛ لكلّ أمر أو فعل أو كلام موضعاً لا يوضع فيه غيره [5]، والمقام « هو مجموع الظّروف السّياقية والاجتماعية المصاحبة للحدث الكلامي والتي تشتمل على علاقة المتكلم للمخاطب والاعتبارات الخاصّة لكلّ منهما وموضوع الكلام، والغاية منه، والمناسبة التي جرى فيها، والأثر الذي يتركه الخ... »[6]، وكما يمكن أن يُقال: « إنّ هذا التّناسب له وجهان: أحدهما تناسب الألفاظ مع المجال الخاص ــ الموضوع ــ كتناسب مصطلحات العِلم مع الموضوع والوجه الآخر: تناسب الألفاظ مع الطّبقة المستمعة. »[7]

---

(1) ــ البرهان، ج1، ص334.

(2) ــ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، تاج الدين السبكي، ج1، ص101.

(3) ــ المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م، ج2، ص535.

(4) ــ استخدم البلاغيون عدّة مصطلحات للدّلالة على مفهوم السّياق، منها: الحال، المقام، القرينة، انظر: دلالة السياق، ردة الله بن ردة الطلحي، ص42.

(5) ــ ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ت: عبد السّلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط4، ج1، ص136، و مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد النيسابوري، ت: نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م، ج2، ص235- 236.

(6) ــ أثر سياق الكلام في العلاقات النّحوية عند سيبويه، سارة عبد الله الخالدي، (رسالة ماجستير)، الجامعة الأمريكية ببيروت 2006م، ص7- 8.

(7) ــ دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، ط1، 1424هـ ، ص89.

ويُستشف هذا من كلام "الجاحظ" عن بِشر بن المعتمر؛ قال: « ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات؛ فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالةٍ من ذلك مقاماً، حتّى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات... »(1)

وعَقد الزركشي فصلا"في اختلاف المقامات ووضع كلّ شيء في موضع يلائمه" قال فيه: « مما يبعث على معرفة الإعجاز اختلاف المقامات، وذِكْرٌ في كلّ موضع ما يلائمه، ووضع الألفاظ في كلّ موضع ما يليق به وإن كانت مترادفة، حتى لو أبدِل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطّلاوة وفاتت تلك الحلاوة. »(2)

ونشير إلى أنّه يجب التّفريق بين مصطلح السّياق والنّظم، فقد يُطلَق مفهوم أحدهما على الآخر تجوّزاً ومع ذلك فقد كان المفسّرون أشدّ تمييزا بينهما، قال الطبري (3): «...وأشدُّها اتّساقًا على نظم الكلام وسياقه. »(4)، والعطف يقتضي المغايرة بين المعنيين. ويمكن التفريق بينهما بأنّ « السّياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السّابقة واللاحقة والنّظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها وبهذا يظهر الفرق بين المصطلحين، وبعبارة دقيقة موجزة السّياق هو علاقة المعنى بالمعنى، والنّظم هو علاقة اللّفظ بالمعنى. »(5)

ومما سبق، وانطلاقا من المعنى اللّغوي؛ يمكن فهم السّياق بعمومه على أنّه: سَوْقُ الكلام وتتابعه واتّصاله، بناءً على الأحوال، والأغراض، والمقاصد. لكن المفهوم الأقرب إلى موضوع بحثنا هو: الكلام المركّب الذي تَرِد فيه اللّفظة، فيكشفُ أو يرجّح الوجه الدّلالي لهذه اللّفظة في هذا السّياق وقد تختلف هذه الدّلالة إذا جاءت في تركيب غير الأوّل. (6)

---

(1) ــ البيان والتبيين، ج1، ص88.

(2) ــ البرهان، ج2، ص118.

(3) ــ هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرّخ المفسّر الإمام، ولد في آمل طبرستان، سنة 224هـ، واستوطن بغداد، و توفي بها، وعُرِض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، توفي سنة310هـ، له: اختلاف الفقهاء، وجامع البيان في تفسير القرآن...انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، ج4، ص191، والأعلام، ج6، ص69.

(4) ــ جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، ج6، ص516.

(5) ــ السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود محمود، (رسالة دكتوراه)، الجامعة الأردنية، 2005م، ص17.

(6) ــ ينظر: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، ص103.

المطلب الثاني: أركان السّياق القرآني

للسّياق القرآني أركان ينبني عليها وأسس يختصّ بها، بمعرفتها تتّضح معالم السّياق، أذكرها فيما يأتي:

الركن الأول: معرفة الغرض من الكلام وحال المتكلّم:

وهو من أهمّ الأركان وأعظمها، لأنّ السّياق هو معرفة الأغراض والمقاصد من الكلام ـــ كما عرفنا ـــ قال ابن القيم: « فمن عَرف مراد المتكلّم بدليل من الأدلّة وجب اتّباع مراده، والألفاظ لم تُقصد لذواتها، وإنما هي أدلّة يُستدلّ بها على مراد المتكلّم، فإذا ظهر مراده، ووضَحَ بأيّ طريق كان؛ عُمِل بمقتضاه... »(1)

وقد بيّن الغرض بأنّه فهم إرادة المتكلّم وفِقْه حديثه، ثمّ قال: « والفقه أخصّ من الفهم وهو فهم مراد المتكلّم من كلامه، وهذا قدْر زائد على مجرّد وضع اللّفظ في اللّغة، وبحسب تفاوت مراتب النّاس في هذا؛ تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم. »(2)

أمّا عن حال المتكلّم؛ فقال ابن تيمية: « وموجب الأدلّة السّمعية يتلقّى من عُرف المتكلّم بالخطاب لا من الوضع المحدث، فليس لأحد أن يقول إنّ الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني، ثمّ يريد أن يُفسّر مراد الله بتلك المعاني هذا من فِعل أهل الإلحاد المفترين. »(3)

ومن هذا حملُ كلام الله على الغالب من عرفه ومعهود استعماله، وهذا أوْلى من حمله على معنى آخر لأنّ هذا داخل في معرفة عادة القرآن وسياقه العام، ولعلّ هذا ما عناه ابن القيّم بقوله: « وكذا خطاب الشّارع لواحد من الأمّة يقتضي معرفة الخاصّ أن يكون اللّفظ متناولا له ولأمثاله؛ وإن كان موضوع اللّفظ لغةً لا يقتضي ذلك، فإنّ هذا لُغة صاحب الشّرع وعُرفه في مصادر كلامه وموارده، وهذا معلوم بالاضطرار من دينه قبل أن يُعلم صحّة القياس واعتباره وشروطه... »(4)

---

(1) ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج2، ص385.

(2) ـ المصدر نفسه، ج1، ص219.

(3) ـ بيان تلبيس الجهمية، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط1، 1392هـ، ج1، ص544.

(4) ـ جلاء الأفهام، ت: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1419هـ- 1998م، ص548

وقال الشنقيطي: ((من أنواع البيان التي تضمّنها الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلَبَته فيه دليل استقرائي على عدم خروجه من معنى الآية.)) (1)

الرّكن الثاني: معرفة حال السّامع والمتكلّم عنه:

قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: ((ومن لم يعرف لغةَ الصَّحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النَّبيُّ ﷺ وعادتهم في الكلام؛ وإلا حرَّف الكلِم عن مواضعه، فإنَّ كثيرًا من النّاس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثمَّ يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصّحابة، فيظنّ أنّ مراد الله أو رسوله أو الصّحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصَّحابة خلاف ذلك.)) (2)

وحال المتكلّم عنه تُعرف بعدّة أمور منها: معرفة أسباب النزول، والأحوال التي نزلت فيها الآية ومعرفة المكّي والمدني، وغيرها من القرائن، التي هي من أعظم ما يدلّ على تحديد المعنى ، وَفق نظرية السّياق القرآني.

فهذا الشّاطبي من تنويهه على مهمّة أسباب التنزيل؛ حتى جعلها هي معنى معرفة مقتضى الحال يقول: ((إنّ علم المعاني والبيان الذي يُعرف به إعجازُ نظم القرآن فضلًا عن معرفة مقاصد كلام العرب؛ إنّما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخِطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالَين، وبحسب مخاطَبين، وبحسب غير ذلك؛ كالاستفهام؛ لفظه واحد ويدخله معان أُخَر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدلّ على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعُمدتها مقتضيات الأحوال... فهي من المهمّات في فَهم الكتاب بلا بدّ، ومعنى معرفة السّبب هو معنى معرفة مقتضى الحال.)) (3)

وقال بعد ذِكره أَثَر مقتضيات الأحوال في معرفة إعجاز نظم القرآن: ((ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها، ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثَمّ سبب خاصّ لا بدّ

(1) ــ أضواء البيان، ج3، ص478.

(2) ــ مجموع الفتاوى، ت: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ- 2005م، ج1، ص243.

(3) ــ الموافقات، ج4، ص146.

لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشُّبه والإشكالات التي يتعذّر الخروج منها إلا بهذه المعرفة »[1]

وقال مشيرا إلى فِكرة المقام: « إنّ المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات، والنّوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان. »[2]

وجـــاء في الإتقان: « قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها، وبيان نزولها. »[3]

قال السّعدي[4]: « فالنّظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرّسول، وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يُعين على معرفته، وفَهم المراد منه... »[5]

الركن الثالث: النّظم القرآني؛ "ألفاظ الخطاب ودلالات التّركيب":

لقد اهتمّ العلماء بألفاظ القرآن ودلالات تركيبه؛ التي امتازت بالدقّة في الاختيار، والنّظم في التركيب ومشاكلة ألفاظه لمعانيه، بوجه تتجلّى فيه مظاهر الإعجاز البياني للقرآن، وهو خاصية مهمّة في السّياق القرآني، بل هو ركن من أركانه، وقُطب لا يستغني عنه المفسّر.

قال ابن تيمية: « أكثر المحقّقين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني. »[6]

وقال الزّمخشري: « ومن حقّ مفسّر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز، أنْ يتعاهد في مذاهبه بقاء النّظم على حُسنه والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدّي سليماً من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللّغة فهو مِن تعاهد النّظم والبلاغة على مراحل. »[7]

ويقول الزّركشي عن علم البيان والبديع الذي يُعنى باللّفظ والتركيب: « وهذا العلم أعظم أركان المفسّر فإنه لا بدّ من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، وتأليف النّظم وأنْ

---

(1) ــ الموافقات، (مصدر سابق)، ج4، ص154.

(2) ــ المصدر نفسه، ج4، ص266.

(3) ــ الإتقان، السيوطي، مطبعة حجازي، القاهرة، ج1، ص29.

(4) ــ هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، ولد سنة1307 هــ، حفظ القرآن وعمره أحدى عشرة سنة، أخذ العلم عن عدة مشايخ،كان مشتغلا كثيرا بكتب ابن القيم، وابن تيمية، درس ببلده عنيزة، ومات سنة 1376هــ، انظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، (رسالة ماجستير)، من ص13 إلى 61.

(5) ــ تفسير السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلّا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هــ - 2000م، ص30.

(6) ــ مجموع الفتاوى، ج20، ص418.

(7) ــ الكشاف، ج1، ص106.

يواخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك...واعلم أنّ معرفة هذه الصّناعة بأوضاعها هي عُمدة التّفسير المطّلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسِطة عِقْد البلاغة. »[1]

وقال السّيوطي إثر باب"ائتلاف اللّفظ مع اللّفظ وائتلافه مع المعنى": « أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا بأن يُقرن الغريب بمثله، والمتداولُ بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة...وأن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإنْ كان فَخْما كانت ألفاظه فخْمة، أو جزِلا فجزْلة، أو غريبا فغريبة، أو مُتداولا فمتداولة، أو متوسّطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك. »[2]

(1) ــ البرهان، ج1، ص211- 212.
(2) ــ الإتقان، ج2، ص88.

المطلب الثالث: نوعا السّياق القرآني

للسّياق القرآني من حيث العموم والخصوص نوعان [1]، اختلافهما عن سائر السّياقات كاختلاف كلام الخالق عن كلام المخلوق، وهما: السّياق العام، أو سياق السّورة، والسّياق الخاص، أو سياق المقطع.

قال صاحب: "دلالة السّياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم": ((أما السّياق القرآني، فإنّنا نقصد به أمرين:

ـــ الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن؛ إلى جانب النّظم الإعجازي والأسلوب البياني؛ الذي يشيع في جميع تعبيراته.

ـــ الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها، مع اختلاف يسير في طريقة سردها، وترتيب كلماتها لمناسبة المقام ولحكمة بلاغية تتّصل بأغراض السّورة.)) [2]

انطلاقا من هذا التعريف، يمكن تقسيم السّياق إلى قسمين: السّياق العام الذي يُراعى فيه أغراض السّورة عامّة ومقاصدها الكليّة، والسّياق الخاص بالنّظر إلى الآيات قبلها وبعدها، وتحديد المعنى وَفق ذلك. لكن أشير إلى أنّ هذا التقسيم نظري فقط، أمّا حال الدّراسة التطبيقية سيكون تكامل بين النّوعين لأنّه لا يمكن بَتْر أحدهما عن الآخَر، وهذه من أظهر خصائص السّياق القرآني.

النوع الأول: السياق القرآني العام (سياق السّورة):

حيث يُراعى في سياق القرآن عُرف خطاب الشارع، ((فلا يُحمل كلامه إلا على عُرفه والمألوف من خطابه، وإنْ لم يكن ذلك مفهوما من أصل الوضع في اللّغة)) [3]، ومعرفة الألفاظ والأساليب المطّردة فيه قال ابن تيمية: ((إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشّارع

---

(1) ــ اختلفت نظْرات الباحثين حول أنواع السّياق القرآني؛ حسب موضوع البحث، فمنهم من جعلها أربعة أقسام مثل: دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصّة موسى، فهد الشتوي، 2005م، ص42. ومنهم من جعلها قسمين مثل: السّياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود، 2005م، ص87، ودلالة السّياق القرآني قي تفسير أضواء البيان للشنقيطي، أحمد لافي فلاح بطي المحية المطيري، 2007م، ص18. والسبب ــ والله أعلم ــ هو تكافل وتماسك هذه الأنواع؛ تبعا لعُرف القرآن في أسلوبه وخطابه.

(2) ــ دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصّة موسى، ص45، نقلا عن: دلالة السّياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ص88- 89.

(3) ــ جلاء الأفهام، ابن القيم ، ص387، وهذا ما أسماه الطاهر بن عاشور: "عادات القرآن"، انظر:التحرير والتنوير (المقدمة العاشرة) ج1، ص124.

قد اطّرد في معنى لم يجُز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله تعالى ورسوله بقول فيه نزاع »[1]. وهذه من مراعاة غرض وحال المتكلّم التي تعدّ عمدة السّياق القرآني ـــ كما مرّ ـــ

ومن أمثلة ما نحن بسبيله؛ قولُه تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ... ﴾ [التّوبة: 60] فممّا يستعان على معرفة معنى لام الجرّ هنا، هو السّياق القرآني، وذلك بمراعاة عُرف الخطاب في القرآن، ومن عُرفه أنّه يبدأ بالأهمّ فالأهمّ [2]، وهذا شأن كلام العرب، فإنّ العرب إنّما تبدأ في كلامها بالأهمّ والأولى. [3]

قال السّعدي مفسّرا للآية: « فالفقير أشدّ حاجة من المسكين، لأنّ اللّه بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهمّ فالأهمّ. »[4]

لكن نجد الزمخشري وتبعه ابن الأثير يجعل "في" أشدّ استحقاقا من "اللام" والعدول عن اللام إلى "في" في الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدّق عليهم ممن سبق ذكره، لأنّ "في" للوعاء فنبّه على أنهم أحقّاء بأنّ توضع فيهم الصّدقات. [5]

وهذا القول يُردّ عليه بالسياق العام للقرآن الذي يبدأ بالأهمّ والأَوْلى، كما يُردّ عليه بعُرف اللّغة؛ لأنّ لام الجرّ معناها العام الاستحقاق، وهذا المعنى لا يفارقها [6]، فمن الغرابة أن يفسّر القرآن بمعزِل عن عُرفه وعادته في الاستعمال.

ومن أمثلته: ما جاء في حديث"ابن القيم" عن أصل فعل "استغفر" ألازم هو، أم متعدّ إلى حرف الجرّ، وبعد ما ساق الخلاف تساءل عن معنى "مِن" في قوله تعالى:﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾ [الأحقاف: 31]، ويغفر لكم من خطاياكم، قال: « قُلْنا هي متعلّقة بمعنى الإنقاذ والإخراج من

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ج7، ص35.

(2) ـ ينظر: شرح رياض الصاحين، ج1، ص224، وانظر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية، ج3 ص336.

(3) ـ ينظر: الفروسية، ابن القيّم، ت: مشهور بن حسن، دار الأندلس، السّعودية، ط1، 1414 هـ- 1393م، ص135، والكتاب ج1، ص34، وتخريج الفروع على الأصول، شهاب الدين محمود الزنجاني، ت: محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1420هـ - 1999م، ص60.

(4) ـ تفسير السعدي، ص341.

(5) ـ ينظر: الكشاف، ج2، ص270، والمثل السائر، ج2، ص233.

(6) ـ ينظر: الجنى الداني، ص96.

الذّنوب فدَخَلَت "مِنْ" لتؤذِن بهذا المعنى... فإنْ قلت: فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [آل عمران: 147]، وفي سورة الصّف: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الصّف: 12]، فما الحكمة في سقوطها هنا، وما الفرق ؟

قلتُ: هذا إخبار عن المؤمنين الذين سَبَق لهم الإنقاذ من ذنوب الكفر بإيمانهم ثم وُعدوا على الجهاد بغفران ما اكتسبوا في الإسلام من الذّنوب وهي غير محبِطة كإحباط الكفر المهلك للكافر... بخلاف الآيتين المتقدّمتين فإنّهما خطاب للمشركين وأمر لهم بما يُنقذهم ويخلصهم ممّا أحاط بهم من الذّنوب وهو الكفر ففي ضِمن ذلك الإعلام والإشارة بأنّهم واقعون في مهلكة قد أحاطت بهم، وأن لا ينقذهم منها إلا المغفرة المتضمّنة للإنقاذ الذي هو أخصّ من الإبطال والإذهاب، وأمّا المؤمنون فقد أُنقذوا، وأمّا قوله تعالى:﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [البقرة: 271] فهي في موضع "مِن" التي للتبعيض لأنّ الآية في سياق ثواب الصّدقة؛ فإنّه قال: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ ﴾ [البقرة: 171]والصّدقة لا تُذهِب جميع الذّنوب. » (1)

وقال السيوطي عن حكم معاني "مِن": « وقال بعضهم حيث وقعت "يغفر لكم" في خطاب المؤمنين؛ لم تُذكر معها "من"، كقوله في الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: 70-71]، وفي الصّف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ .... يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الصّف: 10-12]، وقال في خطاب الكفّار في سورة نوح: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾[نوح: 4]، وكذا في سورة إبراهيم، وفي سورة الأحقاف، وما ذاك إلا للتفرقة بين الخطابين؛ لئلا يُسوّى بين الفريقين في الوعد. » (2)

وهذا الكلام يُفْصِح عن أهمّية السّياق القرآني، في الكشف عن متعلّقات الفعل مع الحرف واختلاف معاني هذه الحروف باختلاف ورودها حسب الأحوال والمقامات، فللقرآن الكريم

(1) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص481-482.

(2) ــ الإتقان، ج1، ص 178.

نظامه المميّز، وعُرفه الخاصّ في العدول عن الألفاظ غير المناسبة إلى الألفاظ المناسبة للمعاني، وإن بدت متشابهة، وذلك بنظم يعجز البشر عن الإحاطة بأسراره.

النوع الثاني: السّياق القرآني الخاص (سياق الآيـــة):

ويعني المعاني المنتظمة التي سيقت في مجموعة من الآيات، وقد تكون في الآية الواحدة؛ إذا استقلّت بغرضها: ((فتوجيهُ الكلام إلى ما كان نظيرًا لما في سياق الآيـــة، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنعدِلا عنه.))[1]

ومن أمثلته؛ قول الخطيب الإسكافي[2]: ((معنى قوله ﷻ: ﴿ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[3]، يجري لبلوغ أجل مسمّى، ومعنى قوله: ﴿ يَجْرِيَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: 29]، معناه لا يزال جاريا حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمّى له، وإنّما خصّ ما في سورة لقمان بـــ"إلى" التي للانتهاء؛ واللام تؤدّي معناها، لأنْ تدلّ على أنّ جريها لبلوغ الأجل المسمّى، لأنّ الآيات التي تكتنفها آيات منبّهة على النّهاية والحشر والإعادة، فقبْله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: 28] وبعدها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ... ﴾ [لقمان: 33]، فكان المعنى: كلٌّ يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تُكوَّرُ فيه الشّمس وتَنْكَدر فيه النّجوم، كما أخبر الله تعالى.

وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنّما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... ﴾ [الزّمر: 5-6]، فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء

---

(1) ــ جامع البيان، الطبري، ج6، ص91.

(2) ــ هو محمّد بن عبد الله الخطيب الإسكافي أبو عبد الله؛ عالم بالأدب واللّغة، من أهل أصبهان،كان إسكافا، ثم خطيبا بالريّ، توفي سنة 420 هـــ، وقيل 421هـــ، له: مبادئ اللغة، وشواهد سيبويه، ونقد الشعر، ودرّة التنزيل وغرّة التأويل... انظر: البغية، ج1، ص149، والأعلام، ج6 ص227.

(3) ــ جاءت في ثلاث سور قرآنية: [الرعد: 2]، و[غافر: 13]، و[الزمر: 5].

الخلق وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية. وكذلك قوله في سورة الملائكة إنما هو في ذكر النّعم التي ابتدأ بها في البرّ و البحر، إذ يقول: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ ﴾ إلى قوله: ﴿ ...وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: 13]، فاختصّ ما عند ذكر النّهاية بحرفها واختصّ ما عند ذكر الابتداء بالحرف الدّالّ على العــلّة التي يقع الفعل من أجلها. »[1]

وهكذا تُعرف الفروق بين الأحرف التي ادّعي أنّها تدخل في معاني بعضها، وذلك بالنظر إلى الآيات السّابقة واللاحقة والتدبّر في سياق الآية، لأنّ كلّ حرف لا ينسلخ عن معناه، وإن بدا ذلك في الظاهر؛ فهو لخصيصة سياقية تُدرى بإعمال الفِكر والتأمّل، والقرآن له أسرار في استعمال الحرف، ولا يتأتّى لك ولوج بابها ولا صعود أسبابها حتى تعرف أنّ الحروف التي جاء بها القرآن هي نفسها ما نطقت به العرب؛ بلا غرابة ولا تعقيد، « لكن حينما دخلت في كلمة منه كانت كاللآلئ، وحينما سَلَكَت في نظمه تحوّلت إلى جواهر، فهو يَتَخيَّر حروفها صافية الذّوق، سهلة في مخارجها، حسنة في أصواتها، حتى تكون طيّبة المجرى على اللّسان، لَذيذة السّماع على مستقبلها، نازلةً على أحسن هيئة في الإيقاع، شديدة البعث لما تتضمّنه من المعاني والأغراض. »[2] ولن تجد هذا في كلام لفظته أنفاس الخليقة ولاكَتْه ألسنتهم قطّ، لكنّه بيانٌ من ربّ البيان.

(1) ــ درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ص1056- 1059.

(2) ــ ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1402هـ-1982م، ص74- 75.

المبحث الثاني: أهمية السّياق القرآني، وعناية العلماء به

بعد معرفة حقيقة السّياق القرآني، يجدر بالبحث إبراز أهمية السّياق القرآني، وعناية العلماء به.

المطلب الأول: أهمية السّياق القرآني

للسّياق أهمّية كبيرة في الكشف عن خبايا النصوص، وفكّ مقفلاتها، نذكر منها ما يأتي:

ـــ السّياق القرآني من أركان الإعجاز البياني للقرآن الكريم:

وتتبين هذه الأهمية بقول الجرجاني: ((فخبّرونا عنهم عمّا ذا عجزوا ؟ أعن معان في دقّة معانيه وحسنها وصحَّتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: عن الألفاظ؛ فماذا أعجزهم من اللّفظ، أم ما بهرهم منه؟ فقلنا: أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمِهِ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها...حتى خَرست الألسنُ عن أن تدّعي وتقول، وحَذيت القُروم فلم تملك أن تصول.))[1]

ـــ أنّ السّياق أصل معتبر في التّفسير عند العلماء:

قال ابن القيم: ((قال عمر بن الخطّاب للصّحابة: ما تقولون في: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر: 1]، السّورة ؟ قالوا: أمَرَ الله نبيّه إذا فَتَح عليه أن يستغفره، فقال لابن عباس: ما تقول أنت؟ قال هو أَجَلُ رسولِ الله ﷺ أعلمَه إيّاه، فقال ما أعلم منها غير ما تعلم وهذا من أدقّ الفهم وألطفه، ولا يدركه كلّ أحد، فإنّه سبحانه لم يعلّق الاستغفار بعلمه، بل علّقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمةِ فَتْحِه على رسوله، ودخول النّاس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعُلم أنّ سبب الاستغفار غيرُه، وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النّصوح والاستغفار بين يديه ليلقى ربّه طاهراً مطهّراً من كلّ ذنب فيقدُم عليه مسروراً راضيا مرضيّا عنه...))[2]

وقال الزّركشي: ((دلالة السّياق فإنّها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوّع الدّلالة، وهو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم، فمن

---

(1) ـ دلائل الإعجاز، ص39.

(2) ـ إعلام الموقعين، ج3، ص124.

أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: 49]،كيف تجد سياقه يدلّ على أنّه الذّليل الحقير. »[1]

ـــ أثر السّياق القرآني في ترجيح وجه دلالي لحروف المعاني:

ـــ حرف "الواو":

رجّح الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران: 7] بين معنيين محتملين للواو استنادا إلى السّياق القرآني؛ فقال: « لا يخفى أن هذه الواو محتملة للاستئناف ... ومحتملة لأن تكون عاطفة... وعليه فالمتشابه يعلم تأويله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ أيضا، وفي الآية إشارات تدلّ على أنّ الواو استئنافية لا عاطفة، قال ابن قدامة ما نصّه: ولأنّ في الآية قرائن تدلّ على أنّ الله سبحانه متفرّد بعلم المتشابه، وأنّ الوقف الصّحيح عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 7]، لفظا ومعنى... أمّا المعنى فلأنه ذمّ مبتغي التأويل، ولو كان ذلك للراسخين معلوما لكان مبتغيه ممدوحا لا مذموما... ومما يؤيّد أنّ الواو استئنافية لا عاطفة دِلالة الاستقراء في القرآن أنّه تعالى إذا نفى عن الخَلْق شيئا وأثبته لنفسه، أنّه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك...»[2] فلمّا جاء السّياق في ذمّ ابتغاء التأويل بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: 7] كان الاستئناف ألْيق بأهل العلم المؤمنين بالتفويض والتّسليم للشّيء مع عدم معرفة معناه.

ـــ حرف "لعلّ":

أثْبَتَ لها ابن هشام ثلاثة معان هي: التوقّع، التعليل، والاستفهام، وذكر المرادي أكثر من ذلك.[3]

لكن نجد الشنقيطي عند تفسيره لمعنى لعلّ في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ [الكهف: 6]، لم يقنع بما أورده النّحاة عن معناها، لأنّ السّياق القرآني أبى الإفصاح عن المعنى في خضمّ ذلك، ورأى أنّ أظهر معانيها « المراد بها في الآية: النّهي عن الحزن عليهم

(1) ـ البرهان، ج2، ص 200-201.

(2) ـ أضواء البيان، ج1، ص191- 192.

(3) ـ ينظر: مغني اللبيب، ص379، والجنى الداني، ص579.

وإطلاق "لعلّ" مضمّنة معنى النّهي في مثل هذه الآية أسلوب عربيّ يدلّ عليه سياق الكلام، ومن الأدلّة على أنّ المراد بها النّهي عن ذلك؛ كثرة ورود النّهي صريحاً عن ذلك.. » (1)

فالسّياق القرآني كشف عن دلالة نهي المولى ﷻ لنبيّه على عدم إهلاك نفسه وَجداً عليهم وأسفاً بفراقهم على أثَر تولّيهم وإعراضهم عنه.

وهذا يدلّ على أهميّة السّياق القرآني في كبح المدد المعنوي للحروف، واعتماده في ترجيح معاني الحروف.

ـــ أثر السّياق في الترجيح بين المعاني:

ومن أمثلة؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: 22]، قال الطّبري عن هذه الآية: « واختلف فيمن عنِيَ بهذه الآية، فقال بعضهم: عُني بها نفرٌ من المشركين... وقال آخرون عُني بها المنافقون... وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال بقول ابن عبّاس: وأنّه عُني بهذه الآية مشركو قريش، لأنّها في سياق الخبر عنهم. » (2)

ـــ يعين السّياق على تحديد أسلوب الكلام، حين يخالف ظاهر اللفظ المعنى المقصود،كأنْ يُعبّر بالماضي والمقصود المضارع، أو العكس، وحين يكون الأسلوب ظاهره الخبر والمقصود به الإنشاء على أنّ الاختلاف له غرض في بيان المعنى، ومن أمثلته؛ قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة: 228]، وقوله: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ [البقرة: 233] الأسلوب أسلوب خبر، لكن المقصود منه الأمر، والمرشد إلى ذلك هو السّياق، لكنّه كان على الخبر تأكيداً، فكانت الصّيغة مقصودة. (3)

ـــ أهمية السّياق في إبراز معاني حروف الجرّ: سيتأتي أمثلتها في المبحث اللاحق ـــ إن شاء الله ـــ

ـــ يعين السّياق على بيان سبب الإفراد والجمع:

قال ابن القيّم: « إنّ السّماوات مقرّ ملائكة الربّ تعالى ومحلّ دار جزائه ومهبط ملائكته ووحيه، فإذا اعتمد التّعبير عنها، عبّر عنها بلفظ الجمع؛ إذ المقصود ذواتها لا مجرّد العلوّ والفوق وأمّا إذا أريد الوصف الشّامل للسّماوات، وهو معنى العلوّ والفَوق أُفرِد ذلك بحسب ما يتّصل به

(1) ـ أضواء البيان، ج3، ص201.

(2) ـ جامع البيان في تأويل القرآن، ج13، ص460- 461.

(3) ـ ينظر: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصّة موسى، فهد الشتوي، ص81.

من الكلام والسّياق فتأمّل قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ﴾ [الملك: 16-17] كيف أُفرِدت هنا لما كان المراد الوصف الشّامل والفَوق المطلق، ولم يرد سماءً معينة مخصوصة، ولما لم تفهم الجهمية هذا المعنى أخذوا في تحريف الآية عن مواضعها. وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [يونس: 61] بخلاف قوله في سبأ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سبأ: 3] فإنّ قبلها ذكر سبحانه سَعة ملكه، وأنّ له ما في السّماوات وما في الأرض؛ فاقتضى السّياق أن يذكر معه علمه، وتعلّقه بمعلومات ملكه ومحله، وهو السّماوات كلّها والأرض... وانظر كيف جاءت مفردةً في قوله: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات: 22] فالرّزق: المطر، وما وُعِدْنا به: الجنّة وكلاهما في هذه الجِهة، لا أنّهما في كلّ واحدةٍ من السّماوات، فكان لفظ الإفراد ألْيق بها... وتأمّل كيف لم يجيء في سياق الإخبار بنزول الماء منها إلا مفردة حيث وقعت؛ لما لم يكن المراد نزوله من ذات السّماء بنفسها بل المراد الوصف. »[1]

ـــ أثر السّياق في بيان المجمل:

ومن أمثلته، ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 115]، حيث نقل الطّبري عن مجاهد وغيره أنّ تأويل قوله تعالى: ﴿ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾، أي: قِبْلَةُ الله [2] فيُظنّ أنّ هذا من باب تأويل الوجه بالقِبْلَة، ومن باب تأويل الصّفات فصوّب ـــ ابن تيمية ـــ هذا التأويل معتمدا سياق الآية؛ بقوله: « نعم، هذا صحيح عن مجاهد والشَّافعيِّ وغيرهما، وهذا حقّ وليست هذه الآية من آيات الصِّفات، ومن عدَّها فِي الصِّفات فقد غلط كما فعل طائفة؛ فإنّ سياق الكلام يدلُّ على المراد حيث قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة ؛ يقال: أيُّ وجْه تريده؟ أي: أيُّ جهةٍ، وأنا أُريد هذا الوجه، أَي: هذه الجِهَة، كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ

(1) ـ بدائع الفوائد، ج1، ص201- 204.

(2) ـ ينظر: جامع البيان، ج2، ص536، وتفسير ابن كثير، ج1، ص391.

﴿ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: 148]، ولهذا قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾،أي: تستقبلوا وتتوجَّهوا واللّهُ أعلم. » (1)

المطلب الثاني: عناية العلماء بالسّياق

لقد أوْلى العلماء والمفسّرون اهتماماً بالغاً بقضية السّياق القرآني التي تتعلّق أساسا بفهم كتاب الله واستِكناه أسراره وحِكَمه، وقد كان في صريح كلامهم ما يُنبئ عن ذلك ويقرّره، نورد بعضه فيما يأتي:

قال العزّ بن عبد السّلام (2): « السّياق مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكلّ ذلك بعُرف الاستعمال، فكلّ صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكلّ صفة وقعت في سياق الذمّ كانت ذمّا، فما كان مدحا بالوضع فَوَقع في سياق الذمّ صار ذمّا واستهزاءً وتهكُّما بعُرف الاستعمال. » (3)

ومن بين العلماء الذين اهتموا بالسّياق الرّاغب الأصفهاني في كتابه المفردات، فقد أثنى الزركشي عن طريقته في تفسير مدلولات الألفاظ، في حديثه عن تفسير القرآن الذي لم يرد فيه بنقل عن المفسّرين، قال: « وطريق التوصّل إلى فهمه النّظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السّياق، وهذا يعتني به الرّاغب كثيرا في كتاب المفردات، فيَذكر قيدا زائدا على أهل اللّغة في تفسير مدلول اللّفظ، لأنّه اقتنصه من السّياق. » (4)

وقال ابن تيمية في حديثه عن أنّ ظاهر الألفاظ في مواضع لا تدلّ على مدلولاتها حيث وردت: « بل يُنظَر في كلّ آيةٍ وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبيّن معناه من القرائن والدّلالات، فهذا

---

(1) ــ مجموع الفتاوى، ج3، ص193.

(2) ــ هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن بن محمد بن المهذب السّلمي، الدّمشقي الشافعي، المعروف بابن عبد السّلام، فقيه مشارك في الأصول والعربية والتفسير، ولد بدمشق سنة 577 أو 578 هـــ، وتفقّه على فخر الدين عساكر وقرأ الأصول والعربية، درّس وأفتى وبرع في المذهب الشافعي، وبلغ رتبة الاجتهاد، توفي بالقاهرة سنة 660هـــ، من كتبه: القواعد الكبرى في أصول الفقه، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز العماد في مواريث العباد... انظر: معجم المؤلفين، ج5، ص249.

(3) ــ الإمام في بيان أدلة الأحكام، ت: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1407هـــ- 1987م، ص 159.

(4) ــ البرهان، ج2، ص173.

أصل عظيم مُهمّ نافع، في باب فهم الكتاب والسنّة، والاستدلال بهما مطلقاً، ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب... وفي سائر أدلّة الخلق »(1)

وقال الشّاطبي تعظيماً من خَطَر السّياق كونُه عمدةً في تفهّم كتاب الله؛ قال: « فلا محيص للمتفهّم عن ردّ آخر الكلام على أوّله، وأوّله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشّارع في فهم المكلّف، فإنْ فرّق النّظر في أجزائه؛ فلا يتوصّل به إلى مراده... »(2)

وقال ابن القيم إثر فائدة إرشادات السّياق: « السّياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوّع الدّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم، فمن أهملَه غلط في نظره وغالط في مناظرته. »(3)

وقال أيضاً في حديثه عن تفاوت النّاس في مراتب الفهم: « ومنهم من يقتصر فهمه على مجرّد اللّفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره، وأخصّ من هذا وألطف ضَمُّه إلى نصّ آخر متعلّق به فيُفهم من اقترانه به قدْرا زائدا على ذلك اللّفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا ينتبه له إلا النّادر من أهل العلم... »(4)

و تبقى« نظرية السّياق إذا طُبّقت بحِكمة؛ تمثّل الحجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة بهذا الشّأن. »(5)

ـــ اهتمام العلماء بقضية العدول، أو تخيّر حروف الجرّ في السّياق القرآني، ومدى دقّة بلاغة القرآن في استعمال حروف جرّ دون أخرى في سياقات دون أخرى، وسيأتي تفصيل ذلك أثناء الدّراسة التطبيقية بإذن الله.

ـــ العناية بعلم المناسبات، التي تعين على فهم خصائص النّظم القرآني،كمشاكلة الألفاظ للمعاني ومناسبة ذِكر لفظة دون أخرى في سياق معيّن، وحِكمة ترتيب لفْظٍ معيّن في مقام دون آخر وغيرها.

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ج6، ص18- 19.

(2) ـ الموافقات، ج4، ص266.

(3) ـ بدائع الفوائد، ج4، ص1314.

(4) ـ إعلام الموقعين، ج3، ص126.

(5) ـ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، مكتبة الشباب، (د ط)، ص61.

قال الزركشي: « واعلم أنّ المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويُعرف به قدْر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللّغة المقاربة...وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوّى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، وقد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا النّوع لدقّته، وممّن أكثر منه الإمام فخر الدين الرّازي، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مُودَعة في الترتيبات والرّوابط، وقال بعض الأئمّة: من محاسن الكلام أنْ يرتبط بعضه ببعض لئلّا يكون منقطعا. »(1)

ومما يوضّح ذلك؛ قولهم: « إنّ حُسن العطف ينظر إلى حُسن المناسبة، وحُسن المناسبة يختلف باختلاف الغرض المسُوق له الكلام. »(2)

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [البقرة: 19]، قال النّورسي: « وأمّا هيئات جملة: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فاعلم أنّ "الواو" تقتضي المناسبة(3)، وما المناسبة إلا بين هذه وبين التابع لمآل السّابقة، فكأنّ هذه "الواو" تقرأ عليهم: هم قوم فَرّوا من العمارة، ونفروا من الحضارة وعَصَوا قانون كون اللّيل سُباتا، ولم يطيعوا نصيحة النّاصح فظنّوا النّجاة بالخروج إلى الصّحراء فخابوا وأحاط بهم بلاء الله. »(4)

كما أنّ « لمعرفة المناسبة فائدتها في إدراك اتّساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي، وإحكام بيانه وانتظام كلامه وروعة أسلوبه. »(5)

---

(1) ــ البرهان، ج1، ص35- 36.

(2) ــ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان النّورسي، ت: إحسان قاسم الصالحي، ط1، 1409هـ - 1989م، ص71.

(3) ــ تشترط المناسبة في العطف بين جملتين، أمّا العطف بين مجموع جمل في سياقين مختلفين؛ فتتأكد المناسبة بين الغرضين دون آحاد الجمل الواقعة في المجموعين، ينظر: الكليات، للكفوي، ص1016-1017.

(4) ــ إشارات الإعجاز، ص149.

(5) ــ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ- 2000م، ص96.

وسبيل تقصي المناسبة هو النّظر في النّظم والسّياق والقرائن الدّالة، لأنّ دلالة السّياق غير صريحة؛ بل تُفهم بدليل من الخطاب، قال ابن القيم: ((ودلالة اللّفظ قد تحصل من صريحه تارةً ومن سياقه، ومن قرائنه المتّصلة به.))[1]

وهذا ما جعل الإحاطة بالأحوال ومعرفة الفروق الدّقيقة بين الكلمات أمرا غير يسير، قال الزّرقاني [2]: ((مما يجعل اختيار المناسبات عسيرا؛ ضرورة أنّ الإحاطة بجميع أحوال المخاطبين قد تكون متعسّرة، أو متعذّرة، وممّا يجعل اللّفظ الواحد في موضع من المواضع كأنّه نجمة وضّاءة لامعة، وفي موضع آخر كأنّه نُكتة سوداء مظلمة.))[3]

وتتأكّد مراعاتها حين يُتوهّم عدول ظاهر اللّفظ عن معناه، فتُراعى المناسبة دفعا لإيهام الاضطراب فـــ((ذكر المناسبة والرّبط بين الآيات أولّا و آخرًا؛ فذلك حسب ما يقتضيه النّظم والسّياق.))[4]

(1) ــ الصواعق المرسلة، ت: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـــ، ج2، ص714.

(2) ــ هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرّج بكلية أصول الدين، وعمِل بها مدرّسا لعلوم القرآن والحديث وتوفي بالقاهرة سنة1367هـــ، انظر: الأعلام، ج6، ص210.

(3) ــ مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، (د ط)، ج2، ص306.

(4) ــ مباحث في علوم القرآن، ص343.

المبحث الثالث: أثر السّياق في إبراز معاني حروف الجرّ

فممّا سبق يُدرك الدّور الفعّال التي يمثّله السّياق في تحديد معاني القرآن تبعا لتعدّد السّياقات ومن بين هذه الأهمّية إبرازه لدِلالات حروف الجرّ، إذْ « ليس لحروف الجرّ معنى معجمي كما في الأسماء والأفعال، وإنّما دلالاتها وظيفية في السّياق، وهذه الدّلالات المبهمة التي عُرِفت بها لا يمكن ظهروها بوجه محدّد إلا من خلال السّياق، حيث يُسهم السّياق اللّغوي في إظهار وتغليب وجه دلالي معيّن من بين الوجوه الدّلالية لكلّ دلالة من دلالات الحرف. »(1)

ولعلّ هذه المرونة المعنوية ما تميّزت به الأدوات عموما لأنّ أهمّيتها تكمُن « في تغيّر دورها الدّلالي بتغيّر السّياق، فقد خصّت الأداة بمرونة دلالية لا يشاركها فيها الاسم أو الفعل. »(2)

فقد تبدو دلالات حروف الجرّ محدّدة من قبل النّحاة، لكنْ سلطة الاستعمال قد تتجاوز هذه القوانين، وذلك بتغيّر معنى الحرف الواحد بتغيّر سياقه وتركيبه، فيوضع الحرف المناسب في مكانه الخاص به؛ بلا عوض، وهذا ما أكّده عبد القاهر الجرجاني بأنّ كلّ صورة لتركيب تعطي معنى خاصّا، وأنّ كلّ تغيّر في التركيب يترتّب عليه تغيّر في المعنى، قال الجرجاني: « وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه النّاظم بنظمه غير أنْ ينظرَ في وجوه كلّ باب وفروقه...وينظر في الحروف التي تشترك في معنًى، ثمّ ينفرد كلُّ واحدٍ منها بخصوصيّةٍ في ذلك المعنى، فيضع كُلّا من ذلك في خاصِّ معناه... »(3)

فهذه الخصوصية التي انفردت بها الحروف لا تُلمس إلا إذا نُظِم الكلام، وتناسبت معانيه، وفُرّق حينها بين المعنى العام الذي اقتضاه الوضع، والخاصّ الذي يُفهم من السّياق والتركيب المتكامل ولعلّ هذا ما عناه الجرجاني بخاصّ المعنى، حتى قال فيه أحد الباحثين: « وما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في نظريته الشهيرة؛ وهي نظرية النّظم؛ يعدّ في جوهره هو التطوّر الهام لنظرية السّياق والذي سمّاه اللّغويون المحدثون: " نظرية الرّصف أو النّظم". »(4)

---

(1) ــ القرآن الكريم وتفاعل المعاني، محمد محمد داوود، ج1، ص25.

(2) ــ أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، مشرف بن أحمد الزهراني، (دكتوراه)، جامعة أمّ القرى، 1427هـ، ص267.

(3) ــ دلائل الإعجاز، ص82.

(4) ــ الأدوات النحوية وتعدّد معانيها الوظيفية، أبو السعود الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ط1، 1989م ص54- 55.

فمثلا: « دلالة الاستعلاء لحرف الجرّ "على" لها وجوه متباينة يحدّدها السّياق، فإن كان السّياق في الخير كان الاستعلاء للإنعام والتفضّل من الله تعالى، أو للإكرام من إنسان إلى إنسان آخر، أو العطاء... وإن كان السّياق في الشرّ دلّ الاستعلاء على القوّة والقهر والسّيطرة وشدّة العذاب والإلزام، وفي سياق المعنويات يدلّ الاستعلاء على قوّة الصّفات موضوع الحديث وتمكّنها... وهكذا مع بقية الدّلالات. »(1)

إنّ لأحرف الجرّ المعدّية دورا أساسيا في إعطاء السّياق أكثر من معنى بتغيّر معنى الحرف، وأنّها تجعل معاني الأفعال ــ حين تضامّها ــ تختلف تبعاً للحرف المصاحب لها، وأنّ هذا الاختلاف في الدلالة نتيجة لاختلاف حرف التعدية مع الفعل نفسه. (2)

فالفعل « المعدّى بالحروف المتعدّدة لا بدّ أن يكون له مع كلّ حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإنْ ظَهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو رغبت فيه ورغبت عنه... »(3)

« لكن تحديد هذا المعنى للفعل أو الحرف، ونَقْله بين المعنى وضدّه، وهو خارج السياق، لا يتماشى مع طبيعة اللّغة التي هي في حقيقتها استعمال، والاستعمال سياقات وتراكيب، وليست كلمات جامدة. »(4)

والعدول عن معنى من هذه المعاني إلى معنى آخر أمرٌ يحتّمه السّياق، وتستدعيه المناسبة بين دلالة حرف الجرّ والسّياق اللّغوي الوارد فيه، ومن أمثلة ذلك؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النّساء: 17]

خصّ التّوبة بحرف الاستعلاء "على"، وقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النّور: 31]، خصّها بحرف الانتهاء "إلى"، وهذا لأنّ الآية الأولى وردت

(1) ــ القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص25.

(2) ــ ينظر: دور الحرف في أداء معنى الجملة، الصادق خليفة راشد، ص247- 248.

(3) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص423.

(4) ــ دور الحرف في أداء معنى الجملة، ص248.

في سياق تفضّل الله تعالى بالتّوبة على عباده، ودلالة الاستعلاء فيها تناسب كون التوبة تفضّلا من الله ﷻ والأخرى وردت في سياق اتجاه العبد بالتوبة إلى الله، ودلالة انتهاء الغاية، و اتّجاه الفعل ــ المفهومة من إلى ــ تناسب كون التوبة من العبد، فهو يتّجه بها إلى الله ﷻ. (1)

ومن بين الأمثلة التي يتجلّى فيها دور السّياق القرآني في الكشف عن الدّلالات الدّقيقة، والمعاني البلاغية لحروف الجرّ، نذكر:

قول الشنقيطي عن معنى "اللام" في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] قال: ((اعلم أنّ التحقيق إن شاء الله، أنّ اللام في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ لام التعليل المعروفة بلام كي وقال ابن كثير ــ رحمه اللّه ــ في تفسير هذه الآية: ولكن إذا نظر إلى معنى السّياق فإنّه تبقى اللام للتعليل؛ لأنّ معناه: أنّ الله تعالى قيّضهم لالتقاطه، ليجعله عدوّا لهم وحزنًا، فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه... وبهذا التحقيق تعلم أنّ ما يقوله كثير من المفسّرين، وينشدون له الشواهد من أنّ اللام في قوله: ﴿لِيَكُونَ﴾، لام العاقبة والصيرورة خلاف الصّواب وأنّ ما يقوله البيانيّون من أنّ اللام في قوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ فيها استعارة تبعية في متعلّق معنى الحرف خلاف الصّواب أيضًا.)) (2)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية؛ يكشف عن دور السّياق في تحديد المعنى الدّقيق لحرف الجرّ "على" في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، يقول: ((واستعمل في هذا حرف الاستعلاء لأنّ القلب لا يستقرّ ولا يثبُت إلا إذا كان عالما موقِنا بالحقّ، فيكون العلم والإيمان صبْغة له ينصبغ بها كما قال: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138]، ويصير مكانةً له كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 135] والمكان والمكانة قد يُراد به ما يَستقرّ الشيء عليه، وإن لم يكن محيطا به كالسّقف مثلا، وقد يراد به ما يحيط به، فالمهتدون لّما كانوا على هدىً من ربّهم ونور وبيّنة وبصيرة صار مكانةً لهم؛ استقرّوا عليها وقد يحيط بهم بخلاف الذين قال فيهم: ﴿وَمِنَ

(1) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص25.
(2) ــ أضواء البيان، ج6، ص150- 151.

﴿ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ [الحج: 11]، فإنَّ هذا ليس ثابتًا مستقرًّا مطمئنّاً، بل هو كالواقف على حَرف الوادي وهو جانبه؛ فقد يطْمئنُّ إذا أصابه خيرٌ وقد ينقلب على وجهه ساقطًا في الوادي، وكذلك فرَّق بين: ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ ﴾ [التوبة: 109]، وبين: ﴿ مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ ﴾ [التوبة: 109]. »[1]

ومن الأمثلة أيضا قوله ﷻ: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: 39]، بحرف "على"، وقال في موضع آخر: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: 14]، بـــ"الباء"، و: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [هود: 37] فما الفرق؟.

يجيب عن هذا السّهيلي[2] بقوله: « فالفرق أنّ الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفيّا وإبداء ما كان مكتوما؛ فإنّ الأطفال إذ ذاك كانوا يُغْذون ويصنعون سرّا، فلمّا أراد أن يُصنع موسى ويغذي ويربّي على حال أمْنٍ وظهورٍ؛ لا تحت خوف واستسرار دخلت "على" في اللّفظ تنبيها على المعنى، لأنّها تعطي معنى الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وإبداء فكأنّه يقول سبحانه: ولتصنع على أَمْنٍ لا تحت خوف، وذكر "العَيْن" لتضمّنها معنى الرّعاية والكلاءة، وأمّا قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: 14]، فهو إنّما يريد برعاية منّا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كَتم، فلم يحتج في الكلام إلى معنى على بخلاف ما تقدّم. »[3]

ومن المواضع التي يتوقّف فهمُ الحروف فيها على فهم السّياق التي جاءت فيه؛ قوله تعالى: ﴿ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: 47]. فاختلف المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ ﴾، هل السّمع إذا عدّي بـــ"اللام" أُريد به سمع الإدراك أي: السّمع الذي يقتضي الإخبار، أم أُريد به سمع الطّاعة والانقياد.[4]

---

(1) ــ مجموع الفتاوى، ج15، ص63- 64.

(2) ــ هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، حافظ، عالم باللّغة والسّير، ولد في مالقة سنة 508هـــ، وعَمِيَ وعمره 17 سنة، ونبغ فاتّصل خَبَرُه بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنّف كتبه إلى أن توفي بها سنة581هـــ، من كتبه: الروض الآنف، ونتائج الفكر، والإيضاح والتبيين لما أُبْهم من تفسير الكتاب المبين... انظر: الأعلام، ج3، ص313.

(3) ــ نتائج الفكر في النحو، ص230.

(4) ــ ينظر: معالم التّنزيل، البغوي، ج4، ص56.

وقد أوضح هذا ابن القيّم بتعيين المعنى المناسب استنادا إلى السّياق التي وردت فيه الآية، فقال عن قوله تعالى: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ ((أي: قابلون ومنقادون، وقيل: عيون وجواسيس وليس بشيء فإنّ العيون والجواسيس إنّما تكون بين الفئتين غير المختلطتين، فيحتاج إلى الجواسيس والعيون، وهذه الآية إنّما هي في حقّ المنافقين؛ وهم كانوا مختلطين بالصّحابة بينهم، فلم يكونوا محتاجين إلى عيون وجواسيس، وإذا عُرف هذا فسَمْع الإدراك يتعدّى بنفسه، وسَمْعُ القَبول يتعدّى بـــ"اللام" تارةً وبـــ"مِن" أخرى، وهذا بحسب المعنى؛ فإذا كان السّياق يقتضي القَبول عُدِّي بـــ"من"، وإذا كان يقتضي الانقياد عُدِّي باللام وأمّا سمْع الإجابة فيُعدّى بـــ"اللام" نحو: سَمِع الله لمن حمِده، لتضمّنه معنى استجاب له، ولا حذف هناك، وإنَّما هو مضمَّن، وأمّا سمع الفَهم فيتعدّى بنفسه، لأنّ مضمونه يتعدَّى بنفسه.))[1]

فقد أبرز السّياق في هذه الآية معنى الحرف الذي ناسب المقام، والذي لا يمكن إبداله بغيره، لأنّ تفسيره بغيره إغماض للمعاني المتوخّاة، فكلّ تركيب لفعل مع حرف معيّن يحمل معنىً قد يُفقد مع الحرف الآخَر، والفيصل في معرفة ذلك هو السّياق القرآني وعُرف الاستعمال.

ومما سبق نُدرك مدى المشاكلة المحكمة بين ألفاظ القرآن ومعانيه، فقد يُتوهّم إحلال لفظ محلّ آخر في التعبير القرآني؛ لكن((من تدبّر القرآن وصَرف إليه فِكره؛ عَلِم أنّه لم يَقرع الأسماع قطّ كلام أوجز، ولا أفصح، ولا أشدّ مطابقة بين معانيه وألفاظه منه.))[2]

لذلك فقد يُختار الحرف في القرآن مع أنّه يُتصوّر قيام غيره مقامه، لكن عند التأمّل نجد أنّ هذا الاختيار مرهون بمعاني تُفهم من السّياق، فلو أقيمت أيّة مفردة غير هذه المفردة؛ لما كان لقيامها محلّها شيء من الفائدة التي حقّقها الاستعمال الأوّل؛ وذلك لِحكمة تنبُو عنها أكثرُ الأفهام، لدقّتها ولُطف مسلكها.

(1) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص507-508.

(2) ــ الصواعق المرسلة، ج2، ص709.

المبحث الرابع: حروف الجرّ بين التناوب والتضمين

من بين الإشكاليات الدّلالية في تعدية الأفعال بحروف الجرّ العربية، التي استوقفت كثير من الباحثين هي مسألة دقيقة تحتاج إلى فِكر وورويّة، تناولها أهل العربية واختلفت فيها مذاهبهم، وهي مسألة التضمين في الحروف إثر سياقها الدّلالي، لكن هذه المسألة لم تبقَ متوقّفة على الدّرس اللّغوي فحسب بل استحالت قضيةً تفسيرية تتعلّق بفهم آيات الذّكر الحكيم. ولأنّ معاني حروف الجرّ وما تدليه من أسرار بلاغية تَكشف عن دقّة هذه اللّغة في محاكاة المعاني، ومباشرة البيان، لذا تلحّ الضّرورة على التفقّه في معانيها، وامتلاك ناصية دورانها في الكلام، لأنّ « مقاصد كلام العرب، على اختلاف صنوفه، مبني أكثرها على معاني حروفه؛ صُرفت الهِمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها وهي مع قلّتها، وتيسر الوقوف على جملتها، قد كَثُر دَوْرها، وبعد غَوْرها فعزّت على الأذهان معانيها، وأبَت الإذعان إلا لمن يعانيها. »[1]

وجوهر الخلاف بين النّحاة الكوفيين والبصريين فيما إذا تعدّى الفعل بحرفٍ من حروف الجرّ ليس في أصل الاستعمال أنْ يتعدّى به، وذهبوا لتفسير هذه الظاهرة مذهبين؛ ألخصّها فيما يأتي:

أوّلا: رأي الكوفيين: ذهب جمهور الكوفيين [2] ومن سار على نهجهم إلى القول بتناوب الحروف بعضها عن بعض في الوظيفة، وأنّ لحرف الجرّ أكثر من معنى حقيقي، لأنّه قسيم الاسم والحرف الذيْن ثَبت أنّهما يؤدّيان عدّة معاني حقيقية، فيقولون: إنّ "في" بمعنى "على"، و "على" بمعنى "في" وهكذا.

ثانيا: رأي البصريين: وذهب جمهور البصريين [3] إلى أنّ حروف الجرّ لا ينوب بعضها عن بعض بل « إبقاء الحرف على موضوعه إمّا بتأويل يَقبَله اللّفظ، أو بتضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشّذوذ. »[4]

---

(1) ــ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص19.

(2) ــ ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج1، ص63، ومجاز القرآن، أبو عبيدة، ج1، ص324، وتأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص567 وأدب الكاتب، ابن قتيبة، ص394، وحروف المعاني، الزجاجي، ص23، والصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص136، والأزهية في علم الحروف، الهروي، ص267.

(3) ــ ينظر: الخصائص، ابن جني، ج2، ص308.

(4) ــ الجنى الداني، المرادي، ص46، وانظر: بدائع الفوائد، ج2، ص423، ومغني اللبيب، ص150-151.

وكلاهما ضرب من الاتّساع في العربية، لكن اختلف في تخريج [1] هذا الاتساع وتعليله لغويا باعتبار الأصل المبني على القياس والاستقراء، فمنهم من رَهَن هذه المرونة المعنوية في الحروف فتتقارض وظائفها إذا تقاربت المعاني، ومنهم من جعل هذا الاتّساع في الفعل المتعدّي بحرف الجرّ فيُضمَّن معنى فعل آخر يتعدّى في أصل وضعه بالحرف المذكور، وهذه الظاهرة شائعة في العربية حتى قال ابن جنّي في التّمام: لو جُمع ما جاء منه لجاء منه كتاب يكون مئتين أوراقا. [2]

كما ((لا يخفى أنّ كلا الرأيين ما هما إلا محاولة من العلماء لبيان المعنى وتصحيح التّعديَة والوقوف عندهما يعدّ صرفا لهِمَم الدارسين عن البحث في أعماق النصوص للوقوف على روائع البلاغة في تنوّع المعاني التي يكتسبها الفعل بتنوّع معاني حروف الجرّ الداخلة عليه)) [3]، وهذا يشترط إعمال الفِكر والتأمّل، ويحوي أسرارا بيانية ومعاني ثانية دقيقة، تنوّعت أقوال البلاغيين والمفسّرين في تخريجها.

وقد عدّ ابن جنّي هذه الظاهرة من أنواع الحمل على المعنى، فقال بعد ما وصف الحمل بالاتّساع وبُعْد الغَور، قال: ((ومنه ــ أي من الحمل على المعنى ــ باب من هذه اللّغة واسع لطيف طريف، وهو اتّصال الفعل بحرف ليس ممّا يتعدّى به، لأنّه في معنى فعل يتعدّى به، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة: 187]، لمّا كان في معنى الإفضاء عدّاه بـــ"إلى" ...)) [4]

فالتضمين عند البصريين هو التفسير اللّغوي لظاهرة تعدية الأفعال بأحرف لا تتعدّى بها في عُرف اللّغة أو ــ الاستعمال المطّرد ــ يقول ابن جني: ((اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه وذلك كقول الله عز اسمه: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة: 187] وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها، أو معها لكنّه لما كان الرفَث هنا في معنى

(1) ــ أعني بالتخريج وسيلة تأويلية من النّحاة لردّ الكلام إلى أصل قاعدة متفّق عليها، انظر: الأصول، تمام حسان، ص145.

(2) ــ ينظر: مغني اللبيب، ص899.

(3) ــ من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، مجلة جامعة أم القرى، العدد27، 1424هـــ، ج15، ص733.

(4) ــ الخصائص، ج2، ص435، وانظر: إعراب القرآن، الزجاج، ص806.

الإفضاء، وكنت تعدّى أفضيت بـــ"إلى" كقولك: أفضيت إلى المرأة جئت بـــ"إلى" مع الرفث إيذانا وإشعارا أنّه بمعناه. » (1)

وهذا الكلام يشير « إلى أنّ التبادل في استعمال الحرف، قد يقع بين فعلين ينتميان إلى حيّز دلالي واحد، ولا يوجد بينهما فرق كبير في الدّلالة على المعنى العام المستفاد من صيغتهما بمساعدة بقية عناصر التركيب. » (2)

ويعرّفه ابن هشام بقوله: « قد يُشرِبون لفظا معنى لفظ فيُعطونه حُكمه، ويسمّى ذلك تضميناً وفائدته أنْ تؤدّي كلمة مؤدّى كلمتين. » (3)

والظّاهر من كلام ابن هشام أنّ غرض التضمين هو الإيجاز في الكلام بأداء لفظ معنى لفظين لكن بالنّظر إلى كلام النّحاة؛ نجد أنّه محاولة لتأويل هذه التراكيب اللّغوية المتعارضة مع الأصول التركيبية في عُرف النّحاة، لأنّ التضمين عندهم هو تأويل وجود فعل يتعدّى بالحرف المذكور لأنّ الفعل الذي رُكّب معه لا يتعدّى به في الأصل.

وهذا مما عدّه بعض المتأخّرين ضربا من الردّ إلى الأصل، أو تأويلا لما خالف القاعدة؛ بقوله: « وأمّا التضمين فكثيرا ما يكون وسيلةً يستعملها النّحوي لحلّ إشكال الأصل، كأنْ يكون في الجملة فعل لازم انتصب بعده المفعول فيُضمَّن معنى المتعدّي أو متعدٍّ لم يصل إلى المفعول إلا بواسطة، فيُضمَّن معنى اللازم أو حرف استعمل في مكان حرف آخر فيقول النّحوي بتضمينه معناه، وهكذا، ثمّ يرى النّحوي في كلّ ذلك ردًّا إلى أصلٍ عُدِل عنه، ويقدّر هذا الأَصل. » (4)

ليحافظ بهذا التأويل اطّراد استعمال الفعل وإبقاء الحرف على أصله وبالتالي يسلَم التركيب من الاضطراب؛ وقد شاع هذا التأويل كمذهب للبصريين حتى أصبح قاعدة مطّردة تحلّ إشكال هذا التركيب، قال الرّضي: « واعلم أنّه إذا أَمكَن في كلّ حرف يُتوهّم خروجه عن أصله وكونه بمعنى كلمة أخرى، أو زيادته أن يبقى على أصل معناه الموضوع هو له، ويُضمَّن فعله المعدَّى به معنىً من المعاني يستقيم به الكلام، فهو الأَولى، بل الواجب... » (5)

---

(1) ــ الخصائص، ج2، ص308.

(2) ــ دور الحرف في أداء معنى الجملة ، ص250.

(3) ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص897.

(4) ــ الأصول، تمام حسان، ص145.

(5) ــ شرح الرضي على الكافية، ج4، ص329.

لكن هذا التوسّع في مفهوم تقدير الأصول وتأويل الألفاظ، وجَعْلُ نمط تركيبي يقاس عليه بتقصّي استعمالاته؛ اعتبره بعض المتأخّرين نوعا من التمحّل والتكلّف لا تقرّه القرائن ولا عُرف الاستعمال، حتى عدّه بعضهم فلسفةً مُبتكرة يقول: ((وكان الملجأ الذي رأوا أنّهم وجدوا ضالّتهم فيه، هو خَلق فلسفة توفّق بين القاعدة النّحوية، والاستعمال الذي يشذّ عنها، ولا يمكن الإضراب عنه، فقالوا بالأصالة والفرعية، وجعلوا ما توفّرت له النّاحية الكمّية من الشواهد الاستعمالية أصلا يُراعى في استنباط القاعدة وما جاء قليلا ولا يمكن ردّه؛ فرعا يردّ إلى أصله بوجه من الوجوه التأويلية.))(1)

وقال آخر: ((ولعلّ الذي ألجأ النّحاة إلى ظاهرة التضمين هو القول بالأصالة والفرعية، والذي أوقعهم في ارتباكات التأويل والتّقدير هو ارتباطهم بقواعد لغويّة معيّنة، غير مرتبطة بقرائن تحدّد استعمالات الحروف، فالحرف يكون معناه على مقتضى مدلوله في الجملة فهو مرتبط بمقام يحدّد معناه الصّحيح))(2)

وقال ناقدا للنّحاة في تشبّثهم بالمعنى المعجمي دون السّياق والتركيب: ((ويبدو أنّ الذي أوقع الكثير من النّحاة في ارتباكات كثيرة حول تخريج ظواهر لغوية معينة، هو ارتباطهم بالمعاني المعجمية دون مراعاة القرائن التي تصل بنا إلى المعنى الدّلالي. فالحرف منفردا يبقى معناه خاصّا، أو محصورا في إطار ضيّق وتوظيفه في تركيب معيّن هو الذي يحدّد معناه الحقيقي، فقد يختلف معناه من جملة إلى أخرى بمقتضى الاستعمال.))(3)

لكن هذا الرُّؤية ـــ من بعض المتأخّرين ـــ لا يمكن قَبولها على إطلاقها هكذا غُفلا، لأنّ القول بالتضمين له وَجاهته، لأنّه داخل في حيّز الإيجاز الذي يميّز هذه اللّغة المؤدّية للمقاصد بأقلّ الألفاظ، كما يُعدّ من التأويل غير الممتنع الذي يعتمد القرائن ويناسب الأحوال ((لأنّ التأويل إنّما يكون لموضع جاء نادرا خارجا عن نظائره منفردا عنها فيؤول حتى يُردّ إلى نظائره، وتأويل هذا غير ممتنع لأنّه إذا عُرف من عادة المتكلّم باطّراد كلامه في توارد استعماله معنى أَلِفه المخاطب؛ فإذا جاء موضع يخالفه، ردّه السّامع بما عهد من عُرف المخاطب إلى عادته المطّردة...))(4)

---

(1) ـ دور الحرف في أداء معنى الجملة، ص266.

(2) ـ حروف الجر في العربية بين المصطلح والوظيفة، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، 2006م ، ص119.

(3) ـ المرجع نفسه، ص118.

(4) ـ الصواعق المرسلة، ج1، ص384- 385.

وهذا لا يعني أنّ التضمين هو المبرّر المطّرد لتفسير هذه الظاهرة اللغوية، وذلك لورود أفعال لا تقبل التضمين وقد لا تتعدّى بالحرف المذكور، كقوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: 71] والفعل "صَلَبَ" اشتهر أنّه يتعدّى بـــ"على"، أكثر من تعديته بـــ"في" [1]، ومع ذلك لا يقبل الفعل التضمين، لكنْ ((شُبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قال: ﴿ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾، والذي يُقال في المشهور إنّ "في" بمعنى "على" فضعيف.)) [2]، فقد أُثبِت معنى هذا التركيب ببلاغة الاستعمال، دون تضمينٍ في الفعل.

وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ ﴾ [يوسف: 100] لا تضمين في "أحسن" لأنّ هذا التركيب على أصله الذي استعملته فيه العرب والقرآن الكريم، فهو يتعدّي بـــ"إلى" و"الباء" والعرب تقول أَحسَنْتُ بفلانٍ، وتقول أحْسِنْ بنَا، وقال كُثَيِّر:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُولَةٌ لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ. [3]

وندرة استعماله بهذا الحرف لا تبرّر شذوذه لأنّ هذا التركيب تستدعيه الأحوال والمقامات قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: ((أي أوْقَع وناطَ إحسانه بي، فهذا مَنْحى في وصول الإحسان بالباء، وقد يُقال أَحْسَنَ إليّ، وأَحْسَنَ فِي... وهذه المناحي مختلفة المعنى، وأَلْيَقُها بيوسف؛ قوله: "بي"، لأنّه إحسان دَرج فيه دون أن يقصد هو الغاية التي صار إليها.)) [4]

أمّا عن التناوب فيجب أن ننبّه على تقييد الإطلاق الذي اشتهر عند الكوفيين في مقولتهم: "إنّ حروف الجرّ ينوب بعضها عن بعض"، إذ لا بدّ من توخّي الدّقة في استعمالها، ومعرفة الفروق الدّقيقة بين هذه الحروف، فإنّ ((كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد؛ في كلّ منهما معنى ليس في صاحبه؛ ربّما عرفناه فأخبرنا به، وربّما غَمُض علينا فلم نُلزم العرب جهله)) [5]

---

(1) ــ ينظر: التحرير والتنوير، ج16، ص265.

(2) ــ مفاتيح الغيب، ج22، ص77.

(3) ــ ينظر: لسان العرب: (حسن)، ج7، ص708.

(4) ــ المحرر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـــ- 1993م، ج3، ص282.

(5) ــ المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص314. نقل هذا الكلام السيوطي عن ابن الأعرابي، وإنْ ورد لفظ "الحرف" هنا في معرض العموم ليشمل الاسم والفعل، لكن يحسن الاستدلال به في قسيمهما وهو حرف المعنى.

وتتأكّد في بيان القرآن الكريم الذي سيقت ألفاظه وَفق معانيه؛ ببلاغةٍ أُبْلِسَت لرفعتها فرسانُ الفصاحة والبيان، لذلك لا يمكن لمتذوّق بلاغة القرآن أن يكتفي عند هذه المقولة، لأنّ لطائف المعاني لا تعلَقُ إلا بلطائف الاستعمال وهذا المسْلك بدقّته، قد يمّمته أفهامُ العلماء فرفعوا شأنه ونوّهوا به، لِمَا تضمّنه من نِكاتٍ وأسرار.

قال محمود شاكر بعد ذكره لشأن حروف المعاني : ((أمّا المشقّة العظيمة، فهي في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من الجمل، ثمّ اختلاف معانيها باختلاف مواقعها، ثمّ ملاحظة الفروق الدّقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثّرة في معاني الآيات، وهذا وَحده أساس علم جليل من علوم القرآن.))(1)

ولأنّه ((من غير المستساغ القول باستواء الحرفَين في الدّلالة ـــ لأنّ لكلّ حرف دلالته الخاصّة به ـــ في كلام الناس ونتزّه كلامهم عنه، فما بالك بالبيان المعجَز الذي وضعت فيه الألفاظ مواضعها اللائقة بها، لأنّه كلام الذي أتقن كلّ شيء صنعا، فإنّ القول بقَبوله في القرآن يعدّ أمرا لا نكاد نرتضيه أو نقبله في حقّ بلاغة القرآن، لأنّه يقتضي أنّ القرآن حين يُؤثِر التعبير بحرف من حروف الجرّ دون ذلك الحرف الذي هو موضوع أصلا لذلك المعنى؛ يكون إيثاره له عاريا عن البلاغة، لأنّه حينئذ يصير الحرفان شيئا واحدا، وأنّ أحد الحرفين يستطيع أنْ يؤدّي ما يؤدّيه غيره وهذا ما نتزّه عنه البيان المعجز.))(2)

كما أنّ الأصل أنّ كلّ حرف لا يدلّ إلا على ما وُضِع له، ولا يدلّ على معنى حرف آخر.(3)

ونورد فيما يأتي تنبيه العلماء إلى ضوابط استعمالها في الكلام، مع توخّي الدقّة، وتجنّب الخطأ وما ذاك إلا لدقّة حروف المعاني الجارّة في محاكاة معانيها؛ ببلاغة تتنـــزّه عن تشابك المعاني:

قال ابن جني عن الخلط الواقع في هذا الباب: ((هذا باب يتلقّاه الناس مغسولا ساذجا من الصّنعة وما أبعد الصّواب عنه وأوقفه دونه، وذلك أنّهم يقولون: إنّ "إلى" تكون بمعنى "مع" ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه: ﴿ **مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ [آل عمران: 52]، أي مع

(1) ـــ تصدير كتاب: "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، لعبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، القسم الأول، ج1، ص (د).

(2) ـــ من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم، ص 733- 734.

(3) ـــ ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج2، ص481، وانظر: معاني النحو، ج3، ص7.

الله... ولسْنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكنّا نقول: إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له، فأمّا في كلّ موضع، وعلى كل حال فلا... »[1]

والأمر نفسه عند الزجّاج الذي عدّ الظاهرة من باب الحمل على المعنى، وليست من تناوب الحروف فقال عن قوله تعالى: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 52] : « معناه: من يضيف نصرته إلى نصرة الله. »[2]

ووجّه ابن العربي الأصوب في الحمل على المعنى بقوله: « وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النّحوية هذا فقال كثير منهم، إنّ حروف الجرّ يبدل بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعض فخَفِيَ عليهم وضع فعل مكان فعل وهو أوسع وأقيس، ولجّوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال. »[3]

وقال أيـــضا: « وأمّا قولهم إنّ "إلى" بمعنى "مع" فلا سبيل إلى وضع حرف موضع حرف، إنّما يكون كلّ حرف بمعناه، وتتصرّف معاني الأفعال، ويكون معنى التأويل فيها؛ لا في الحروف ... »[4]

وكذلك الأمر عند شيخ الإسلام ابن تيمية؛ يقول: « والعربُ تُضمِّن الفعل معنى الفعل وتُعدّيه تعدِيَته، ومن هنا غَلِط من جعل بعضَ الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله: ﴿ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ [ص: 24]، أَيْ: مع نعاجه، و﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 52]، أَيْ: مع اللَّه، ونحو ذلك والتَّحقيق ما قاله نحاة البصرة من التَّضمين ... »[5]

وعلى هذا المذهب دَرج ابن القيّم منهجه في نَفي التناوب في الحروف عامّة، إذ إنّ القاعدة عنده: « أنّ الحروف لا ينوب بعضها عن بعض؛ خوفا من اللَّبس وذهاب المعنى الذي قُصِد بالحرف، وإنّما يُضمّن ويُشرَب معنى فعل آخر يقتضي ذلك الحرف، فيكون ذِكر الفعل مع الحرف الذي يقتضيه غيره قائما مقام ذكْر الفعلين، وهذا من بديع اللّغة وكمالها، ولو قُدّر تعاقب

(1) ــ الخصائص، ج2، ص306- 308.
(2) ــ إعراب القرآن، ص806.
(3) ــ أحكام القرآن، ج1، ص243.
(4) ــ أحكام القرآن، ج2، ص59.
(5) ــ مجموع الفتاوى، ج13، ص342.

الحروف ونيابة بعضها عن بعض فإنّما يكون ذلك إذا كان المعنى مكشوفا واللّبس مأمونا، فيكون من باب التفنّن في الخطاب والتوسّع فيه، فإمّا أن يُدّعى ذلك من غير قرينة في اللّفظ؛ فلا يصحّ ... » (1)

ويلخّص المرادي القولين، مع أنّ عدم التناوب هو قول المحقّقين؛ فيقول: « رَدّ كثيرٌ من المحقّقين سائر معاني الباء إلى معنى الإلصاق، كما ذكر سيبويه، وجعلوه معنى لا يفارقها، وقد ينجرّ معه معانٍ أخر، واستبعد بعضهم ذلك، وقال الصّحيح التنويع. » (2)

كما عقد ابن هشام في كتابه: "المغني" باب: "التحذير من أمور اشتهرت بين المُعرِبين والصّواب خلافها"، ومنها: « قولهم ينوب بعض حروف الجرّ عن بعض، وهذا أيضا ممّا يتداولونه ويستدلّون به وتصحيحه بإدخال "قدْ" على قولهم: "ينوب"، وحينئذ فيتعذّر استدلالهم به، إذ كلّ موضع ادّعوا فيه ذلك، يقال لهم فيه لا نُسلّم أنّ هذا مما وقعت فيه النّيابة، ولو صحّ قولهم لجاز أن يُقال: مَررْت في زيد ودَخلْت من عَمرو، وكتبْت إلى القلم على أنّ البصريين ومن تابعهم يرَون في الأماكن التي ادّعيت فيها النّيابة أنّ الحرف باق على معناه، وأنّ العامل ضُمّن معنى عامل يتعدّى بذلك الحرف، لأنّ التجوّز في الفعل أسهل منه في الحرف. » (3)

ويوضّح أبو البقاء الكفوي الفيصل في استعمال الفعل مع حرف جرّ دون آخر؛ فيقول: « الفعل المتعدي بالحروف المتعدّدة لا بدّ أن يكون له مع كلّ حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإنْ ظَهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو رَغِبت فيه وعنه، وعَدلت إليه وعنه، ومِلت إليه وعنه، وسعيت إليه وبه، وإنْ تقاربت معاني الأدوات عسُر الفرق، نحو قَصدْت إليه وله، وهَدَيت إلى كذا ولكذا، فالنّحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأمّا فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، وهذه طريقة إمام الصّناعة سيبويه. » (4)

وبناء على هذا أقول: إنّ مذهب القول بتناوب الوظائف في حروف الجرّ في التعبير القرآني لا يناسب بلاغة القرآن الأزلية، ومن ثمّ إعجازه البياني الخالد، لأنّ رأي الكوفيين ليس إلا محاولة

(1) ــ بدائع الفوائد، ج3، ص945.
(2) ــ الجنى الداني، المرادي، ص46.
(3) ــ مغني اللبيب، ص861.
(4) ــ الكليات، ص1591.

لاستجلاء المعنى واعتماد الفهم الظاهري للنصوص، حتى جعله ابن القيّم مذهب ظاهرية النّحاة « وأمّا فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيُشربون الفعل المتعدي به معناه، وهذه طريقة إمام الصناعة سيبويه، وطريقة حذّاق أصحابه؛ يضمّنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فِطنةً ولطافةً في الذّهن. »[1]

ولو قلنا بالتناوب لزالت بهجة التخيّر، ولأجهَضَ هذا الاتساع الدّلالي بعض القِيَم الفنّية التي تستأثر بها حروف الجرّ في بعض الأساليب، كالمعاني اللّطيفة التي تختلف باختلاف استعمال هذه الأدوات، بل ربّما تفقد بها بعض هذه الحروف دلالاتها التي بها يتميّز كلّ حرف عن الآخر فكيف يكون هذا في الأسلوب البشري الفصيح فضلا عن الخطاب القرآني المعجِز، قال الرافعي[2]: « فالحرف الواحد من القرآن معجِز في موضعه، لأنّه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السرّ في إعجاز جملته إعجازا أبَديّا، فهو أمرٌ فوق الطبيعة الإنسانية ... »[3]

لكنّ هذا لا يمنع أن تكون بعض حروف الجرّ تفيد معانٍ أخرى إذا تقاربت المعاني وأُمِن اللّبس ويوضّح هذا ابن السراج[4] بقوله: « واعلم أنّ العرب تتّسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني فمن ذلك؛ "الباء"، تقول : فلان بمكّة وفي مكّة، وإنّما جازا معاً لأنّك إذا قلتَ: فلان بموضع كذا وكذا، فقد خبّرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلتَ: في موضع كذا، فقد أخبرت بـــ"في"عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان فإنّ هذا التقارب يصلح للمعاقبة، وإذا تباين معناهما لم يجُز، ألا ترى أنّ رجلاً لو قال: مررت في زيد، أو:كتَبْت إلى

(1) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص423 - 424.

(2) ــ هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، ولد سنة 1298هـــ، أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم، بمترل والد أمّه ووفاته في طنطا بمصر، أصيب بصَمَم فكان يُكتب له ما يراد مخاطبته به، توفي سنة 1356هـــ، له: تحت راية القرآن ووحي القلم وتاريخ آداب العرب، انظر: الأعلام، ج7، ص235.

(3) ــ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـــ- 1973م، ص 211.

(4) ــ هو محمّد بن السري البغدادي النّحوي أبو بكر بن السراج، كان أحدث أصحاب المبرد سنّا مع ذكاء وفطنة، أخذ عنه الزجاجي والسيرافي والفارسي والرماني، توفي سنة 316هـــ، له عدّة كتب منها: الأصول الكبير، والشعر والشعراء، وشرح سيبويه...انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ج14، ص483، والبغية، ج1، ص109، والأعلام، ج6، ص136.

القلم، لم يكن هذا يَلتبس به فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض، فمتى لم يتقارب المعـــنى؛ لم يجُـــز. »[1]

وهذا المفهوم هو الخاصية السّياقية التي تميّز بعض الحروف عن بعض، ودقائق المعاني التي تستأثر بها بعض الحروف عن الأخرى، فيكون في الآية معنى دقيق لحرف معيّن قد يُفقد هذا المعنى إذا قلنا بإمكانية إحلال نائبِه محلّه. ولنضرب لذلك مثلا؛ هو قول الزمخشري: « فإن قلت: يجري لأجل مسمّى، ويجري إلى أجل مسمّى: أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت :كلّا، ولا يَسلُك هذه الطريقة إلا بليد الطّبع، ضيّق العَطِن، ولكنّ المعنيين: أعني الانتهاء والاختصاص كلٌّ واحد منهما ملائمٌ لصحّة الغرض؛ لأنّ قولك يجري إلى أجل مسمّى: معناه يبلّغه وينتهي إليه، وقولك: يجـــري لأجل مسمّى: تريد يجري لإدراك أجل مسمّى، تجعل الجَرْي مختصّاً بإدراك أجل مسمّى، ألا ترى أنّ جَري الشّمس مختصّ بآخر السّنة، وجري القمر مختصّ بآخر الشّهر، فكِلا المعنيين غير ناب به موضعه. »[2]

وهذا المذهب هو الذي سأنتهجه خلال هذه الدّراسة، فهو الأنسب لإبراز وجوه العدول عن حرف إلى آخر وإيثار تعبير عن آخر في السّياق القرآني، إذ لو أثبتنا التناوب لم يَبقَ للتخيّر مغزى ولا للمعاني المتوخاة من تحكيم السّياق لإبراز الفروق إثر سياقاتها المختلفة.

(1) ــ الأصول في النحو، ت: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1408هـــ- 1988م، ج1، ص414- 415.

(2) ــ الكشاف، ج3، ص509.

القسم الثـــاني:

الـــدراسة التـــطبيقيـــة

صور عدول حروف المعاني الجارّة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

بعد إتمام الدّراسة النّظرية وتذليل سبيل البحث في القسم الأوّل، نبدأ القسم الثّاني وهو الدّراسة التطبيقية حول عدول حروف المعاني الجارّة في السّياق القرآني، التي تعدّ عمدة هذا البحث، وثمرته الفعلية، وغير خافٍ على الباحث ما يكنّه هذا المنهاج من دقّة وخفاء، لأنّ كلّ لفظة في القرآن جاءت متمكّنة في قرارها ببراعة فائقة تجاوزت فِكر البشر، لذلك لا يمكن أن يَلتمس أسرار استعمال الحروف إلا من اضطلع بحمل البلاغة، وامتلك ناصية البيان، « ولعلمائنا أذواق مختلفة في استنباط الفروق الدّقيقة بين استعمال حرف أو كلمة مكان حرف أو كلمة »[1] فذهبوا يعلّلون سرّ التخيّر والعدول عن حرف إلى آخر، وأثَر ذلك التحوّل في الدّلالة، وما تنشره من إيحاءات بلاغية إثْر هذه الفروق، لأنّه « لا بدّ من ترك الاستهانة بالفروق البيّنة والخفيّة بين الألفاظ التي يُتوهّم بطول الإلف أنّها تقع على معنى واحد وقوعا واحداً... »[2]، وهو الأمر الذي قَدَح زناد فِكر العلماء، ووسّع ميدان تنافسهم؛ في الكشف عن دقائق المعاني خلال التراكيب التي « تخضع لدواعي معنوية التفت إليها العلماء قديما وحديثا، وربّما وقفوا حائرين أمام بعضها، وفي كلّ جيل وعصر يهيئ الله لكتابه من يضيف إلى فهم السّابقين فهما جديدا لأسراره »[3] لأنّ نوره لا يخمُد، وعطاياه لا تنفُد، فأسأل الله تعالى العِصمة من الكَبوة والعِثار، وأسأله التوفيق والسّداد.

وقد اتّبعت في هذه الدّراسة منهجاً هو الآتي:

ـــ قسّمتُ هذه الدّراسة إلى نمطين من العدول، **النمط الأوّل**: وصورته: أن يعدل النّظم في سياق لغوي واحد عن حرف جرّ إلى حرف جرّ آخر يماثله في الوظيفة العامة، ويختلف عنه في خصوصية الأداء وهذا أقرب إلى معنى المخالفة بين حرفين مذكورَين، وجلّ هذا النّمط هو اختلاف حرفَي التعدية في نفس الآية أو في آيتين متقاربتين. **النّمط الثاني**: وصورته: أن يعدل النّظم عن حرف يقتضيه الظّاهر إلى حرف آخر لا يقتضيه؛ لنكتة بلاغية، وهذا أقرب إلى معنى إيثار حرف مذكور في السّياق عن آخر غير مذكور، وجُلّ هذا النّمط هو العدول عن تعدية الفعل بحرف اشتهر معه إلى حرف آخر لا يتعدّى به في عُرف الاستعمال؛ أو شُهرة التعبير.

---

(1) ـ مناهل العرفان، ج2، ص306.

(2) ـ مداخل إعجاز القرآن، محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدّة، ط1، 1423هـ، 2002م، ص123.

(3) ـ التنوّع في أساليب القرآن الكريم، عبود شلتاغ، مجلة كلّية الدّعوة، العدد 10، 1993م، ص14.

ــ تعسّر إتباع منهج استقرائي، لأنّ هذا النوع من الخروج عن مقتضى الظّاهر يعتمد ملَكة الذّوق وليس محلّ اتفاق عند البيانيين، فمثلا عند قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القلم: 22] يَتساءل الزمخشري: هلا قيل: "اغْدُوا إلى حرْثكم" وما معنى "على"[1] وذهب يبرّر هذه التعدية، لكن نجد أبا حيان لم يُوافق الزمخشري في كون هذا التركيب من صور الخروج عن مقتضى الظاهر، قال: « واستسلف الزمخشري أنّ غدَا يتعدّى بـــ"إلى"، ويحتاج ذلك إلى نقل بحيث يكثُر ذلك فيصير أصلاً فيه، ويُتأوّل ما خالفه، والذي في حفظي أنّه معدّى بـــ"على"... »[2]، لذلك اجتهدتُ في استخراج الصّور التي يتجسّد فيها العدول، لأثر بلاغي منشود، لِتُوافق طبيعة هذا البحث.

ــ أوردت في هذه الدّراسة حرف "مع" معدولا عنه، وهو ليس من حروف الجرّ، وذلك وفاقا لطبيعة البحث، لأنّ الجانب الدّلالي لحروف المعاني في هذا البحث؛ أولى من التقسيم النّحوي لها.

ــ لم أورد في هذه الدّراسة الأفعال المعدية بالحروف المتعدّدة في مواضعها المختلفة، مثل الفعل "خَرج" جاء في القرآن معدّيا بـــ"على" و"في"، و"اللام"، و"من"، و"مع"، و"إلى"[3]، فكلّ هذا ليس من صلب البحث، بل يُدرس في باب أسرار التعدية، ويحتاج إلى دراسة متخصّصة في هذا الباب، إلا أن يكون اختلاف التعدية في سياق واحد، مِثل النّمط الأول للعدول من هذه الدراسة.

ــ رتّبتُ صور العدول في كلا النّمطين حسب ترتيب حروف المعجم معتمدا الحرفَ الأوّل من كلّ أداة مثل: الهمزة في حرف الجرّ "إلى"، وإذا تعدّدت المواضع في الصّورة الواحدة اعتمدت ترتيبَ سور المصحف.

ــ لم آخذ بقول الكوفيين في قضية تناوب الحروف، لأنّ كلّ حرف جاء في موضعه المناسب مما لا يمكن لغيره تعويضه، كما لم التزم بمذهب البصريين في قضية التضمين؛ وهذا لا يعني رفضها مطلقا وانتهجت مذهبا يعتمِد السّياق والقرائن أساسا في الكشف عن سرّ العدول، والأثر البلاغي المستوحى منه.

وأخيرا فهذا بيان تفصيل هذا القِسم، وبالله التوفيق.

---

(1) ــ ينظر: الكشاف، ج4، ص595.

(2) ــ البحر المحيط، ج8، ص306.

(3) ــ ينظر على الترتيب: [مريم: 11]، و[التوبة: 47]، و[الأعراف: 32]، و[النساء: 100]، و[الحشر: 11]، [الحجرات: 5].

النّمط الأوّل للعدول:

❖ **العدول إلى حرف الجرّ "إلى"**

الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "إلى"

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ الظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الإسراء: 46 - 47].

عدل النظم الحكيم عن حرف "الباء" مع الفعل "استمع" في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ إلى حرف الجرّ "إلى" مع الفعل نفسه في قوله سبحانه: ﴿ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ فما الأثر البلاغي وراء هذا العدول؟

اختُلِف في معنى "الباء" الواردة مع فعل "استمع"، قيل هي للملابسة، أي: نحن أعلم بالشّيء الذي يلابسهم حين يستمعون إليك [1]، وجُوّز أن تكون الباء للسّببية، أو بمعنى اللام، أي: نحن أعلم بما يستمعون بسببه أو لأجله من الهزء. [2]

لكن بالنظر إلى سّياق الآية الذي هو إخبار للنّبي برؤساء كفّار قريش حين جاءوا سرّا من قومهم[3] يستمعون قراءته بما يتناجون به من الهزء والاستخفاف، فالله تعالى أعلم بملابساتهم للسّماع، لأنّ سمِعت به: « معناه أنّك سمعت بحاله من تقدّم وتأخّر، أو كسْب وخسارة، أو هدى وضلال، وما إلى ذلك » [4] نجد أنّ معنى الملابسة للباء أقرب في هذا السّياق.

قال أبو السّعود: « يستمعون به ملتبّسين به من اللّغو الإستخفاف، والهزء بك، وبالقرآن يُروى أنّه كان يقوم عن يمينه ﷺ رجلان من بني عبد الدّار وعن يساره رجلان؛ فيصفّقون ويصفّرون، ويخلطون عليه بالأشعار. » [5]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ـ ينظر: التحرير والتنوير، ج15، ص120، ومعجم حروف المعاني، ج2، ص477.

(2) ـ روح المعاني، ج15، ص89.

(3) ـ ينظر: تفسير ابن كثير، ج5، ص83.

(4) ـ معاني النّحو، ج3، ص29.

(5) ـ تفسير أبي السعود، ج5، ص176.

وقال ابن عطية عن قوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ [الإسراء: 47]: ((هذا كما تقول: فلان يستمع بحرص وإقبال أو بإعراض وتغافل واستخفاف، فالضمير في "به" عائد على "ما"، وهي بمعنى "الذي" والمراد: بالذي ما ذكرناه من الاستخفاف والإعراض فكأنّه قال: نحن أعلم بالاستخفاف والاستهزاء يستمعون به، أي: هو ملازمهم، ففضح الله بهذه الآية سرّهم.)) [1]

وما يدلّ على أنّ سماعهم كان مجرّد عن القَبول هو السّياق القرآني لأنّ سمع القَبول أو الانقياد لم يأت مع "الباء" أو "إلى" مطلقا، قال ابن القيّم: ((فسمع الإدراك يتعدّى بنفسه وسمع القَبول يتعدى بـــ"اللام" تارة وبـــ"من" أخرى وهذا بحسب المعنى، فإذا كان السّياق يقتضي القَبول عدّي بـــ"مِن"، وإذا كان يقتضي الانقياد عدّي بـــ"اللام".)) [2]

قال تعالى في استماع التفهّم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾ [الحج: 73] فمعنى الاستماع: أُلقوا إليه أسماعكم، وتفهّموا ما احتوى عليه [3]، وقال تعالى عن القرآن: ﴿ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ [الأعراف: 204].

ولمّا كان الغرض المسوق له الكلام ليس الإخبار عن الاستماع فقط، وكان مضمّناً أنّ الاستماع كان على طريق الهُزء بأن يقولوا: مجنون أو مسحور؛ جاء الاستماع بـــ"إلى" ليُعلم أنّ الاستماع ليس المراد به تفهّم المسموع [4]، وبالتالي لم يكن منهم القَبول و الانقياد، لذلك لم يقل: يستَمعونه، أو يستَمعونك ولم يعدّى الاستماع بـــ"اللام" ولا "مِن"، وهذا يكشف عن تظاهرهم بالاستماع، لكنّهم لا يفقهون كما قال ﷻ في هذا السّياق: ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا ﴾ [الإسراء: 46]، كما عُدّي الاستماع بـــ"إلى" ـــ غير هذا الموضع ـــ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ ﴾ [الأنعام: 25] [5]، وبالنّظر إلى السّياق

(1) ـــ المحرر الوجيز، ج3، ص461.
(2) ـــ بدائع الفوائد، ج2، ص507- 508.
(3) ـــ تفسير السعدي، ص546.
(4) ـــ ينظر: البحر المحيط، ج6، ص40.
(5) ـــ ينظر ـــ أيضا ـــ الآية نفسها في: [يونس: 42]، و[محمد: 16].

الذي ورد فيه هذا التركيب في القرآن نجد أنّ مجرور "إلى" في كلّ سياقاته القرآنية هو ذات النبّي ﷺ وكأنّ في هذا إشارة إلى أنّهم ذهبوا يستمعون إلى النّبي لا لكي يستمعوا للقرآن.[1]

قال ابن عاشور عن فعل"استمع": ((فإذا أُريد تعلّقه بالشّخص المسموع منه، يقال: استمع إلى فلان كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [الأنعام: 25]، وكذا جاء في مواقعه كلّها من القرآن.))[2]

ومن هنا ندرك سرّ اختلاف حرفي الجرّ مع نفس الفعل، لأنّ "الباء" كانت أبلغ في تقرير ملازمة وإحاطة علم الله بملابسات سماعهم السِّرية، لذلك فهي أجدر أن تكون لهذا السّياق، أمّا "إلى" فجاءت لتشير إلى أنّ غاية مجيئهم متعلّقة بسماع الرّسول على سبيل السّخرية والتهكّم، لا لسماع الحقّ، كما أوحت بأنّ سمْع الكَفَرة كان بمنأى عن الفَهم والتعقّل؛ فضلا عن القَبول والانقياد.

الصورة الثانية: العدول عن "عن" إلى "إلى"

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه: 83- 84]

عُدل بفعل "عَجِل" عن تعديته بـــ"عن" في كلام ربّ العزّة إلى موسى عليه السلام بقوله: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ ﴾ إلى تعديته بـــ"إلى" في ردّ الكليم لسؤال ربّه الكريم عند قوله: ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾

قال الراغب: ((العجَلة طلَبُ الشّيء وتحرّيه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشّهوة فلذلك صارت مذمومة في عامّة القرآن حتى قيل: العجلة من الشيطان، قال: ﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: 37] ــ ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [طه: 114]ــ ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ ﴾ [طه: 83].))[3]

(1) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج2، ص20.
(2) ــ التحرير والتنوير، ج26، ص99.
(3) ــ المفردات، ص323.

لم تأت العجلة في القرآن متعدية بـــ"إلى" المقتضية لبيان اتجاه الفعل وغايته [1]، إلا في هذا الموضع.

قال ابن عاشور: " يقال: عجِل إليه إذا أسرع بالذهاب إليه كقوله: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: 84]، فاختلاف حروف تعدية فعل "عَجِل" ينبئ عن اختلاف المعنى المقصود بالتعجيل. " [2] فكأنّه يعني أنّ معاني العجَلة كامنة في فعله؛ وإنما يظهرها حرف الجرّ المذكور في السّياق القرآني، فمعنى العجلة في قوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾ [مريم: 84]، غير معناها في قوله: ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: 35]، فالأُولى المراد بها استعجال الاستئصال والإهلاك، وهو مقدّر كونُه على يد النّبيّ ﷺ، لأنّه يقال: عجل على فلان بكذا أي: أسرع بتسليطه عليه، فناسب مجيء الاستعلاء وسياق إكرام النّبي ﷺ، أمّا الاستعجال في السورة الثانية فجاء في سياق عذاب الآخرة لوقوعه في خلال الوعيد لهم بعذاب النّار لقوله هنالك: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ.. ﴾ [الأحقاف: 34-35] و"اللام" لتعدية فعل الاستعجال إلى المفعول لأجله، والكلام على حذف مضاف إذ التقدير: لا تستعجل لهلاكهم. [3]

يقول الرّجل "إنّما أنا إليك" أي: أنت غايتي [4]، لأنّ "إلى" تأتي لانتهاء الغاية لغير الزمان والمكان نحو: "قلبي إليك"، فإنّ قلب المخاطب منه إليه باعتبار الشّوق والميل. [5]

والشّوق هو سفرُ القلب نحو المحبوب استعجالا للوصول إلى غاية المنى، وقد يَقْوى الشّوق ويتجرّد عن الصّبر فيسمّى: قلقاً، ومنه " قوله تعالى حاكيا عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ فكأنّه فهِم أنّ عجَلته إنما حمَله عليها القلق وهو تجريد الشّوق لِلقائه وميعاده وظاهر الآية أنّ الحامل لموسى على العَجَلة هو طلب رضى ربِّه، وأنّ رضاه في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها... " [6]

---

(1) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج2، ص550.

(2) ــ التحرير والتنوير، ج16، ص166.

(3) ــ ينظر: التحرير والتنوير، ج16، ص166، ج 26، ص67.

(4) ــ كشف الأسرار، ج2، ص264.

(5) ــ العوامل المائة النحوية، الجرجاني، ص107.

(6) ــ مدارج السالكين، ج2، ص266

قال الرّاغب عن هذه الآية: « فذَكر أنّ عجَلته وإن كانت مذمومة، فالذي دعا إليها أمر محمود، وهو طلب رضا الله تعالى. »(1)

وقال ابن القيّم: « الشّوق يحمل المحبّ على العجلة في رضا المحبوب والمبادرة إليها على الفور ولو كان فيها تَلَفه: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه: 83- 84]، قال بعضهم: أراد شوقاً إليك فستَره بلفظ الرّضا:

ولَو قُلْتِ طَأْ في النَّارِ أَعْلَمُ أنَّه رِضاً لَكِ أو مُدْنٍ لَنَا مِنْ وِصَالِكِ. »(2)

فـــ"إلى" جاءت لبيان الغاية التي حملتها العجلة المنتهى بها إلى رضا ربّه سبحانه، وذلك لَمّا واعده ربّه وجعل له الميعاد، استعجل موسى إلى الميقات؛ شوقاً للقاء مولاه، وطلبا لرضاه؛ ولهيب الشّوق مُثِّل بقول موسى لربّه: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: 143]، لكن الله تعالى مَنَع شرعاً أن تكون رؤيتَه لأحدٍ في الدّنيا، إنّما هي له وللمتّقين يوم القيامة، لهذه المعاني والغايات السّامية جاء تعدية العجلة بحرف الغاية مخالفةً للحروف الأخرى التي تعجز عن البيان أمام هذا السّياق.

الصورة الثالثة: العدول عن "اللام" إلى "إلى"

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس: 12]

خالف التعبير القرآني في استعمال حرفي الجرّ؛ فقال أوّلا: ﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾، وقال بعدها: ﴿ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ﴾، فما أثر هذا العدول في الدّلالة ؟

قال أبو حيان عن سياق هذه الآية: « ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّه لما استدعوا حلول الشرّ بهم، وأنّه تعالى لا يفعل ذلك بطلبهم بل يترك من يرجو لقاءه يعمّ في طغيانه، بيَّن شدّة افتقار النّاس إليه واضطرارهم إلى استمطار إحسانه؛ مسيئهم ومحسنهم، وأنّ من لا يرجو لقاءه مضطرّ

(1) ــ المفردات، ص323.

(2) ــ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـــ- 1992م، ص437.

إليه حالة مسّ الضرّ له، فكلٌّ يلجأ إليه حينئذ ويفرده بأنّه القادر على كشف الضُرّ...ولجنبه: حال، أي: مضطجعاً ولذلك عطف عليه الحالان، واللام على بابها عند البصريين والتقدير: ملقياً لجنبه، لا بمعنى "على" خلافاً لزاعمه. » (1)

ذهب بعض اللّغويين إلى أنّ "اللام" في "لجنبه" بمعنى "على"، أي: على جنبه. (2)، و"إلى" في "يدْعُنا إلى" بمعنى "اللام" أي: لضرّ مسّه. (3)

وعدّ ابن عاشور هذه اللام كاللام في قوله تعالى: ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾ [الإسراء: 107] كما رأى أيضا بمجيء "اللام" موضع "على" مثل قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: 103]، ونحوه أيضا قول: جابر بن حنـــي التغلبي (4):

تَناوَلَهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ انْثَنَى بِهِ فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ (5)

أي: على اليدين وعلى الفم(6)، قال ابن عاشور: « وهو متولّد من معنى الاختصاص الذي هو أعمّ معاني اللام، لأنّ الاختصاص بالشّيء يقع بكيفيات كثيرة؛ منها استعلاؤه عليه، وإنّما سلك هنا حرف الاختصاص للإشارة إلى أنّ الجنب مختصّ بالدّعاء عند الضرّ ومتصلّ به فبالأولى غيره. وهذا الاستعمال منظور إليه في بيت جابر والآيتين الأخريين، كما يظهر بالتأمّل، فهذا وجه الفرق بين الاستعمالين. » (7)

قال السّامرائي عن سرّ اختصاص الجنب بالدعاء: « إذا مسّ الإنسان الضّر دعا ربّه ملازما لجنبه، أو قاعدا أو قائما، فإنّ الإنسان إذا مسّه الضرّ أكثر ما يلازم جنبه، ثمّ القعود، ثمّ القيام، فذكر هذه الحالات بحسب الترتيب: "لجنبه، أو قاعدا، أو قائما"...وجاء باللام الدّالة على الاختصاص في حالة الضرّ، بمعنى ملازما لجنبه... » (8)

---

(1) ــ البحر المحيط، ج5، ص134.

(2) ــ ينظر: الجنى الداني، ص100-101، ومغني اللبيب، ص280، ومعجم حروف المعاني، ج2، ص842.

(3) ــ ينظر: روح المعاني، ج11، ص80.

(4) ــ هو جابر بن حني بن حارثة التغلبي؛ شاعر جاهلي من أهل اليمن، صَحِب امرؤ القيس، وطاف أنحاء نجد وبادية العراق، توفي سنة 560م؛ 60 ق.هـــ، انظر: الأعلام، ج2، ص103.

(5) ــ ينظر البيت في: الأزهية، ص288، وأدب الكاتب، ص401.

(6) ــ ينظر: التحرير والتنوير، ج11، ص110.

(7) ــ المصدر نفسه، ج11، ص110.

(8) ــ معاني النحو، ج3، ص58.

وقال البقاعي[1]: « ولما كان المدعو يأتي إلى الدّاعي فيعمل ما دعاه لأجله؛ قال: "إلى" أي: كشفِ "ضرٍّ مسَّه" أي: كأن لم يكن له بنا معرفة أصلاً فضلاً عن أن يعترف بأنّا نحن كشفنا عنه ضرّه، فهذه الآية في بيان ضعف الإنسان وسوء عبوديته... »[2]، وهذا المعنى يتجلّى أيضا في قوله قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ [الزمر: 8]، ولَمّا كان قوله تعالى: ﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ في بيان قدرة الله وحسن ربوبيّته، جاءت اللام بدلالة الضّعف وقلّة حيلة البَشر حينما يُمَسّ بالجَهد والبلاء.

(1) ــ هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، الخرباوي، البقاعي، الشافعي، ولد سنة 809هـــ، نزيل القاهرة ثم دمشق، عالم، أديب مفسّر محدّث، ومؤرخ، أصله من البقاع في سوريا، سكن دمشق، وتوفي بها سنة 885هـــ، له عدّة كتب منها: نظم الدّرر، وعنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران... انظر: الأعلام، ج1، ص56، ومعجم المؤلفين، ج1، ص71.

(2) ــ نظم الدرر، ج3، ص423.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "الباء"

الصورة الأولى: العدول عن "في" إلى "الباء"

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف: 59-61]

نلاحظ أنّ السّياق القرآني خالف بين مقولة قوم نوح باستخدام "في" ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ والعدول إلى حرف "الباء" في ردّه عليهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾، و لم يقل: "لست في ضلال" ليُشابه قولُه قولهم.

قال ابن عاشور: ((الباء في قوله "بي" للمصاحبة أو الملابسة [1]، وهي تناقض معنى الظّرفية المجازية من قولهم: ﴿ فِى ضَلَٰلٍ ﴾ فإنّهم جعلوا الضّلال متمكّنا منه، فنفى هو أن يكون للضّلال متلبس به.))[2]

فهناك تناسب بين نفي مُطلق الضّلال وبين جوابه المنفي بحرف الإلصاق "الباء"، وأنّ الضّلال غير مقترب منه فضلا عن أن يكون كالوعاء المتضمّن له، ((فيرجع حاصل المعنى: ليس بي أقلّ قليل من الضّلال فضلاً عن الضّلال المبين.))[3]

وعدول حرفَي الجرّ صاحَبَه إيثار اسم المرّة "ضلالة" عن المصدر "ضلال"، وفي هذا يقول الزمخشري: ((فإن قلتَ: لم قال: " ليسَ بي ضلالَة"، و لم يقل: "ضلال" كما قالوا ؟ قلتُ: الضلالة أخصّ من الضّلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنّه قال: ليس بي شيء من الضّلال كما لو قيل لك: ألك تمرٌ فقلتَ: ما لي تمرة.))[4]

---

(1) ــ ينظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص467.

(2) ــ التحرير والتنوير، ج8، ص192.

(3) ــ روح المعاني، ج8، ص150.

(4) ــ الكشاف، ج2، 108، وانظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج14، ص122.

وربما يكون هذا العدول من ((الأسلوب الحكيم الوارد على التخلّص إلى الدّعوة على وجه الترجيع المعنوي، لأنّه بدأ بالدعوة إلى إثبات التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، فلمّا أراد إثبات الرّسالة لم يتمكّن لما اعترضوا عليه من قولهم: "إنّا لنراك في ضلال مبين"، فانتهز الفرصة وأدمج مقصوده في الجواب على أحسن وجه حيث أخرجه مخرجَ الملاطفة والكلام المنصف...)) (1)

وهذا العدول عن حرف الظرفية "في" إلى "الباء" التي للإلصاق، وردَ في السّورة نفسها في سياق خطاب قوم هود لنبيّهم عليه السلام في نفي دقيق السّفه المنسوب إليه منهم، ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأعراف: 66]، فجاء ردّه عليهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: 67]، فنفى أدنى ملابسة للسّفَه فضلا عن الغوص فيه.

ويبيّن الزمخشري سرّ هذا الإيثار بقوله: ((... أرادوا أنّه متمكّن فيها غير منفكّ عنها، وفي إجابة الأنبياء عليهم السّلام من نسبهم إلى الضّلال والسّفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصّادر عن الحِلْم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ النّاس، وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عزّ وجلّ ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السّفهاء، وكيف يغضّون عنهـــم، ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم.)) (2)

ومما سبق يَكشف لنا هذا العدول عن اللّمسة الأدبية التي حكاها حرف الإلصاق البليغ في سياق نفي الضّلال المطلق عن نبيّ الله نوح عليه السلام تترفّع به إلى أسمى الغايات وأغلى الأمانات بعيداً عن عالم التّيْه والضّياع، فجاءت الباء كاسيةً لُبَابَ هذه المعاني اللّطيفة، مما لا يستطيع أيّ حرف آخَر أن يقوم مقامه، أو يبلِّغ مرامه، كما نستشفّ من هذا كلّه أنّ عدول سياق التعبير في القرآن قد يستدعي المخالَفة في الاعتقاد والتوجّه والازدواج الفِكري، وهذه المعاني تُعرب عن دقّة المطابقة بين ألفاظ القرآن ومعانيه.

(1) ــ روح المعاني، ج8، ص151.
(2) ــ الكشاف، ج2، ص110- 111.

الصورة الثانية: العدول عن "من" إلى "الباء"

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾ [الإنسان: 5- 6].

نلاحظ أنّ الفعل "يَشْرَب" عُدّي بـــ"من" أوّلاً، فقال: ﴿ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ ﴾، ثمّ عدل السّياق القرآني إلى تعديته بالباء ثانياً، فقال: ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ﴾، و لم يقلْ: "عيناً يشرب منها" بناءً على مقتضى الظّاهر، فما سرّ هذا العدول ؟.

تنوّعت أقوال النّحويين والبيانيين في تفسير هذا، فقيل: إنّ "الباء" هنا بمعنى "مِن"، أي: يشرب منها، ونُقل هذا عن الكوفيين، وممن قال به الأصمعي، والفارسي [1]، واستدلُّوا له بقول الشّاعر:

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَـــحْرِ، ثُمّ تَرفَّعتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ، لَهُـــنّ نَئِيـــجُ. [2]

وقيل إنّ الباء كالزائدة، والمعنى يشربها عباد الله، قال الفرّاء: ((يشربُ بها، و يشربها سواءٌ في المعنى.)) [3]

ومنهم من فسّر هذا العدول بتضمين "يشربُ" معنى "يروي"، قال ابن القيّم: ((...فإنهم يُضمّنون يَشربُ معنى يروي، فيعدّونه بالباء التي تطلبها فيكون في ذلك دليل على الفعلين؛ أحدهما بالتصريح به والثاني بالتضمّن، والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللّغة ومحاسنها وكمالها ومنه قوله في السّحاب: "شَربن بماء البَحْر..."، أي: رَوِينَ به ثمّ ترفّعْن وصَعَدْن، وهذا أحسن من أن يقال: يَشْرب منها، فإنّه لا دلالة فيه على الرِّيِّ، وإن يقال: يروي بها، لأنّه لا يدلّ على الشّرب بصريحه، بل باللّزوم، فإذا قال: يَشرب بها، دلّ على الشّرب بصريحه، وعلى الرِّيِّ، بحرف الباء فتأمّله.)) [4]

وقد كان للزمخشري وقفة مع هذا التعدّي وذلك في قوله: ((فإن قلتَ: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلاً، وبحرف الإلصاق آخِراً ؟ قلتُ: لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته؛ وأمّا

---

(1) ــ ينظر: حروف المعاني للزجاجي ص47، والأزهية، ص283، والجنى الداني، ص43، ومغني اللبيب، ص142.

(2) ــ البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: ديوان الهذليين، ج1، ص51-52، ورواية البيت في الديوان:

((تَـــروَّت بِمَاءِ البَحر ثُمّ تنصَّبَتْ عَلَى حبَشياتٍ لَهُـــنّ نَئِيـــجُ)).

(3) ــ معاني القرآن، ج3، ص215، وانظر: تأويل مشكل القرآن، ص575، والبحر المحيط، ج8، ص434.

(4) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص424، وانظر: مجموع الفتاوى، ج11، ص178.

العين فبِها يمزجون شرابهم فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل. »[1]

وفي الخلاف الذي ذكره الزركشي في كون التضمين هل من قبيل الحقيقة أو المجاز؛ قول آخَر هو أنّ الآية على حقيقتها ولا مجاز فيها، والتوجيه هو أنّ « العَين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء، لا إلى الماء نفسه، نحو نزلت بعينٍ، فصار كقوله: مكاناً يُشرب به. »[2]

لذلك فالباء الواردة في الآية الأَوْلى حملها على بابها؛ وهو الإلصاق وليست بمعنى "مِن"، ولا هي زائدة لأنّ هذا العدول إلى الباء حَمَل معنى بلاغي وهو القرب من العَين، « فقولك: يَشربون بالعَين، معناه أنّهم يكونون بها، كما تقول: "أقمنا بالعَين وأكلْنا وشربْنا بها"، أي: هم قريبون من العين يشربون منها، بخلاف قولك: "يشربون منها"، فإنه ليس فيه نصّ على معنى القرب من العَين، فقولك: أكلتُ من تفّاح بستانك، لا يدلّ دلالة قاطعة على أنّك كنت بالبستان، بل ربما حُمِل إليك. فقوله: "يشربُ بها" يدلّ على أنهم نازلون بالعين؛ يشربون منها، فهو يـــدلّ على القرب والشّرب، فالتّمتّع حاصل بلذّتَيْ النّظر والشّراب، بخلاف الأُولى. »[3]

ولعلّ ما ذكره السامرائي في الفرق بين الشُّربين هو أقرب إلى دلالة السّياق، إذ إنّ السّياق الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم هو سياق نعيم وهذه المخالفة فيه ـــ كما قالوا ـــ راجعة إلى المفارقة بين جزاءي السّعداء إذ إنّ الآيتين تتحدّثان عن صنفين من أهل الجنة، الأول: صنف الأبرار، والآخر سمّاهم "عباد الله"، وهم أعلى مرتبة ممن قبلهم، ويتفاضل النّاس بمقدار هذه العبودية، فكلّما كان الشّخص أكمل في عبوديته هذه وأتمّ كان أقرب إلى سيّده، وتطلق هذه الصّفة ـــ صفة العبودية ـــ على أعلى الخلق وهم الأنبياء في مقام التّشريف، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجنّ: 19]، وقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: 1] وقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء: 3].

---

(1) ـ الكشاف، ج4، ص668.

(2) ـ البرهان، ج3، ص338 - 339.

(3) ـ معاني النحو، ج3، ص22.

من هذا يتبيّن أنّ مرتبة الذين سمّاهم "عباد الله" أعلى من مرتبة الأبرار، وقد فرّق بين النعيمين كما فرّق بين الصنفين، فقد وصف نعيم الأبرار بأنهم يشربون من كأس، وإن هذه الكأس ليست خالصة بل ممتزجة: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: 5] وأمّا الصّنف الآخر ــ وهم عباد الله ــ فهم لا يشربون من كأس يُؤتى بها، بل يشربون خالصة من العين، وهي مرتبة أعلى لذا قال: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ و لم يَقُل: "يشربُ منها"، أي: يرتوون بها، وفوق هذا فهم يتمتّعون بلذّة النّظر وهم نازلون بالعين. [1]

(1) ــ ينظر: التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ط2، 1422هـــ- 2002م، ص211-212.

❖ **العدول إلى حرف الجرّ "على"**

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "على"

المقطع الأول: قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النّحل : 44].

وقال ﷻ بعدها: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النّحل: 64]

عدل المولى ﷻ عن تعدية "أنزل" بـــ"إلى" في قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ إلى تعديته بـــ"على" في قوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾، فما الأثر البلاغي وراء هذا العدول ؟.

جاء فعل "أَنْزل" بتنوّع اشتقاقاته في القرآن متعدّيا مرّة بحرف "إلى" ومرّة بـــ"على"، وتنوّعت أقوال أهل البيان في تخريج هذا العدول السّياقي، فالزمخشري لم يفرّق بين الصّيغتين، وعدّ ذلك من باب التنوّع في التعبير وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [آل عمران: 84] قال: ((فإن قلتَ: لِمَ عُدّي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها [1] بحرف الانتهاء؟ قلتُ: لوجود المعنيين جميعا، لأنّ الوحي يترل من فوق وينتهي إلى الرّسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر.)) [2]

ومنهم من فرّق بينهما في هذه الآية بأنّ "على" المختصّة بالعلوّ للدّلالة على ما كان واصلا للنّبي ﷺ من الملأ الأعلى بلا واسطة بشر، أمّا "إلى" المختصّة بالإيصال للدّلالة على أنّ الخطاب للأمّة وقد وصل إليهم بواسطة النّبي ﷺ [3]

لكن الزمخشري عدّ هذا القول من التعسّف، واستدلّ بآيات أخرى لا تُثْبت هذا؛ فقال: ((ألا ترى إلى قوله: ﴿ مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: 68]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [النّساء: 105]، وإلى قوله: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ.. ﴾ [آل عمران: 72].)) [4]

---

(1) ــ وهي قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ [البقرة: 136].

(2) ــ الكشاف، ج1، ص408.

(3) ــ ينظر: البحر المحيط، ج2، ص539.

(4) ــ الكشاف، ج1، ص408.

كما فُرّق بين الصّيغتين عموما بأنّ (("أنزل عليه" إنما على ما أُمِر المنزَل عليه أن يبلِّغ غيره و"أنزل إليه" على ما خُصَّ به في نفسه، وإليه نهاية الإنزال، وعلى ذلك قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: 51]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النّحل: 44]، خصَّ هنا: بـــ"إلى"، لَمّا كان مخصوصاً بالذّكر الذي هو بيان المنزل، وهذا كلام في الأَوْلى لا في الوجوب.))[1]

أمّا أبو حيان فلم يُفرّق في هذا الموضع، لكنّه فرّق في موضع آخر، عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 97]، قال أبو حيان: ((أتى بلفظ "على"، لأنّ القرآن مُسْتعلٍ على القلْب إذ القلْب سامع له ومطيع، يَمْتَثِلُ ما أُمِر به، ويجتنب ما نهى عنه، وكانت أبلغ من "إلى"، لأنّ "إلى" تدلّ على الانتهاء فقط، و"على" تدلّ على الاستعلاء، وما استعلى على الشّيء يُضمّن الانتهاء إليه.))[2]

فدلّ كلامه على استواء الصّيغتين في المعنى العام، لكن أفادت "على" استعلاء المنزل على المنزل عليه.

ونخلُص إلى ما خلُص إليه أحد الباحثين خلال استقراءه للصّيغتين في القرآن الكريم، وهو أنّ كليهما يشتركان في مَلْمَح دلالي عام هو: وصول القرآن إلى النّبيّ ﷺ، وتأتي الملامح الخاصّة لكلّ من "على" و"إلى" موافقة لما يتطلّبه السّياق من إبراز وجه دِلالي بعينه يترتّب عليه تفضيل حرف الانتهاء في بعض السّياقات، وحرف الاستعلاء في سياقات أخرى، فتأتي "إلى" في سياق التبليغ والتكليف والانتهاء إلى عامّة الأمّة، فهي مُشعِرة بالنّهاية، ويناسب سياقها عموم الفعل، وعدم تعيين جهة العلوّ ويراد بها إبلاغ الرّسالة القرآنية وانتهاؤها إلى جميع المكلّفين؛ فناسبها حرف الانتهاء أما حرف الاستعلاء في عموم الخطاب جاء في سياق يناسب تحديد جهة العلوّ، وإبراز شرف المنزل ـــ وهو القرآن ـــ والمنزّل عليه ـــ وهو النّبيّ أو الأمّة ـــ [3] وأسرار المفردة القرآنية فوق عقول العالمين.

---

(1) ـ البحر المحيط، ج2، ص539، وهذا القول والذي قبله نسبه أبو حيان للرّاغب، و لم أجده.

(2) ـ البحر المحيط، ج1، ص489.

(3) ـ القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص382.

المقطع الثاني: قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الصافات: 91- 93]

عَدل السّياق القرآني عن تعدّي الفعل"راغ"بـــ"إلى" الدّالة على منتهى الغاية [1]، إلى تعديته بـــ"على" الدّالّة على الاستعلاء[2]، ولم يقل: "فراغ إلى آلهتهم...فراغ إليهم"، أو العكس، حتى يوافق مقتضى ظاهر الكلام فما التوجيه البياني لذلك ؟.

وقبل ذلك يجب معرفة دلالة الفعل "راغ"، ففي اللّسان: راغ إلى كذا أي: مالَ إليه سرّا ويكون ذلك في انحراف باستخفاء، فهو أخصّ من الرجوع في معناه. [3]

وقد أوضح الرّاغب هذا المعنى بقوله: " راغ فلانٌ إلى فلان، مالَ نحوه لأمْرٍ يريده منه بالاحتيال، قال: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾ [الذاريات: 26]، ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات: 93] أي مالَ وحقيقته: طَلَبٌ بضربٍ من الرّوَغان، ونبّه بقوله "على" على معنى الاستيلاء. " [4]

وقد ذهب ابن عاشور إلى تضمين "راغ" معنى الذهاب لأنّه أُطلِق هنا على الذّهاب إلى أصنامهم مخاتلة لهم فعدّي بـــ "إلى"، كما ضمِّن "راغ" معنى "أقْبل" من جهة مائلة عن الأصنام لأنّه كان مستقبلها، ثمّ أخذ يضربها ذات اليمين وذات الشمال، نظير قوله تعالى: ﴿ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم ﴾ [النساء: 102]، لذلك عُدّي بـــ"على". [5]

لكن بالنّظر إلى السّياق يمكننا عدم الالتجاء إلى التضمين فقد جاء "راغ" بمعناه، لكنّه تخصّص هذا المعنى باختلاف حرفَيْ الجرّ فلمّا كان قوله: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ ﴾ [الصافات: 93]، يعبّر عن قصد إبراهيم إلى أصنامهم والسّعي إليها خُفية جيء بـــ"إلى" لتشير إلى جعل وصوله إليها غايةً لا يبغي معها شيئا، حتى يحقّق مناه، ثمّ حين أراد القرآن تصوير ما فعله إبراهيم بآلهتهم جيء بـــ"على" لتدلّ على استعلائه عليهم، وتدميرهم إياهم.

---

(1) ــ معجم حروف المعاني، ج1، ص332.

(2) ــ المرجع نفسه، ج2، ص660.

(3) ــ لسان العرب: (روغ)، ج5، ص393.

(4) ــ المفردات، ص208، ولا أدري من أين أثبت الرّاغب لـــ"على" معنى: "الاستيلاء".

(5) ــ ينظر: التحرير والتنوير، ج23، ص144.

قال البقاعي: ((أقبل مستعلياً عليهم بغاية النّشاط والخفّة والرّشاقة يضربهم ﴿ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ أي: بغاية القوّة، وجعل السّياق للمصدر إشارة إلى قوّة الهمّة بحيث صار كلّه ضرباً.))[1]

فعند ما ركّب فعل"راغ" مع حرف الانتهاء دلّ على الذهاب إلى المكان في سِرّية، وهو أصل معنى الرّوغ، والموضع الثاني لا يستدعي السرّية، ولكنّه شاكَلَ الموضع الأولّ فجيء بحرف الاستعلاء لتصوير فعل الضّرب، كما أوحى بالاستعلاء المعنوي وتغلّب الحقّ على الباطل، فجيء بكلّ حرف في سياقه المناسب. [2]

وهنا يتجلّى دور السّياق القرآني في إبراز الحرف المناسب للمقام، ومنه يُكشف سرّ العدول عن حرف الغاية إلى حرف الاستعلاء، لأنّ "فراغ عليهم" مالَ مستعلياً عليهم ضاربا باليمين ضربا قويّا شديداً، فناسب مجيء "على"الدّالة على الاستعلاء؛ وعلوّه وقهره لهم، ويؤكّد هذا المعنى قوله: "باليمين"، قال ابن عبّاس: لأنها أقوى يديه أو بقوّته، لأنّه قيل: كان يجمع يديه في الآلة التي يضربها بها وهي الفأس [3]، وهذا يؤكّد أنّ العدول ليس تنوّعا في المفردة القرآنية بقدْر ما هو نَظْم مُحْكم؛ دقّة في المعاني، وغاية في البيان.

الصورة الثانية: العدول عن "في" إلى "على"

المقطع الأول: قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النّحل: 45-47]

نجد في هذا السّياق أنّ الفعل "أخذ" تعدّى بحرف الجرّ "في"، عند قوله ﷻ: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ ﴾ ثمّ العدول عنه إلى حرف الجرّ "على" في قوله: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾، فما الأثر البلاغي وراء هذه المغايرة في التعبير ؟

(1) ــ نظم الدرر، ج6، ص324.

(2) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص224.

(3) ــ ينظر: مفاتيح الغيب، ج26، ص129، والبحر المحيط، ج7، ص351، وتفسير أبي السعود، ج7، ص198

هناك من قال إنّ "على" هنا بمعنى "مع" كما في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة : 177] أي: يأخذهم مصاحبين لذلك. (1)

لكن هذا القول لم يراع دلالة السياق التي بيّنت معنى كلّ حرف، ومناسبته للمقام، قال الألوسي: " جيء بـــ"في" مع التقلّب وبـــ"على" مع التخوّف، قيل: لأنّ في التقلّب حركتين فكان الشّخص المتقلّب بينهما ولا كذلك التخوّف، وقيل: لَمّا كان التقلّب شاغلاً الإنسان بسائر جوارحه حتى كأنّه محيط به وهو مظروف فيه جيء بـــ"في" معه، والتخوّف أي: المخافة إنما يقوم بعضو من أعضائه فقط وهو القَلْب المحيط به بدن الإنسان، فلذا جيء بـــ"على" معه..." (2)

ففي هذا السّياق الذي يهدّد الذين مكروا السّيئات بالخسف والعذاب، جاءت حرف الظرفية لتشير إلى انغماسهم في تصرّفهم باللّيل والنّهار، ومعنى الآية: " متقلّبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم. " (3) والتقلّب: التصرّف(4)، قال تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء: 219] فناسبت الظّرفية هذا المعنى، أما حرف "على" فأدلى بظِلال الاستعلاء الموحي بأنّ هذا الأخذ أنكى وأشدّ، وهو أنْ " يأخذهم الله في حال خوفهم مِن أخْذه لهم، فإنّه يكون أبلغ وأشدّ حالة الأخذ؛ فإنّ حصول ما يُتوقّع مع الخوف شديد." (5) والمعنى أن " يأخذهم على أنْ يتنقّصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم، وأموالهم حتى يهْلَكوا " (6) لذلك كانت "على" أبلغ لإيصال هذا المعنى.

وبهذا ندرك أنّ دلالة حروف الجرّ ليس في نفسها كما هو الحال في الأسماء والأفعال، وإنما تكتسب دلالتها أثناء تعلّقها بنظم الكلام في السّياق، ويظهر بذلك أثر السّياق في تخصيص دلالة الحرف وتحديده.

---

(1) ــ ينظر: روح المعاني، ج14، ص153.
(2) ــ روح المعاني، ج14، ص152- 153.
(3) ــ الكشاف، ج2، ص568.
(4) ــ ينظر: المفردات، 411.
(5) ــ تفسير ابن كثير، ج4، ص575.
(6) ــ الكشاف، ج2، ص568.

المقطع الثاني: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: 4]. وقال تعالى بعدها: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: 18]

عدل التعبير القرآني عن تعدية فعل "أنزل" بـــ"في" في الآية الأولى إلى تعديته بـــ"على" في الآية الأخرى فما أثر هذا العدول ؟.

"السّكينة" فعيلة من السّكون، وهي طمأنينة القلْب واستقراره، وأصلُها في القلب، ويظهر أثرُها على الجوارح. (1)

وقد ذكر سبحانه إنزاله السّكينة على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع أخرى(2)، وكلّها لم يبيّن فيها موضع إنزال السّكينة، وقد بيّن في هذه السّورة أنّ محلّ إنزال السّكينة هو القلوب(3)؛ وذلك في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: 4]، وكان سياق هذه الآية عن يوم الحديبية « بعد أن دهمهم فيها ما من شأنه أن يُزعج النّفوس، ويزَغَ القلوب من صدّ الكفّار، ورجوع الصّحابة ﷺ دون مقصودهم، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن ماج النّاس، وزلزلوا؛ حتى عُمَر ﷺ مع أنّه الفاروق ومع وصفه في الكتب السّالفة بأنّه قرنٌ من حديد فما الظنّ بغيره في فلق نفسه، وتزلزل قلبه... » (4)، فجاءت حرف الظّرفية "في" لتُصوّر السّكينة وهي مضمّنة قلوبَ المؤمنين لما أصابهم، كما أشعرت بتمكّن السّكينة وثباتها، لذلك قال تعالى بعدها: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: 4] قال ابن القيّم: « وأصل السّكينة هي الطمأنينة، والوقار، والسّكون الذي يتزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدّة المخاوف فلا يتزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوّة اليقين والثّبات. » (5)

وفي هذا المعنى لـــ"في" قال تعالى في حقّ الكفار: ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب: 26] لكن هنا لتمكّن الرّعب والخوف في قلوبهم، قال الشنقيطي عن هذه الآية: « منطوقُه أنّ

(1) ــ ينظر: إعلام الموقعين، ج6، ص108.
(2) ــ ينظر لذلك مثلاً: [التوبة 26]، و[التوبة 40]، و[الفتح 26]...
(3) ــ ينظر: أضواء البيان، ج7، ص397.
(4) ــ نظم الدرر، ج7، ص188.
(5) ــ مدارج السالكين، ج2، ص207.

الرّعب سبب من أسباب هزيمة اليهود، ومفهوم المخالفة يدلّ على أنّ العكس بالعكس، أي: أنّ الطمأنينة وهي ضدّ الرّعب سبب من أسباب النّصر؛ وهو ضدّ الهزيمة. »[1]

أمّا "على" في قوله سبحانه: ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفتح: 18] فجاءت في إخباره تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا الرّسول ﷺ تحت الشّجرة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ [الفتح: 18]، أي: « فعَلِم ربّك يا محمّد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة، من صدق النيّة، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصّبر معك... فأنزل الطمأنينة والثّبات على ما هم عليه من دينهم، وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذي هداهم الله له. »[2] فجاءت "على" تعلوهم كسحابة تدلوا بظلال الرّضا؛ يكسوا قلوب المؤمنين المبايعين للنبيّ الأمين ﷺ فكانت السّكينة هنا جزاءً للمبايعة وإخلاص النيّة، والوفاء، فناسب قوله تعالى بعدها: ﴿ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: 18]. ومن هنا كانت "في" لسياق زيادة الثّبات والقوّة أجدر وكانت "على" ألْيق بسياق الرّضا الذي يستعلي بأهله ظاهراً وباطناً.

الصورة الثالثة: العدول عن "اللام" إلى "على"

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾ [البقرة: 286].

نرى في هذا السّياق العدول عن حرف الجرّ "اللام" إلى حرف"على" عند قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾، ولم يأتِ السّياق على نسق واحد، كأن يقال: "لها ما كَسَبَت ولها ما اكْتَسَبَتْ".

قال ابن جني عن حرف الجرّ "على": « وذلك أنّه قد يستعمل في الأفعال الشاقّة المستثقَلة على قول من يقول: قد سرنا عشرا وبَقِيَت علينا لَيلَتان، وقد حَفِظتُ القرآن وبقيت عليّ منه سورتان وقد صُمنا عشرين من الشّهر وبقيَ علينا عشر... وإنما اطّردت "على" في الأفعال التي قدّمنا ذكرها، مثل: خرِبتْ عليه ضيعته وموَّتَتْ عليه عواملُه، ونحو ذلك من حيث كانت "على" في

(1) ــ أضواء البيان، ج8، ص19.

(2) ــ جامع البيان، ج22، ص227- 228.

الأصل للاستعلاء، فلمّا كانت هذه الأحوال كُلفا ومَشَاقّ تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه وتَفرعه حتّى يخضع لها، ويخنع لِمَا يتسدّاه منها، كان ذلك من مواضع "على" ألا تراهم يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتَستعمل اللام فيما تؤثره وعلى فيما تَكرهه. »[1]

قال ابن عطية عن هذا العدول: « وجاءت العبارة في الحسنات بـــ"لها" من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسرّ بها فتضاف إلى مِلكه، وجاءت في السّيئات بـــ"عليها" من حيث هي أوزار وأثقال ومتحمّلات صعبة، وهذا كما تقول: لي مال، وعَليَّ دَيْن... »[2]

ويقول عن ذلك السّهيلي: « لها ما كسبت يعني من الحسنات، وعليها ما اكتسبت يعني من السّيئات لأنّ الذنوب يوصل إليها بواسطة الشّهوة والشيطان، والحسنة تنال بهبة من الله؛ من غير واسطة شهوة ولا إغواء عدوّ، فهذا الفرق بينهما. »[3]

وهذا العدول في مثل هذه المواضع هو من عُرف الخطاب القرآني، إذ نجده خلال التعبير عن جزاء الخير والأعمال الصّالحة يؤثر السّياق حرف الجرّ "اللام"، وفي جزاء الشرّ يؤثر حرف"على"،كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: 104]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: 164]، وقوله سبحانه: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: 15]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: 101]، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصّلت: 46].

كما أشار أبو حيان إلى نُكتة العدول إلى حرف الاستعلاء؛ إثر تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 11]، في قوله: « فالصّفتان ـــ أي العلم والحِكمة ـــ أشارتا إلى علمه بذلك الإثم، وإلى ما يستحقّ عليه فاعله وفي لفظة "على" دلالة استعلاء الإثم عليه، واستيلائه وقهره له. »[4]

(1) ـ الخصائص، ج2، ص270-271.
(2) ـ المحرر الوجيز، ج1، ص393.
(3) ـ نتائج الفكر في النحو، ص272.
(4) ـ البحر المحيط، ج3، ص361.

كما صاحبَ هذا العدول عدول في لفظ الكسب فخُصّ الكسب بالصّالح والاكتساب بالسّيء [1]، لأنّه لمّا كانت السّيئة ثقيلة وفيها تكلّف زِيد في لفظ فعلها، ولو جاء النّظم "لها ما كَسبت وعليها ما كَسبت" لما أصبح لعدول حرفَي الجرّ مغْزى، ويحصل به إغماض للمعنى الذي قُصد وهذا موضّح بقول ابن أبي الأصبع: « أمّا الإغماض فلأنّ المراد الإشارة إلى أنّ الفطرة التي فطر اللهُ ـــ سبحانه وتعالى ـــ النّاسَ عليها فطرة الخير فالإنسان بتلك الفطرة السابقة في أصل الخلق لا يحسن أن يُنسب إليه إلا كسْب الحسنات، وما يعمله من السّيئات يعمله لمخالفة الفطرة، فكأنّه تكلّف من ذلك ما ليس في جبلّيه فوجب زيادة التاء التي للافتعال... ليوافق معنى هذا الكلام معنى قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: 30]. » [2]

قال ابن القيّم: «...الاكتساب يستدعي التعمّل والمحاولة والمعاناة فلم يجعل على العبد إلا ما كان من هذا القبيل الحاصل بسعْيه ومعاناته وتعمّله، وأمّا الكسب فيحصل بأدنى ملابسة، حتى بالهمّ بالحسنة ونحو ذلك فخُصّ الشرّ بالاكتساب، والخير بأعمّ منه... » [3]، وهذا من رحمة الله ولطفه بخلقه، وإذا استبان هذا عرفنا أنّ اللام هنا للمِلك، ومجيئها مع الكسب زادها تمكّنا، لقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النّجم: 39]، وأمّا "على" فللاستعلاء، وليست للمِلك، لأنّها ثِقَل على النّفس، وليست لِملك يُنتفع به فناسبت "على" الاكتساب؛ الذي هو جناية في حقّ النّفس، وقهرٌ عليها، قال الشّاعر:

وإنَّ دَماً لَوْ تَعْلَمِينَ جَنَيْتُهُ عَلَى الحَيِّ جَانِي مِثْلِه غَيْرُ سَالِمِ. [4]

لما كان عمله ذنباً عدّى الجَنْي بـــ"على"، وكلّ هذا يكشف عن أسرار الإيثار، إذ كلّ حرف جاء وفق سياقه المناسب له،كما أنّ « كلّ عدول من تعبير إلى تعبير، لا بدّ أن يصحبُه عدول من معنى إلى معنى. » [5]، والله أعلم.

---

(1) ـــ ينظر: مفردات غريب القرآن، ص431، والبرهان، ج3، ص34، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم2، ج1، ص536.

(2) ـــ بديع القرآن، ص305- 306.

(3) ـــ بدائع الفوائد، ج2، ص505.

(4) ـــ البيت في اللسان: (جني)، ج8، ص144.

(5) ـــ معاني النحو، ج1، ص9.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "عن"

الصورة الأولى: العدول عن "من" إلى "عن"

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: 16-17].

جاءت هذه الآية في غواية إبليس للنّاس وتوعّده بالقعود لهم صراطَ الله المستقيم، ثمّ أكّد فيما معناه: ثمّ لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل، فأصدّهم عن الحقّ، وأحسِّن لهم الباطل[1]، لكن النّظم الحكيم عدل عن حرف الابتداء "مِن" في قوله: ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ إلى حرف المجاوزة "عن" في قوله: ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾، فما الأثر البلاغي وراء هذا العدول ؟

وقد كان للزّمخشري حسّه البياني في استجلاء نُكتة العدول في هذا السّياق، فقال متسائلا: ((فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ بحرف الابتداء، ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾ بحرف المجاوزة؟ قلتُ: المفعول فيه عدّي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا، وكانت لُغة تؤخذ ولا تقاس، وإنما يفتّش عن صحّة موقعها فقط، فلمّا سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله قلنا: معنى "على يمينه" أنّه تمكّن من جهة اليمين تمكُّن المستعلي من المستعلى عليه، ومعنى: "عن يمينه" أنّه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له، ثم كَثُر حتى استُعمِل في المتجافي وغيره...ونحوه من المفعول به قولهم: رمَيْتُ عن القوس، وعلى القوس، ومِن القوس لأنّ السّهم يبعد عنها، ويستعليها إذا وضع على كَبِدها للرّمي، ويبتدىء الرّمي منها، كذلك قالوا: جلس بين يديه وخلفه، بمعنى فيه؛ لأنهما ظرفان للفعل، ومن بين يديه ومن خلفه: لأنّ الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول: جئتُه من اللّيل، تريد بعض اللّيل...))[2]

أمّا الرّازي فقد تذوّق هذا العدول من منحى آخر، بقوله: ((إذا قال القائل: "جلس عن يمينه" معناه أنّه جلس متجافياً عن صاحب اليمين غير مُلتصِق به، قال تعالى: ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾ [ق: 17]، فبيّن أنّه حضر على هاتين الجهتين مَلَكان، ولم يحضُر في القدّام والخلف

(1) ــ ينظر: جامع البيان، ج12، ص341.
(2) ــ الكشاف، ج2، ص89.

مَلَكان، والشّيطان يتباعد عن المَلَك فلهذا المعنى خُصّ اليمين والشّمال بكلمة "عن" لأجل أنها تفيد البُعد والمباينة، وأيضاً فقد ذكرنا أنّ المراد من قوله: ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ الخيال والوهم والضّرر الناشيء منهما هو حصول العقائد الباطلة وذلك هو حصول الكفر، وقوله: ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾ الشّهوة والغضب والضّرر الناشيء منهما هو حصول الأعمال الشّهوانية والغَضَبية؛ وذلك هو المعصية، ولا شكّ أنّ الضّرر الحاصل من الكفر لازم لأنّ عقابه دائم، أمّا الضّرر الحاصل من المعصية فسهل لأنّه عقابه منقطع، فلهذا السّبب خصّ هذين القِسمين بكلمة "عن" تنبيهاً على أنّ هذين القسمين في اللّزوم والاتّصال؛ دون القسم الأول، والله أعلم بمراده. »[1]

وكلامه يشير إلى أنّ "مِن" في هذا السّياق أشدّ لزوما لعمل إبليس من حَرف المجاوزة، لأنّ حُصول العقائد أثبت في النّفس من إلقاء الشّهوة الْمُفضية للزّوال.

وعلّل أبو حيان هذا العدول باختصاص حرف الابتداء بالتمكّن للفعل دون المجاوزة، فقال: « إنما خُصّ بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء؛ الذي هو أمكن في الإتيان، لأنهما أغلب ما يجيء العدوّ وبسالته في مواجهة قرنه غير خائف منه، والخلف من جهة غدر ومخاتلة وجهالة القرن بِمَن يغتاله ويتطلّب غرّته وغفلته وخصّ الأَيْمان والشّمائل الحرف الذي يدلّ على المجاوزة، لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدوّ، وإنما يَتجاوز إتيانه إلى الجِهة التي هي أغلب في ذلك... »[2]

وقال أبو السعود انطلاقا من المعنى اللّغوي لكلا الحرفين: « وإنما عدّى الفعل إلى الأَولَين بحرف الابتداء، لأنّه منهما متوجّه إليهم، وإلى الآخرَين بحرف المجاوزة، فإنّ الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المارّ على عرضهم، ونظيره "جلستُ عن يمينه". »[3]

لكن بالنّظر إلى السّياق القرآني العام، نجد أنّ مجيء الأَيمان والشّمائل مرتبط دائما بحرف المجاوزة وليس بحرف الابتداء، مما يدلّ على أنّ هذا التعبير من عُرف خطاب القرآن، قال تعالى: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ [النحل: 48]، وقال ﷻ: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا

(1) ــ مفاتيح الغيب، ج14، ص36.
(2) ــ البحر المحيط، ج4، ص278.
(3) ــ تفسير أبي السعود، ج3، ص219.

عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات: 28]، وقال: ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [ق: 17]، وقال أيضا: ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ [المعارج: 37]، فمجيء "عن" دلالة على معنى المجاوزة، لأنّ هاتين الجهتين ليستا على قِبَل الإنْسان. والله أعلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ العدول إلى حرف الجرّ "في"

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "في"

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: 23].

ثم قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المؤمنون: 31- 32].

نلحظ في هذه الآية عدولا عن حرف الجرّ "إلى" في قوله تعالى: ﴿ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ إلى حرف "في" في قوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا ﴾، وحقّ النّسق من حيث الظاهر: "فأرسلنا إليهم" فما سرّ العدول إلى حرف الظرفية ؟.

قال الراغب: « أصل الرّسل: الانبعاث على التُؤَدة، ويقال ناقة رَسْلة؛ سَهْلة السّير، وإبل مراسيل مُنْبعثة انبعاثا سهلا، ومنه: الرّسول المنبعث، وتصور منه تارة الرّفق فقيل: على رِسْلك إذا أمرته بالرّفق وتارة الانبعاث فاشتُقّ منه الرّسول. »[1]

فاجتمعت في فعل"أرسَل" معاني الرّفق والتؤَدة والتثبّت والطمأنينة، إضافة إلى معنى التوجيه الذي يطلُب جهةً وغايةً ينتهي إليها، فكان حرف انتهاء الغاية "إلى" هو المناسب لأداء هذا المعنى[2]، لكن لما عُدل عن حرف الغاية؛ إلى حرف الظرفية فأين توجّه هذه المعاني. ؟

من اللّغويين من جعل "في" هنا بمعنى "إلى"، أي: "فأَرْسَلْنَا إِلَيْهِم" [3]، وكثير من أهل اللّغة والبيان من فرّق بين تعدية "أَرْسَلَ" بـــ "إلى" عن تعديته بـــ"في"، مع أنّ "إلى" هي الأكثر استعمالاً معه.

قال الزمخشري عن سرّ العدول إلى حرف الظرفية: « فإن قلتَ: حقُّ أرسل أن يعدّى بـــ"إلى" كأخواته التي هي: وَجَّهَ، وأَنْفَذَ، وبَعَثَ، فما باله عُدِّي في القرآن بـــ"إلى" تارة، وبـــ"في"

(1) ــ المفردات في غريب القرآن، ص195.

(2) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص206.

(3) ــ ينظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص771.

أخرى... قلتُ: لم يعدّ بـــ"في" كما عُدّي بـــ"إلى"، و لم يُجعَل صِلة مثله، ولكن الأمّة أو القرية جُعِلت موضعاً للإرسال... »[1]

أمّا قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ ﴾ فالظّاهر أنّ هؤلاء القوم هم قوم هود عليه السلام والرّسول الذي أُرسِل فيهم هو سيّدنا هود عليه السلام، وهو قول الأكثرين[2]، فالعدول إلى "في" في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ ﴾ أشار إلى أنهم « جُعلُوا موضعاً للإرسال، كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِيٓ أُمَّةٖ ﴾ [الرعد: 30] ونحوه، لا غايةً له؛ كما في مثل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [الأعراف: 59] للإيذانِ من أوّل الأمر بأنَّ من أُرسِل إليهم لم يأتهم من غير مكانهم، بل إنَّما نشأ فيما بين أظهرهم، كما يُنبِيء عنه قوله تعالى: ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ، أي: من جُملتهم نسبا فإنَّهما عليهما السّلام كانا منهم. »[3]

وقال ابن عاشور: « عُدّي فعل "أرسلنا" بـــ"في" دون "إلى" لإفادة أنّ الرّسول كان منهم، ونشأ فيهم لأنّ القَرن لّما لم يُعيّن باسم؛ حتى يُعرف أنّ رسولهم منهم أو وارداً إليهم، مثل لوط لأهل سدوم، ويونس لأهل نينوى، وموسى للقبط... إنّما للمماثلة بين حالهم وحال الذين أُرسِل إليهم محمّد ﷺ. »[4]

وقد كان للسّامرائي رأيه في التفريق بين صيغتي: "أرسل إلى" و "أرسل في"، قال: « الإرسال إلى شخص ما؛ يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، فإنّك قد ترسل إلى شخص رسالة فيبلّغها ويعود، وأمّا الإرسال في القرية أو في المدينة، فإنّه يقتضي التبليغ والمكث، فإنّ "في" تفيد الظرفية، وهذا يعني بقاء النّبيّ ﷺ بينهم يبلّغهم ويذكّرهم بالله ويرهم آياته المؤيّدة... »[5]

وقد جاء أيضا هذا العدول السّياقي لحرفيْ الجرّ في سورة سبأ، عند قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ: 34]، وقال بعدها: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ:

(1) ــ الكشاف، ج3، ص188.
(2) ــ ينظر: البحر المحيط، ج6، ص373.
(3) ــ تفسير أبي السعود، ج6، ص133.
(4) ــ التحرير والتنوير، ج18، ص50.
(5) ــ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ط2، 1427هـــ- 2006م، ص39.

44] إذ لابدّ لهذا العدول من مغزى وإشارات بيانية يَستأثر بها كلّ حرف في سياقه الملائم، وبَعْد التدبّر نُدرك أنّ معاني حروف الجرّ لديها صِلَة مباشرة بالسّياق القرآني، فلا يمكن توليد الدّلالة بمعزِل عن السّياق.

وانطلاقا من الآيات السّابقة نلحظُ أنّ حرف "إلى" يأتي في سياق توجية الرّسالة والغاية من ذلك وهذا جليّ لأنّه الأكثر استعمالاً وَفق طبيعة الرّسالة، أمّا حرف الجرّ "في" مع الفعل "أرسل" فمعظم سياقاته القرآنية [1] جاءت تسلية للمرسَل إليه، وتثبيتا للرّسول ﷺ بالصّبر لشأن الرّسالة كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر: 10]، ووردت في سياق امتنان الله تعالى على المؤمنين المقتضي للثّبات على الأمر، قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ [البقرة: 51]، فناسب أن يُذكر ما به تمام المنّة؛ وهي أنْ جَعَل الرّسول فيهم ومنهم[2]، كما دلّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [آل عمران: 164] فكانت "في" في هذه السّياقات أبلغ وأدلّ على معاني الثّبات والتسلّي، من "إلى" الدّالة على غاية توجيه الرّسالة.

الصورة الثانية: العدول عن "على" إلى "في"

قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ ﴾ [سبأ: 24].

عدل التعبير القرآني عن حرف "على" المستعمل مع الهدى إلى حرف "في" المستعمل مع الضّلال؛ إذ لو جاء على نسق واحد لقال: "لعلى هُدى أو على ضلال"، فهل هذا العدول مجرّد تطرية للنشاط؛ أم يحمل معاني بلاغية أخرى ؟.

هناك من قال إنّ "على" هنا للحال [3]، لكن بالنّظر إلى السّياق يتبيّن أنّها بمعنى العلوّ والثّبات.

(1) ــ ينظر: [الأعراف: 94]، و[الرعد: 30]، و[الحجر: 10]، و[سبأ: 34]، و[الصافات: 72]، و[الزخرف: 6].
(2) ــ ينظر: التحرير والتنوير، ج2، ص48.
(3) ــ معجم حروف المعاني، ج2، ص660.

قال الزمخشري عن هذا العدول: « فإن قلتَ: كيف خولف بين حرفيّ الجرّ الداخلين على الحقّ والضّلال؟ قلتُ: لأنّ صاحب الحقّ كأنّه مستعلٍ على فرس جواد يركضه حيث يشاء، والضّال كأنّه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجّه. »(1)

وأشار ابن الأثير إلى دقّة هذا المعنى ولُطف مأخذه؛ بقوله: « وهذا معنى دقيق قلّما يُراعى مثله في الكلام. وكثيراً ما سمعتُ إذا كان الرَّجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور فيقول له: أنت على ضلالك القديم كما أعهدكَ، فيأتي بـــ"على" في موضع "في" وإن كان هذا جائزاً، إلا أن استعمال "في" ههنا أَوْلى...ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يوسف: 95]. »(2)

وعدّ الزركشي هذا الخطاب من باب التعريض والتلويح(3)، حيث ردّد الضّلال بينهم وبين أنفسهم والمراد: إنّا على هدى وأنتم في ضلال، ويسمّى هذا النّوع: الخطاب المنصِف(4)، « لأنّه يوجب أن يُنصف المخاطب إذا رجع إلى نفسه استدراجا لاستدراجه الخصم إلى الإذعان والتّسليم، وهو شبيه بالجدل، لأنّه تصرّف في المغالطات الخطابيّة. »(5)

كما تساءل ابن القيّم عن فائدة ذكر "على"، وكيف يكون المؤمن مستعلياً على الحقّ وعلى الهدى؟ وأجاب بقوله: « لِما فيه من استعلائه وعلوّه بالحقّ والهدى، مع ثباته عليه، واستقامته إليه فكان في الإتيان بأداة "على" ما يدلّ على علوّه وثبوته واستقامته، وهذا بخلاف الضّلال والرّيب فإنّه يؤتى فيه بأداة "في" الدّالة على انغماس صاحبه، وانقماعه، وتدسّسه فيه، كقوله تعالى: ﴿ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: 25]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنعام: 39]، وقوله: ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: 54] وقوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [فصّلت: 45]، وتأمّل قوله: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ

---

(1) ــ الكشاف، ج3، ص591، وانظر: البرهان، ج4، ص175، وروح المعاني، ج22، ص140، وتفسير السعدي، ص40.

(2) ــ المثل السائر، ج2، ص232-233.

(3) ــ ينظر: البرهان، ج2، ص313.

(4) ــ ينظر: مفتاح العلوم، ص246.

(5) ــ البرهان، ج2، ص313- 314.

لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: 24]، فإنّ طريق الحقّ تأخُذ علوّاً صاعدة بصاحبها إلى العليّ الكبير، وطريق الضّلال تأخذ سُفلاً هاوية بسالكها في أسفل سافلين ... »[1]

فكَشَفت دلالة السّياق في هذا الموضع أنّ التعبير بـــ"على" ليس لمجرّد الحال؛ لِما أفاده حرف الاستعلاء من الترفّع بالحقّ وعلوّ المترلة لصاحب الهدى، كما أفاد إطلاق الهدى استقامة الطّريق كالخطّ الواحد ممّا ناسب غرض الكلام، وما أفاده حرف الظّرفية "في" هذا السّياق من معاني التسفّل والانكماش وفي قوله: ﴿ مُّبِينٖ ﴾ دلالة على كون طُرق الضّلالة بعضها أبْيَن من بعض لكثرتها وتشابكها [2] المناسِبة لسياق الضّلال والغيّ، وبالتالي جاء كلّ حرف في مكانه السّديد وَفق سياقه المناسب.

الصورة الثالثة: العدول عن "اللام" إلى "في"

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: 60].

خَصّت هذه الآية ذكر أصناف مستحقّي الصدقات المفروضة، لكنّ السّياق خصّ الأربعة الأوائل باللام، وعَدل في الأربعة الأخيرة إلى حرف الجرّ "في"، مما يطرح تساؤل عن نكتة هذا العدول وإيثار الحرف الثاني عن الأوّل !

هذا ما تساءل عنه الزّمخشري ثمّ أجاب، فقال: « فإن قلتَ: لِمَ عدل عن اللام إلى "في" في الأربعة الأخيرة؟ قلتُ: للإيذان بأنّهم أرسخ في استحقاق التصدّق عليهم ممن سبق ذكره، لأنّ "في" للوعاء، فنبّه على أنّهم أحقّاء بأنّ توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنّة لها ومصباً، وذلك لما في فكّ الرقاب من الكتابة أو الرّق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحجّ بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السّبيل جامع بين الفقر

(1) ــ مدارج السالكين، ج2، ص28.

(2) ــ ينظر: مفاتيح الغيب، ج25، ص223.

والغربة عن الأهل والمال، وتكرير "في" في قوله: ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [التوبة: 60]، فيه فضل ترجيح لهذين على الرّقاب والغارمين. »[1]

ومنهم من خرّج هذا العدول تخريجا آخر، وهو أنّ الأربعة الأُول أكثر استحقاقا من الأخيرة، قال الرّازي: « ولما ذكر الرّقاب أبدل حرف "اللام" بحرف "في"، فقال: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ فلا بدّ لهذا الفَرق من فائدة؟ وتلك الفائدة هي أنّ تلك الأصناف الأربعة المتقدّمة يُدفع إليهم نصيبهم من الصّدقات حتى يَتصرّفوا فيها كما شاؤوا، وأمّا في الرّقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقبتهم عن الرقّ، ولا يُدفع إليهم ولا يمكَّنوا من التصرّف في ذلك النّصيب كيف شاؤوا، بل يوضع في الرّقاب بأن يؤدّى عنهم، وكذا القول في الغارمين يُصرف المال في قضاء ديونهم، وفي الغزاة يُصرف المال إلى إعداد ما يحتاجون إليه في الغَزْو، وابن السّبيل كذلك... »[2]

وعلى هذا النّحو في استجلاء نكتة العدول؛ قول أبي السّعود: « فالعدول عن اللام لِعدم ذكرهم بعنوان مصحّح للمالِكية والاختصاص كالذين من قبلهم، أو للإيذان بعدم قرار مُلكهم فيما أُعطوا كما في الوجهين الأولين... »[3]

وهذا القول يعضّده سياق الآية جاءت في سياق تبيين وتشريع مصارف الصّدقات المفروضة بدفعها لمستحقّيها بعد ما لَمَز المنافقون الرسولَ ﷺ بأنّه يُعطيها إلا من يحبّ، فأخبر الله ﷻ نبيَّه، وأخبرهم أنّه إنما جاءت من الله، وإنّ هذا أمرٌ من الله ليس من محمّد ﷺ: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ ... ﴾، أي: ما الصّدقات إلا للفقراء والمساكين، ومن سمّاهم الله جلّ ثناؤه [4]، « ولما فَرَغ من هذه الأصناف الأربعة الذين يُعطَوْن الصّدقة في أيديهم يتصرّفون فيها كيف شاؤوا كما دلّ عليه التعبير باللام؛ ذَكر الذين يُعطَوْن الصّدقة لقضاء ما بهم كما دلّ عليه التعبير بـــ"في". »[5]

---

(1) ــ الكشاف، ج2، ص270، وانظر: المثل السائر، ج2، ص233.

(2) ــ مفاتيح الغيب، ج16، ص90، وانظر: روح المعاني، ج10، ص124، والتحرير والتنوير، ج10، ص236.

(3) ــ تفسير أبي السعود، ج4، ص76.

(4) ــ ينظر: جامع البيان، ج14، ص304- 305.

(5) ــ نظم الدرر، ج3، ص337.

وهذا أقرب إلى السّياق العام للقرآن وعُرفِ خِطابه الذي يبدأ بالأهمّ فالأهمّ [1]، وهذا شأن كلام العرب، فإنّ العرب إنّما تبدأ في كلامها بالأهمّ والأَوْلى [2] لغرض الكلام، وزيادة في البيان.

فـ"الفقير": هو ذو الفقر أو الحاجة، ومع حاجته يتعفّف عن مسألة النّاس والتذلّل لهم، في هذا الموضع، و"المسكين": هو المحتاج المتذلّل للنّاس بمسألتهم[3]، والمحتاج المتعفّف أولى من المحتاج المتذلّل لذلك يتبيّن وَجاهة قول من قال: إنّ ((الفقير أشدُّ حاجة من المسكين، لأنّ اللّه بَدَأ بهم ولا يبدأ إلا بالأهمّ فالأهمّ.)) [4]

أمّا تفسير الزّمخشري لهذا العدول فراعى المقتضى اللّغوي من المفردات الواردة في الآية، ولم يراعِ المعنى السّياقي، ولا دِلالة حرفَي الجرّ، ولا شكّ أنّ الأصل في لام الجرّ أن تكون للمِلك فيما يَقْبله، أو للاستحقاق [5]، فيكون المستحقّ الأوّل أجدر من الثّاني بالدّلالة اللّغوية والسّياقية، أمّا "في" فهناك من جعلها للسّببية وليست للوعاء[6]، أي: هي لأجلهم حتى ينكشف ما بهم، وليست وليست لهم مطلقاً كالأوائل وحتّى إن كانت للوعاء فهي تكشف عن أنّهم محلّ أو ظرف للصّدقات لمصالح تتعلّق بهم، ولا تتقوّى باستحقاقها على اللام لا لغةً ولا سياقاً ـــ والله تعالى أعلم ـــ.

(1) ـ ينظر: شرح رياض الصاحين، ج1، ص224، ونظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية، ج3، ص336.

(2) ـ ينظر: كتاب سيبويه، ج1، ص34، وتخريج الفروع على الأصول، شهاب الدين محمود الزنجاني، ص60.

(3) ـ جامع البيان، ج14، ص309.

(4) ـ تفسير السعدي، ص341، وانظر: نظم الدرر، ج3، ص336، وشرح رياض الصالحين، ج1، ص224.

(5) ـ ينظر: الكليات، ص1248، ومعجم حروف المعاني، ج2، ص840.

(6) ـ معجم حروف المعاني، ج2، ص763.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "اللام"

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "اللام"

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: 35]

قال الراغب عن معنى الهداية: ((الهداية: دَلالةٌ بلطف...وخُصّ ما كان دَلالةً بـــ"هدَيت"، وما كان إعطاءً بـــ"أهدَيت".))[1]

ففي هذه الآية نلحظ أنّ النّظم الحكيم عدل عن "إلى" في قوله تعالى: ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ إلى "اللام" في قوله سبحانه: ﴿ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾، فهل هذا العدول من تقارض معنى الحرفين؛ أم جاوزه إلى أغراض بلاغية يكشفها السّياق والمقام. ؟

بعض النّحاة والمفسرين من رهن هذا العدول في باب التفنّن في البلاغة، وأنّ "اللام" بمعنى "إلى" فـــ"هَدَيت إلى الحقّ"، و"هَدَيت للحقّ" بمعنى واحد، ومجيئهما في هذه الآية جمع بين اللّغتين[2] ومنهم من فرّق بين التعبيرين لاختلاف حرفَي المعنى ـــ كما سيأتي ـــ ومنهم من زاوج بين التفنّن والتّفرقة [3].

لكن لا يجب التّسليم بأنّ اللام هنا بمعنى "إلى" لاختلاف دلالتي حرفي الجرّ، فـــ"إلى" معناها انتهاء الغاية [4]، واللام معناها الاختصاص، وهذا ما كشف عنه السّياق القرآني في التفريق بين الحرفين مع فعل الهداية.

قال أبو حيان عن سياق هذه الآية: ((لَمّا بيّن تعالى عجز أصنامهم عن الإبداء والإعادة اللّذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الألوهية، بيّن عجزهم عن هذا النّوع من صفات الإله وهو الهداية إلى الحق وإلى مناهج الصواب، وقد أعقب الخلق بالهداية في القرآن في مواضع، قال تعالى حكاية عن الكليم: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: 50]، وقال:

---

(1) ـ المفردات، ص538.

(2) ـ ينظر: إعراب القرآن للزجاج، ص683، ومفاتيح الغيب، ج17، ص73، ومعجم حروف المعاني، ج2، ص842.

(3) ـ ينظر: روح المعاني، ج11، ص114.

(4) ـ ينظر: معجم حروف المعاني، ج1، ص326.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: 2-3]، فاستدلّ بالخلق والهداية على وجود الصانع...ولَمّا كانوا معتقدين أنّ شركاءهم تهدي إلى الحقّ، ولا يسلمون حصر الهداية لله تعالى أمر نبيّه ﷺ بأنْ يبادر بالجواب، فقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾. »[1]

كما جاء فعل الهِداية بمواده اللّغوية في سياق القرآن مرة مع "اللام" ومرّة مع "إلى"، قال تعالى: ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: 35]، وقال أيضا: ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: 213]وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9] وهذا التنوّع لا بدّ أن يكون له تنوّع معنويّ لطيف، دقيق، وهذا من المواضع التي تَدقّ جدّا على أفهام العلماء، قال ابن القيّم: « إنّ الفعل المعدّى بالحروف المتعدّدة؛ لا بدّ أن لا يكون له مع كلّ حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو: رغبتُ عنه، ورغبتُ فيه، وعدلتُ إليه، وعدلتُ عنه، وملتُ إليه وعنه، وسعيتُ إليه وسعيت به، وإن تفاوت معنى الأدوات عسُر الفرق، نحو قصدتُ إليه، وقصدتُ له، وهدَيْته إلى كذا وهدَيْته لكذا... »[2]

وذكر ابن القيّم بعدها قاعدة مهمّة فيما نحن بسبيله، وهي أنّ « فعل الهداية متى عُدّي بـــ"إلى" تضمّن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتى بحرف الغاية، ومتى عُدّي بـــ"اللام" تضمّن التخصيص بالشّيء المطلوب فأتى باللام الدّالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، أُفهم معنى ذكرتُه له وجعلته له، وهيّأته، ونحو هذا... »[3]

فانطلاقا من كلام ابن القيّم وبالنّظر إلى السّياق أقول: إنّ الفعل إذا عُدِّيَ بحرف تعيّن معناه وتخصّص بحسب معنى الحرف المتعلّق به، فلمّا كان السّياق عن الهداية التي يُتوصّل بها إلى الغاية المرجوّة من الهداية جيء بحرف الغاية المناسب لهذا المعنى، وفيه دلالة على أنّ الشّركاء لا يعرفون أين الحقّ، ولا كيف يوصِلون إليه، و"مِن" التبعيضية إشارة إلى ذلك، ولما كان الغَرض من قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ [يونس: 35] هو اختصاص فعل الهداية ـــ لأنّهم اعتقدوا أنّ

(1) ــ البحر المحيط، ج5، ص157.
(2) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص423.
(3) ــ المصدر نفسه، ج2، ص425، وانظر: الكليات، ص 1529.

شركائهم تهدي إلى الحقّ ـــ جيء بحرف الاختصاص والتعيين بأنّ الله وحده من يبلّغ مراد من سلَك طريق الهداية، وهو مناسب لهذا المقام، وهذا من دقائق اللّغة وأسرارها. وفي تعاقب الحرفين لَبس لهذا الفرق الدّقيق فيخفى المقصود من الهداية؛ أهي هداية الإيصال إلى الغاية المطلوبة، أم هداية التّخصيص بالشّيء المطلوب. والله أعلم.

الصورة الثانية: العدول عن "الباء" إلى "اللام"

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: 61].

نلاحظ أنّ فعل الإيمان عُدّي بـــ"الباء" أوّلاً فقال: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ ثمّ عدل السّياق إلى تعديته بـــ"اللام" ثانياً فقال: ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، فلا بدّ لهذا التنوّع من معنى، ولهذا العدول من مغزى.

اختلف المفسّرون في معنى الإيمان المتعلّق بالمؤمنين في هذه الآية، ومعنى "اللام" في ذلك، فمنهم من جعل "يؤمن" من الأَمن بمعنى جعلهم في أمان من التكذيب، واللام مزيدة للتقوية. [1]، ومنهم من أثبت اللام وقال هي للاختصاص. [2]

قال ابن عاشور: ((والإيمان للمؤمنين تصديقهم في ما يخبرونه، يقال: آمن لفلان بمعنى صدّقه، ولذلك عدّي بـــ"اللام" دون "الباء"، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : 17]، فتصديقه إياهم لأنهم صادقون لا يكذبون، لأنّ الإيمان وازع لهم عن أن يخبروه الكذب..)) [3]

وأحسن من فصّل في معنى الإيمان والتفريق بين الصيغتين شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ [4] وبدأ بتفريقه بين الإيمان والتصديق- مع اشتراكهما في المعنى العام- وذلك من وجوه:

---

(1) ـــ ينظر: روح المعاني، ج10، ص127.

(2) ـــ ينظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص840.

(3) ـــ التحرير والتنوير، ج10، ص243.

(4) ـــ ينظر: مجموع الفتاوى، ج7، من ص289 إلى ص297، و ص530-534، ج10، ص270.

أحدهما أن يُقال للمخبِر إذا صدقْتَه: صدَّقه، ولا يُقال: آمَنه، ولا آمَن به، بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: 26]، وقال: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ [يونس: 83]، وقال فرعون: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: 71] ويواصل تفريقه بينهما من جهة التعدية فيقول: " فإنَّما يقال: صدَّقْته لا يُقال: صدَّقْت له، ولو ذكروا الفِعل لقالوا: مَا صَدَّقْتنا، وهذا بخلاف لفظ الإيمان فإنه تعدّى إلى الضمير باللام دائما؛ لا يُقال: آمَنْتُه قطُّ، وإنَّما يُقال: آمَنْت لَهُ، كما يُقال: أَقْرَرْت له، فكان تفسيره ـــ يعني الإيمان ـــ بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديقِ مع أنّ بينهما فرقا... "[1]

فيختلف التصديق عن الإيمان، في كون التصديق عام يستعمل في جميع الأخبار، مثل من يقول: الواحد نصف الاثنين، والسّماء فَوقنا، فيقال له: صدقت، ولا يقال: آمنا لك، أو بك، أمّا الإيمان يستعمل في المخبَر به عن الأمور الغائبة الذِي يؤتمن عليه المخبِرُ، لأنّ الإيمان مشتق من الأمن؛ الذي يتضمّن طمأنينة إلى المخبَرِ والمخبِرُ قد يتضمّن خبره طاعة المستمع له، وقد لا يتضمّن إلا مجرّد الطمأنينة إلى صدقه، فإذا علمنا أنّ الإيمان لا يكون إلا في الغيبيات، فآمن له تقال للمخبِر وآمن به تقال للمخبَر عنه، والرّسول يؤمِن له مِنْ جهة أنّه مُخبِرٌ ويؤمِن به مِن جهة أنّ رسالته مما أخبر بها كما يؤمن بالله وملائكته وكتبه، لذلك جاء قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: 61] " ففرّق بين إيمانه بالله وإيمانه للمؤمنين؛ لأنّ المراد يصدّق المؤمنين إذا أخبروه مِمَّا غاب عنه وهو مأمون عنده على ذلك، فاللفظ متضمّن معَ التصديق ومعنى الائتمان والأمانة، وأمّا إيمانه بالله فهو من باب الإقرار به. "[2]

وهذا العدول نجده أيضا في قوله تعالى: ﴿ ...قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: 70- 71]، وهذا يدلّ أنّ الإيمان الذي باح به القوم غير الإيمان الذي قصده فرعون لاختلاف حَرْفَي الجرّ، لأنّ "آمَن" يوصل بالباء إذا كان بالله، وباللام لغير الله [3]، ودليل أنّ قولَ فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ ﴾ أراد به موسى؛ قوله بعده: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا

(1) ـ مجموع الفتاوى، (مصدر سابق)، ج7، ص291.
(2) ـ المصدر نفسه، ج7، ص291.
(3) ـ ينظر: الكشاف، ج3، ص78، والبحر المحيط، ج6، ص242.

وَأَبۡقَىٰ ﴾ [طه: 71]، يقول: أنا أو موسى[1]، فكان الإيمان المعدّى بالباء أقرب إلى الإقرار منه إلى التصديق، فالقوم أقرّوا بالله تعالى؛ وهو المُخْبَر عنه، لأنّ من المعلوم أنّ موسى لم يدعهم إلى الإيمان به، أمّا الإيمان المعدّى باللام فهو أقرب إلى التصديق منه إلى الإقرار، لأنّه إيمان للمُخْبِر؛ أي تصديق موسى عليه السلام، وما يُلتمس أيضا في هذا السّياق هو مناسبة الإقرار ـــ المقتضي للّزوم ـــ للباء التي معناها الإلصاق[2] « لأنّ اللّزوم يناسب الإلصاق، فإنّ الشّيء إذا لزِم الشّيء كان ملتصقا به لا محالة. »[3]

وبهذا ندرك سرّ العدول عن حرف للإلصاق، إلى حرف الاختصاص[4]، ويتجلّى الفرق بين الصّيغتين دون اللّجوء إلى القول بالتناوب أو التضمين، ولا تسوية الفعل المتعدّي بالباء بالفعل المتعدي بنفسه، كما قد يُتوهّم[5]، كما كُشف أيضا تناسب كلّ حرف وسياقه وغرضه، فناسب الإلصاق الإقرار، والاختصاص التّصديق، وهذا من بديع لغة القرآن العظيم.

(1) ـ جامع البيان، ج18، ص340.
(2) ـ ينظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص470.
(3) ـ كشف الأسرار، ج2، ص260.
(4) ـ ينظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص470، وص840.
(5) ـ ينظر: دور الحرف في أداء معنى الجملة، ص328.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "من"

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "من"

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: 69-71].

ثمّ قال سبحانه: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنبياء: 74].

يقول تعالى مخبرًا عن إبراهيم، أنّه سلّمه الله من نار قومه، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرًا إلى بلاد الشّام إلى الأرض المقدّسة منها، ولا خلاف بين جميع أهل العلم أنّ هجرة إبراهيم كانت من العراق إلى الشّام [1]

لكن هذه التنجية تعدّت مرّة بـــ"إلى"، ومرّة بـــ"مِن"، فما نكتة هذا العدول في حرفي الجرّ. ؟

هناك من لم يعتدّ بأصل تركيب "نجّى إلى" فذهب إلى تضمين "نجيْناه" معنى الإخراج، لذلك تعدّى بحرف "إلى" [2]، وعلى هذا فكأنّه قال: أخرجه إلى الأرض، أو نجّاه بالإخراج إلى الأرض.

قال أبو حيان: « "ونجّيناه" عائداً على إبراهيم، وضُمّن معنى "أخرجناه" بنجاتنا إلى الأرض، ولذلك تعدّى "نجّيناه" بـــ"إلى"، ويحتمل أن يكون "إلى" متعلّقاً بمحذوف، أي: منتهياً إلى الأرض فيكون في موضع الحال ولا تضمين في "ونجّينا" على هذا. » [3]

وهذا الكلام يوحي بأنّ فعل "نجّى" لا يمكن أن يتعلّق بـــ"إلى" دون تضمين فيه، وهذا ما نجده واضحا في وقول البقاعي: « عبّر بـــ"إلى" الدّالة على تضمين "انتهى" للدّلالة على أنّ هناك غاية طويلة، فإنهما خرجا من كوثى من أرض العراق إلى حرّان ثم من حرّان، إلى الأرض المقدّسة التي باركنا فيها بأنْ ملأناها من الخيرات الدنيوية و الأخروية بما فيها من المياه التي بها حياة كلّ شيء

(1) ــ ينظر: جامع البيان، ج18، ص470، وتفسير ابن كثير، ج5، ص353، وأضواء البيان، ج3، ص10.
(2) ــ ينظر: التحرير والتنوير، ج17، ص108.
(3) ــ البحر المحيط، ج6، ص305.

من الأشجار والزروع وغيرها، وما ظهر منها من الأنبياء عليهم السّلام الذين ملؤوا الأرض نوراً للعالمين. »[1]

وانطلاقا من سياق الآيتين أقول: إنّ التنجية هي التخليص من خطر معنوي أو مادي، وإذا تلاها حرف الجرّ "مِن" فإنّه يعقُب هذا التركيب موضوع الخطر[2]، وحرف ابتداء الغاية يكون مناسبا لمعنى الخلاص كقوله تعالى: ﴿ وَقَتَلَتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ [طه: 40] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [الدخان: 30]، لأنّ من ينجو يكون مدركا لغاية يبدأ منها الخطر، أمّا التنجية إذا عدّيت بـــ"إلى" تفيد بيان الغاية المنتهى إليها إضافة إلى معنى الخلاص، والإبلاغ، والإيصال في الفعل، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: 67]، لذا فحرف الانتهاء في سياق قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 71]، هو الأنسب للمقام الذي مجّد الموضع الموصول إليه وليس المبتدأ منه بأن أبلغهما الأرض المباركة؛ مِنَّةً منه وفضلاً.

الصورة الثانية: العدول عن "في" إلى "من"

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النّساء: 5]

وقال ﷻ بعدها: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النّساء: 8].

قال تعالى عن اليتامى: ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾، ثمّ قال عند القِسمة: ﴿ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ فهل تحلّ "مِنْ" هنا معنى "في" أم استأثر كلّ حرف بمعناه سياقا ودِلالة ؟

الآية الأولى في خطاب الله ﷻ للأولياء ونهيهم عن إتيان السّفهاء أموالهم، والسّفيه: هو المستحقُّ الحِجْرَ بتضييعه مالَه وفسادِه وإفساده، وسوء تدبيره ذلك، وليست الآية مقصورة على

(1) ــ نظم الدرر، ج5، ص97.

(2) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص366- 367.

اليتامى، فالسّفهاء في هذه الآية هم المستحقّون الحِجْرَ والمستوجبون أن يُولى عليهم أموالهم[1] لكنّه تعالى أضاف الأموال إلى الأولياء وفي ذلك نُكتة؛ بيّنها السّعدي بقوله: « في إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنّه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السّفهاء ما يفعلونه في أموالهم من الحِفظ والتصرّف وعدم التعريض للأخطار... »[2]

وفي ظلّ هذا السّياق يأتي حرف الظرفية مع الرّزق ليسهم في دلالة السّياق على معنى الحماية والمنعة من تشتّت مال المحجور عليه، حتى كأنّ الأموال ظرفا للرّزق ومكانا له، وهذا الفهم لم يغب عن كثير من المفسّرين في بيانهم لعلّة العدول إلى حرف الظرفية، قال أبو حيان: « قال "فيها" ولم يقل "مِنْها" تنبيهاً على ما قاله عليه السلام: " ابتغوا في أموال اليتامى التّجارة لا تأكلها الزّكاة " والمستحبّ أن يكون الإنفاق عليهم من فضْلاتها المكتسَبة. »[3]

بمعنى أنّ الظرفية أفادت كون النّفقة عليهم من فضْلات المال لا من أصله: « أي: أجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بأنْ تتّجروا وتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الأرباح؛ لا من صُلب المال لئلّا يأكله الإنفاق، وهذا ما يقتضيه جعل الأموال نفسها ظرفا للرّزق والكسوة، ولو قيل: "منها" كان الإنفاق من نفس المال... »[4]

وقال ابن عاشور في خضمّ هذا المعنى « وعَدَل عن تعدية "ارزقوهم" و"اكسوهم" بـــ"مِن" إلى تعديتها بـــ"في" الدّالة على الظرفية المجازية، على طريقة الاستعمال في أمثاله، حين لا يقصد التبعيض الموهم للإنقاص من ذات الشّيء ما يحصل به الفعل: تارة من عيْنه، وتارة من ثمنه، وتارة من نتاجه... »[5]

وبهذا يتبيّن ضعف قول من قال[6] بأنّ "في" في قوله تعالى: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ بمعنى "مِن" لغياب هذه المعاني التي نشرها حرف الجرّ "في" دون سواه، وهذا كلّه لأنّ سياق الآية اقتضى أن يكون لمعنى الظرفية أَلْيق وبه أجدر.

---

(1) ــ ينظر: جامع البيان، ج7، ص565.
(2) ــ تفسير السعدي، ص164.
(3) ــ البحر المحيط، ج3، 178.
(4) ــ روح المعاني، ج4، ص203، وانظر: مفاتيح الغيب، ج9، 152.
(5) ــ التحرير والتنوير، ج4، ص236.
(6) ــ ينظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص757.

أمّا إيثار السّياق القرآني لـــ"مِن" مع الرّزق عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ [النّساء: 8] فـــ« الظّاهر أنهم يُرزقون من عين المال المقسوم. »[1]

وهذا لأنّ « المعنى: أنّه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يَرثون، واليتامى والمساكين قِسمة مال جزيل، فإنّ أنفسهم تَتُوق إلى شيء منه، إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ وهذا يأخذ، وهم يائسون لا شيء يعطون، فأمر الله تعالى ـــ وهو الرّءوف الرّحيم ـــ أن يُرضَخ[2] لهم شيء من الوسَط يكون برّاً بهم، وصدقةً عليهم، وإحساناً إليهم، وجبْراً لكسرهم. »[3]

فمن سياق الآية نلحظ أنّ "مِن" ليست بمعنى "في" وذلك عند قوله تعالى: ﴿ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ [النّساء: 8]، فـــ"مِن" هنا للتبعيض، أي: أعطوهم شيئا من مال الميراث تطييبا لقلوبهم وتصدّقا عليهم.[4]

وهذا لأنّ "مِن" للتبعيض ومجيئها في الآية في حالة القسمة أنسب من حال التصرّف في الأموال، أمّا "في" عند قوله: ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ [النّساء: 5] « لأنّ "فيها" يقتضي بقاءها بالتّنمية والتّجارة حتى تكون محلّاً للرّزق والكسوة دون "منها". »[5]

وبهذا ندرك مدى التناسق والتناسب بين حروف الجرّ في القرآن، فكلُّ حَرف له دلالته الخاصّة، في سياقه المناسب.

---

(1) ــ البحر المحيط، ج3، ص184.

(2) ــ يقال: رَضَخَ له من مالِه يَرْضَخُ رَضْخاً: أَعطاه، انظر: اللسان: (رضخ)، ج2، ص423.

(3) ــ تفسير ابن كثير، ج2، ص221.

(4) ــ ينظر: روح المعاني، ج4، ص212.

(5) ــ البحر المديد، أحمد بن محمد الحسن الإدريسي، ج2، ص8.

النّـــمط الثّـــاني للعـــدول:

❖ **العدول إلى حرف الجرّ "إلى"**

الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "إلى"

المقطع الأول: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: 14].

عَدَل التعبير القرآني عن حرف الجرّ "الباء" في قوله: ﴿ **خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ** ﴾ إلى حرف انتهاء الغاية الذي اقتضاه السّياق، فما نُكتة هذا العدول ؟

قال الراغب: ((خلا الإنسان: صار خاليا، وخلا فلان بفلان: صار معه في خَلاء، وخَلا إليه: انتهى إليه في خُلوة.))[1]

لكن بعض اللّغويين ذهبوا إلى أنّ "إلى" بمعنى "مع"[2] ، وقال آخرون هي بمعنى "الباء"، لكنّ هذه الأقوال ضعيفة لضَعف القول بتعاقبها.[3]

ويتساءل الطّبري كيف قيل: "خلوا إلى شياطينهم"، ولم يقل: "خَلَوْا بشياطينهم"؟ والثّاني أكثر وأفشَى ومن قولك: إنّ القرآن أفصح البيان ! فيجيب بقوله:

((قيل: قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب، فكان بعض نحويي البصرة يقول: يقال"خلوتُ إلى فلان" إذا أريدَ به: خلوتُ إليه في حاجة خاصّة، لا يحتَمِل ـــ إذا قيل كذلك ـــ إلا الخلاءَ إليه في قضاء الحاجة. فأمّا إذا قيل: "خلوت به" احتمل معنيين: أحدهما الخلاء به في الحاجة، والآخَر في السّخرية به، فعلى هذا القول "وإذا خلوْا إلى شياطينهم"، لا شكّ أفصحُ منه لو قيل: "وإذا خلوْا بشياطينهم"، لِما في قول القائل: "إذا خلوْا بشياطينهم" من التباس المعنى على سامعيه، الذي هو مُنتفٍ عن قوله: "وإذا خلوا إلى شياطينهم".

والقول الآخَر: فأن تُوَجِّه معنى قوله: "وإذا خلوا إلى شياطينهم"، "وإذا خلوا مع شياطينهم"، إذ كانت حروف الصِّفات يُعاقِبُ بعضُها بعضًا...

---

(1) ـ المفردات، ص158.

(2) ـ ينظر: الأزهية، ص272.

(3) ـ ينظر: المحرر الوجيز، ج1، ص96، والبحر المحيط، ج1، ص201، والبرهان، ج3، ص339، وروح المعاني، ج1، ص15.

وأمّا بعض نحويي أهل الكوفة، فإنّه كان يتأوّل أن ذلك بمعنى: وإذا لَقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا صَرفوا خَلاءهم إلى شياطينهم، فيزعم أنّ الجالب لـــ"إلى"، المعنى الذي دلّ عليه الكلامُ: من انصرافِ المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالِين بهم، لا قوله: "خَلَوْا"، وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع "إلى" غيرُها، لتغيّر الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها. » [1]

ويعقّب الطّبري عن القول الأخير، بقوله: « وهذا القول عندي أولى بالصّواب، لأنّ لكلّ حرف من حُرُوف المعاني وجهًا هو به أولى من غيره، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجّة يجب التسليم لها ولـــ"إلى" في كلّ موضع دخلت من الكلام حُكم، وغيرُ جائز سلبُها معانيها في أماكنها. » [2]

ومنهم من ذهب إلى التضمين في الفعل، فخلا إذا عُدّي بإلى تضمّن معنى آب وخلُص، للإشارة إلى أنّ الخَلوة كانت في مواضع هي مآبهم ومرجعهم، وأنّ لقاءهم للمؤمنين إنما هو صدفة ولمحات قليلة. [3]

ومنهم من ضَمّن الفعل معنى الإلهاء، والمعنى: وإذا ألهوا إليهم السُّخرية. [4]

وضُمِّن أيضا معنى الانصراف، قال ابن عطية: « وُصِلت "خلَوا" بـــ"إلى" وعُرفها أن توصل بالباء فتقول: "خلوت بفلان"؛ من حيث نُزِّلَت "خلَوا" في هذا الموضع مَنزلة ذهبوا وانصرفوا، إذ هو فعل معادل لقوله: "لَقُوا "، وهذا مثل ما تقدّم من قول الفرزدق [5]:

كَيْفَ تَرَانِي قَالِباً مِجَنِّي فَقَدْ قَتَـــلَ اللهُ زِيَاداً عَنِّي. [6]

لمّا أنزله منزلة صَرَفَ، و رَدَّ. » [7]

---

(1) ــ جامع البيان، ج1، ص198- 199، وانظر: البحر المحيط، ج1، ص201.

(2) ــ جامع البيان، ج1، ص 199.

(3) ــ ينظر: تفسير ابن كثير، ج1، ص182، والتحرير والتنوير، ج1، ص291.

(4) ــ تفسير أبي السعود، ج1، ص46.

(5) ــ هو همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي؛ أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللّغة، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل،كان شريفا في قومه، توفي في البصرة سنة 110هـــ، جُمع له ديوان للنقائض مع جرير، انظر ترجمته في: الأعلام، ج8، ص93.

(6) ــ و في اللّسان: (قتل)، قول الفرزدق: ((... أَقْلِبُ أَمْرِي ظَهْرِه لِلْبَطْنِ ...)) بين صدر البيت وعجزه، انظر: اللسان، ج6، ص622.

(7) ــ المحرر الوجيز، ج1، ص96.

أمّا الزمخشري ـــ وتَبِعه في ذلك الرازي ـــ فقال بجواز كون "خلا" بمعنى "مضى" ومنه القرون الخالية ويجوز كونه من: "خَلَوت به" إذا "سَخِرت به"، من قولك: خلا فلان بعِرْض فلان، أي: يَعْبث به والمعنى: وإذا أفضوا السّخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحَدّثوهم بها،كما تقول: أحمَدُ إليك فلانا، وأذمّه إليك. (1)

لكن دلالة فعل "خلا" على السّخرية والمضيّ غير صريحة (2)في هذا السّياق؛ لِما تقدّم من كلام الرّاغب وأئمّة اللّغة، ولأنّ قوله: "خَلَوا" يعادل قوله: "لَقُوا" وهو مناسب لكشف خبايا النّفاق، وتلوّن أقوالهم وأفعالهم، وقرينة ذلك هو تعديته بـــ"إلى" دون الباء، لأنّ الفعل تحدّد بالمعنى السّياقي لحرف الجرّ فمتى جاء مع حرف الغاية كان المعنى: "انفرد به" (3)، أمّا دلالته على المضيّ فلا تأتي مع "إلى" مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: 24]، فخلا هنا بمعنى: مضى وأرسل(4) لأنّ السّياق ليس لمعنى الانفراد.

ولعلّ كثرة تعدّد الآراء في معنى هذا التركيب، هو عدم فهم معنى الفعل إذا ركّب مع حرف الغاية، حتى جعل بعضهم "إلى" في قوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ [البقرة: 14] للغاية، وفي قوله: ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: 76]، بمعنى "مع" (5)، لكن الأَولى أنّهما سواءٌ في المعنى لأنّ المعنى فصاروا في خلاء من النّاس غيرهم. (6)

وبناءً على ما سبق أقول إنّ فعل"خلا" إضافة إلى دلالته اللّغوية قد حَمَلَ في هذا السّياق معنى التستّر والخفاء فصَوّر لنا انقشاع الخِبْء الدّفين لزمرة المنافقين، فلمّا ركّب مع حرف الجرّ "إلى" الدّال على انتهاء الغاية، أشار إلى غاية انفرادهم وخلوتهم؛ وهي الاستهزاء؛ الذي يحكيه قولهم: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: 14]، مما لا يستطيع حرف الباء أن يؤدّي هذا المعنى البديع المتولّد من العدول عن الباء إلى حرف انتهاء الغاية. والله أعلم.

---

(1) ـ الكشاف، ج1، ص103، وانظر: مفاتيح الغيب، ج2، ص63.

(2) ـ ينظر ردّ قول الزمخشري في: روح المعاني، ج1، ص 156- 157 .

(3) ـ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص177.

(4) ـ لسان العرب: (خلا)، ج8، ص227.

(5) ـ معجم حروف المعاني، ج1، ص322.

(6) ـ جامع البيان، ج2، ص250.

المقطع الثاني: قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة: 187]

قال ابن فارس: ((الراء والفاء والثاء أصلٌ واحدٌ، وهو كلُّ كلام يُستَحْيا من إظهاره، وأصلُه الرَّفَثُ وهو النِّكاح.)) (1)

فالرّفثُ هو كلام متضمِّن لما يُستقبح ذِكره من ذكر الجِماع ودواعِيه. (2)

لكن مما يستشكل عند بعض البيانيين هو تعدية الرّفث بـــ"إلى"، دون الحرف الأكثر استعمالا معه وهو الباء. فلا بدّ للعدول إلى هذا الحرف دون غيره حكمةً بيانية، وكيف يمكن تحليلها ؟

ذهب بعض اللّغويين إلى أنّ هذا التّركيب هو من باب إنابة الحروف بعضها مكان بعض فـــ"إلى" في قوله: ﴿ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ بمعنى "مع"(3)، لكن لا يمكن قبول هذا القول مطلقا، قال ابن جني في باب "استعمال الحروف بعضِها مكان بعض": ((هذا باب يتلقّاه النّاس مغسولا ساذجا من الصّنعة، وما أبعد الصّواب عنه وأوقفه دونه، وذلك أنهم يقولون: إن "إلى" تكون بمعنى "مع"، ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصّف: 14]، أي مع الله...)) (4)

وأردف مبيّنا ـــ برأيه ـــ معنى هذا التركيب: ((وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها أو معها، لكنّه لما كان الرّفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تُعدّي أفضيت بـــ"إلى"، كقولك: أفضيت إلى المرأة جئتَ بـــ"إلى" مع الرفث إيذانا وإشعارا أنّه بمعناه.)) (5)

فكان تضمين الفعل عند ابن جني أوْلى من تضمين الحرف، وهذا المذهب يمّمه كثير من المفسرين(6)، إذ قالوا إنّ ((أصل الرّفث لا يتعدّى لغةً بحرف "إلى"، لكنّه ضمّن معنى فعل "أفضى" فعُدّي تعديته، يقال: أفضى إلى زوجته، أي: أزال ما بينهما من الفضاء فالتصق بها، وهو كناية عن الجِماع، وتقدير الكلام: أُحِلّ لكم ليلة الصّيام الرّفث بالحديث مع نِسائكم مُقدّمة مناسبة

---

(1) ـــ معجم مقاييس اللغة، ج2، ص421.

(2) ـــ المفردات، ص199.

(3) ـــ ينظر: معجم حروف المعاني، ج1، ص322.

(4) ـــ الخصائص، ج2، ص306-307.

(5) ـــ المصدر نفسه، ج2، ص308.

(6) ـــ ينظر: الكشاف، ج1، ص257، والمحرر الوجيز، ج1، ص91، ونظم الدرر، ج1، ص350، وتفسير أبي السعود، ج1، ص201.

يكون بعدها الإفضاء إليهنّ وجماعهنّ واللهُ ــ تعالى ــ بهذا يعلِّم الأزواج أدب المعاشرة باستخدام المقدّمات قبل الإفضاء والمعاشرة الزّوجية.» (1)

كما أنّ هذا التركيب حَمَل معنى أدبي سامٍ يترفّع بالإنسان ويكرّمه عن كلّ دابّة، « فصار ذلك قريباً من الكنايات التي جاءت في القرآن من قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف: 189] ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [البقرة: 222]، ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ [البقرة: 223]، ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة: 187].» (2)

فلا يستطيع أحد أن يحكيَ مكامن الإيجاز التي أودعت في ثنايا التعبير بحرف الغاية التي امتزجت فيه دلالة الإباحة الشّرعية بالمعاني الأدبية لغاية مكنيّة دبّت ذرّاتها في نفوس البشرية، فجيء بـــ"إلى" لتُوَجِّه إلى مَرْمى هذه الشَّهوة الفِطْرية برِفْق، وتُؤَدة، ورَوِيّة، ليسموَ اللّفظ بالإجلال عن التصريح، والتّكنية بالرّفث ابتداءً منه إلى ما بعده، تاركا شِعار الوقاع؛ يتبوّأ منه الرّجل أنّى شاء؛ مستوراً بدِثار الحياء الذي يجمع أرواح الزّوجين، فكانت "إلى" أبلغ بهذا المعنى من الباء؛ التي تستدعي الإلصاق دون وسائط ومقدّمات.

الصورة الثانية: العدول عن اللام إلى "إلى"

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: 22]

جاء الفعل "أسلم" بتنوّع اشتقاقاته في أكثر سياقاته القرآنية معدّيا باللام(3)، أمّا في هذه الآية فعدل النّظم إلى تعديته بـــ"إلى"، فما هو الأثر البلاغي لهذا العدول ؟

قال الزمخشري متسائلا عن نكتة هذا العدول: « فإن قلتَ: ماله عدّي بـــ"إلى"، وقد عدّي باللام في قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 112]؟ قلتُ: معناه مع اللام: أنّه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله، أي خالصاً له، ومعناه مع "إلى": أنّه سلّم إليه نفسه، كما يسلَّم المتاع إلى الرَّجُل إذا دُفع إليه والمراد: التوكّل عليه، والتفويض إليه. » (4)

---

(1) ــ البلاغة العربية، الميداني، ج2، ص51-52.

(2) ــ البحر المحيط، ج2، ص55.

(3) ــ ينظر لهذا مثلا: [البقرة: 112]، و[البقرة: 131]، و[آل عمران: 20]، و[النساء: 125]، و[غافر: 66]...

(4) ــ الكشاف، ج3، ص506، وانظر: التحرير والتنوير، ج21، ص176- 177.

وزاد الرازي عن رأي الزمخشري قولا اعتمد فيه سياق الآية حجّة لكلامه؛ فقال: « مَن أسْلم لله أعلى درجة ممن يُسلم إلى الله، لأنّ "إلى" للغاية و"اللام" للاختصاص، يقول القائل: أسلَمْت وجهي إليك أي: توجّهت نحوك، ويُنبيء هذا عن عدم الوصول؛ لأنّ التوجّه إلى الشّيء قبل الوصول، وقوله: أسلَمْتُ وجهي لك، يفيد الاختصاص، ولا ينبيء عن الغاية التي تدلّ على المسافة وقطعها للوصول، إذا عُلم هذا فنقول: في "البقرة" قالت اليهود والنّصارى: ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة: 111] فقال الله رداً عليهم: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: 111]، ثم بيّن فساد قولهم بقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 112]، أي: أنتم مع أنّكم تَتْركون الله للدّنيا وتولون عنه للباطل وتشترون بآياته ثمناً قليلاً تدخلون "النّار"، ومن كان بكلّيته لله لا يدخلها، هذا كلام باطل، فأورد عليهم من أسلم لله، ولا شكّ أنّ النّقض بالصّورة التي هي أَلْزم أوْلى، فأورد عليهم المُخْلِص الذي ليس له أمر إلا الله... وأمّا هاهنا [1]، أراد وَعْد المحسِن بالثّواب والوصول إلى الدّرجة العالية فوَعَد من هو دونه ليدخل فيه من هو فوقه بالطّريق الأولى، ويَعمّ الوعد. » [2]

وبناءً على كلام الزمخشري والرازي يكون الإسلام لله أخلص من الإسلام إلى الله، لأنّ الأوّل إسلام خاصّ في سياق خاصّ فجيء بحرف الاختصاص، أمّا الأخَر فإسلام عام في سياق عام فجيء بحرف الغاية المناسب له، فإنّه « لمّا ذكر حال الكافر المجادِل ذَكر حال المسلِم، وعدّاه هنا بـــ"إلى"، وفي قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 112] باللام، لأنّه لَمّا كان المجادِل غير مُعيّن، و لم يخصّ له واحداً بعينه عقّبه بحال من حصل منه مطلق الاستسلام، ومَدْحُهُ يتناول مدحَ مَن اتّصف بأخصّ الاستسلام، و في الآية الأخرى أتى به خاصّاً، لِما رتّب عليه من الثّواب الجزيل بقوله: ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾ [البقرة: 112]، الذي لم يذكر هنا إلا بعضه، فإنّ "اللام" تقتضي الاختصاص والقصد إلى الشّيء، و "إلى" لا تقتضي ذلك. » [3]

---

(1) ــ قَصد بها: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: 22].

(2) ــ مفاتيح الغيب، ج25، ص134- 135.

(3) ــ البحر المديد، ج5، ص376.

ومنهم من اعتدّ بسياق سورة لقمان لإبراز سِرّ هذا العدول، فقال ((ولما كان مقصود السّورة إثبات الحكمة، عُدّى الفعل بـــ"إلى" تنبيهاً على إتقان الطّريق بالوسائط من النّبيّ أو الشّيخ، وحسن الاسترشاد في ذلك، فقال معلّقاً بما تقديره: ساتراً وواصلاً إلى الله؛ الذي له صفات الكمال، فلم يُبقِ لنفسه أمر أصلاً، فهو لا يتحرّك إلا بأمر من أوامره سبحانه.)) [1]

ومما سبق وبالنظر إلى السّياق نلمحُ الأثر البلاغي للعدول إلى حرف الغاية، وهو أنّ سلامة المصير في سلامة الاتجاه وسداد المنهاج الموصل إلى الغاية الحميدة؛ بصرف العبادة إلى الله وحده، لذلك قال ﷻ بعدها: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان: 22]، أي: فقد أخذ مَوْثقا من الله متينًا أنّه لا يعذّبُه [2]، وهذا من حُسن المآل والمنقلَب، أمّا من جعل غايته غير الله تعالى بأن كفر بالله والْتجأ إلى سواه، فيكون مآله في الآخرة إلى العذاب الغليظ، كما قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: 22] فناسب غرض الآية مجيء "إلى" الدّالة على انتهاء الغاية والمآل، مما لا يمكن لأيّ حرف آخر أنْ يبلِّغ ما أوصله الحرف الذي عدل إليه السّياق. والله أعلم.

الصورة الثالثة: العدول عن "مع" إلى "إلى"

المقطع الأوّل: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ [النّساء: 2]

من اللّغويين من جعل "إلى" في هذه الآية بمعنى "مع"، أي: لا تأكلوا أموالهم مع أموالكم. [3]

وبعضهم ضمّن "تأكلوا" معنى تضُمُّوا، أي: لا تأكلوها بأن تضمّوها إلى أموالكم. [4]

قال ابن عطية مبيّنا مدى صحّة القولين: ((وقالت طائفة من المتأخرين "إلى" بمعنى "مع" وهذا غير جيّد وروي عن مجاهد أنّ معنى الآية: ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، قال القاضي أبو محمّد:

---

(1) ــ نظم الدرر، ج6، ص26.

(2) ــ تفسير ابن كثير، ج6، ص347.

(3) ــ ينظر: أدب الكاتب، ص 409، وحروف المعاني، للزجاجي، ص65، والأزهية، ص272، والعوامل المائة النحوية ص108.

(4) ــ ينظر: شرح الرضي على الكافية، ج4، ص271، ومغني اللبيب، ص898، والكليات، ص240، والتحرير والتنوير ج4، ص221

وهذا تقريب للمعنى، لا أنّه أراد أنّ الحرف بمعنى الآخر، وقال الحذّاق "إلى" هي على بابها وهي تتضمّن الإضافة التقدير: لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم في الأكل. » [1]

وكلام ابن عطية يكشف عن أنّ بعض تفسير حروف الجرّ في القرآن يكون بالمعنى العام؛ وليس الدّقيق، إذ لا يمكن أن يحلّ حرف مكان آخر بكلّ ملابساته، وإيحاءاته الدّلالية، لكن الفَرق يَعْسُر كلّما اقتربت معاني هذه الحروف، ويسهل بعكس ذلك.

قال الفراء عن ضابط دخول "إلى" مكان "مع": « وإنّما يجوز أن تجعل "إلى" موضع "مع"، إذا ضمَمْت الشّيء إلى الشّيء مما لم يكن معه؛ كقول العرب: "إنّ الذّود إلى الذّود إبل"، أي: إذا ضمَمْتَ الذّود إلى الذّود صارت إبلا. فإذا كان الشّيء مع الشّيء لم تصلح مكان مع "إلى"، ألا ترى أنّك تقول: "قَدِم فلانٌ ومعه مالٌ كثير"، ولا تقل في هذا الموضع: قَدِم فلان وإليه مال كثير وكذلك تقول: قَدِم فلانٌ إلى أهله، ولا تقل: مع أهله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾ معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم. » [2]

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ [ص: 24]

فـــ"إلى" هنا للغاية [3]، وإن حملت معنى المعية لكن استقلّت بأن ضمّت النّعجة إلى النّعاج، و لم تكن معهنّ قبل، كما أشارت "إلى" في قوله: ﴿ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾ إلى أنّ مال اليتيم يكون مستقلّا عن غيره بغية العدْل.

وبالتالي أقول إنّ "إلى" جاءت بمعناها الحقيقي، ومعنى الآية: لا ينتهِ أكل أموالهم إلى أموالكم [4] كما جاءت "إلى" للإشارة إلى استقلالية الذمّة المالية لكلا الطرفين، فعدل عن أداة المصاحبة الدّالة على الاختلاط إلى حرف الانتهاء الدّال على الاستقلال. [5]

واختلف في قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾ هل هي قيد للاحتراز، أم ليست قيدا ؟

---

(1) ــ المحرر الوجيز، ج2، ص6.

(2) ــ معاني القرآن، ج1، ص218، وعلى نحو هذا قال الطبري، انظر: جامع البيان، ج6، ص443- 444.

(3) ــ ينظر: معجم حروف المعاني، ج1، ص332.

(4) ــ ينظر:كشف الأسرار، ج2، ص265.

(5) ــ القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج2، ص515.

قال الزمخشري: ((فإن قلتَ: قد حرّم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلِمَ ورد النّهي عن أكله معها ؟ قلتُ: لأنّهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال، وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذّمّ أحقّ، ولأنّهم كانوا يفعلون ذلك فنَعى[1] عليهم فعلهم، وسَمَّع بهم ليكون أزجر لهم.)) [2]

أما أبو حيان فيَعدّه قيدا للاحتراز: ((وحكمة ﴿ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾، وإن كانوا منهيين عن أكل أموال اليتامى بغير حقّ، أنّه تنبيه على غنى الأولياء، كأنّه قيل: ولا تأكلوا أموالهم مع كونكم ذوي مال أي: مع غناكم لأنّه قد أَذِن للوليّ إذا كان فقيراً أن يأكل بالمعروف، وهذا نصّ على النّهي عن الأكل، وفي حكمه التموّل على جميع وجوهه.)) [3]

ويقول أبو حيان مُلخّصا كلام الزمخشري: ((وملخّصه أنّ قوله: ﴿ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾ ليس قيداً للاحتراز إنما جيء به لتقبيح فعلهم، ولِأن يكون نهياً عن الواقع، فيكون نظير قوله: ﴿ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ ﴾ [آل عمران: 130]، وإن كان الرّبا على سائر أحواله منهياً عنه، وما قدّمناه نحن يكون ذلك قيداً للاحتراز فإنّه إذا كان الوليّ فقيراً جاز أن يأكل بالمعروف، فيكون النّهي منسحباً على أكل مال اليتيم لمن كان غنياً، كقوله: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ ﴾ [النّساء: 6].)) [4]

ـــ والله أعلم بالصّواب ـــ

المقطع الثاني: قال تعالى: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصّف: 14]

من اللغويين من جعل "إلى" في هذه الآية بمعنى "مع"، أي: من أنصاري مع الله. [5]

قال المرادي: ((وكون "إلى" بمعنى "مع" حكاه ابن عصفور، عن الكوفيين. وحكاه ابن هشام عنهم، وعن كثير من البصريين، وتأويل بعضهم ما ورد، من ذلك، على تضمين العامل، وإبقاء "إلى" على أصلها والمعنى في قوله تعالى: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: من يضيف نصرته إلى نصرة الله، و"إلى" في هذا أبلغ من مع، لأنّك لو قلتَ: من ينصرني مع فلان، لم يدلّ على أنّ فلاناً وحده

(1) ـــ نعى فلان على فلان أمر، إذا أَشادَ به وأَذاعه، ينظر: اللّسان: (نعا): ج8، ص757.

(2) ـــ الكشاف، ج1، ص497.

(3) ـــ البحر المحيط، ج3، ص168.

(4) ـــ المصدر السابق، ج3، ص169.

(5) ـــ ينظر: أدب الكاتب، ص410، وحروف المعاني، ص65، والأزهية، ص272، وهمع الهوامع، ج2، ص332.

ينصرك، ولا بدّ، بخلاف إلى، فإن نصرة ما دخلت عليه محقّقة واقعة مجزوم بها، إذ المعنى على التضمين: من يضيف نصرته إلى نصرة فلان. » (1)

وهذا المعنى قال به كثير من المفسّرين الذين أوتوا حاسّة بيانية في لطائف الفروق اللّغوية في باب الحروف الجارّة، ومنهم الزمخشري القائل في تفسير هذه الآية: « فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف: 14]؟ قلت: يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين: ﴿ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: 14]، والذي يطابقه أن يكون المعنى: مَن جندي متوجّهاً إلى نُصرة الله... ومعنى ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ ﴾: مَن الأنصار الذين يختصُّون بي ويكونون معي في نصرة الله؛ ولا يصحّ أن يكون معناه: من ينصرني مع الله؛ لأنّه لا يطابق الجواب، والدّليل عليه: قراءة من قرأ: "من أنصار الله". » (2)

وهذا ما باح به الرازي في قوله: « نقول: يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريّين والذي يطابقه أن يكون المعنى: مَن عسكري متوجّهاً إلى نُصرة الله. » (3)

وكافينا بيانا أن نورد ما قاله ابن عطيّة؛ مبيّنا للمعنى وناقدا لفكرة التناوب، قال: « وقوله: "إلى الله " يحتمل معنيين: أحدهما من ينصرني في السّبيل إلى الله فتكون "إلى" دالّة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها والمعنى الثاني أن يكون التقدير: من يضيف نُصرته إلى نصرة الله لي، فيكون بمنزلة قوله: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾ [النّساء: 2]، فإذا تأمّلتها وجدت فيها معنى الغاية، لأنها تضمّنت إضافة شيء إلى شيء، وقد عبّر عنها ابن جريج والسدّي بأنها بمعنى "مع" ونعم إنّ "مع" تسدّ في هذه المعاني مسدّ "إلى" لكن ليس يباح من هذا أن يقال: إنّ "إلى" بمعنى "مع"، حتى غلط في ذلك بعض الفقهاء في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: 6]، فقال "إلى" بمعنى "مع" وهذه عُجمة بل "إلى" في هذه الآية غاية مجرّدة... » (4)

وكلّ هذا يَكْشِف عن لِثام البيان الذي يضفيه السّياق القرآني على الحرف الذي يتكشَّف معناه بحسب معرفة أحوال الكلام، ومدى مناسبة هذا الحرف للمعنى المقصود، وبالتالي يتبيّن ما للعدول

(1) ــ الجنى الداني، ص386.
(2) ــ الكشاف، ج4، ص528.
(3) ــ مفاتيح الغيب، ج29، ص276.
(4) ــ المحرر الوجيز، ج1، ص442.

في السّياق من لطائف معنوية؛ يؤدي جَهْلها إلى ضَرْب من العُجمة ـــ كما قال ابن عطية ـــ ومن هذا فمعنى الآية هو: من معيني في الدّعوة إلى الله ﷻ. (1)

(1) ـــ تفسير ابن كثير، ج8، ص113.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "الباء"

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "الباء"

قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: 100].

الشّاهد في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ حيث عدل عن تعدية فعل "أحْسَن" بحرف الجرّ "إلى" التي يقتضيها الظّاهر إلى تعديته بالباء، فما هو الأثر البلاغي لهذا العدول ؟

ذهب جمع من أهل اللّغة إلى أنّ "الباء"في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ بمعنى "إلى"، أي: أحْسَنَ إليّ. (1)

جاء في اللّسان: ((العرب تقول: أَحسَنْتُ بفلانٍ، وأَسأْتُ بفلانٍ أَي: أَحسَنْتُ إليه وأَسَأْت إليه وتقول: أَحْسِنْ بنا أي: أَحسِنْ إلينا ولا تُسِئْ بنا، قال كُثَيِّر:

أَسِيئِي بِنَا أَو أَحْسِنِي لا مَلومَةٌ لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ.)) (2)

ومنهم من قال بتضمين "أَحْسَنَ" معنى "لطُفَ"، فعُدّي تعديته، والمعنى: لَطف بي محسِنا غير هذا الإحسان. (3)

وقد أورد ابن عاشور القولين دون تصريحٍ بترجيح، فقال: ((ومعنى "أَحْسَنَ بي": "أحْسَن إليّ" يقال: أحسَن به، وأحسَن إليه، من غير تضمين معنى فعل آخر، وقيل: هو بتضمين أحسن معنى لَطف، وباء "بي" للملابسة أي: جعل إحسانه ملابساً لي، وخصّ من إحسان الله إليه دون مطلق الحضور؛للامتيار أو الزيادة إحسانين هما: يوم أخرجه من السّجن، ومجيء عشيرته من البادية.)) (4)

أمّا ابن عطية فكان أكثر حسّا في تذوّق الفرق و العدول إلى التعبير بالباء، دون غيرها، قال عن معنى الآية: ((أي: أوقع ونَاطَ إحسانه بي، فهذا منحى في وصول الإحسان بالباء، وقد يُقال:

---

(1) ــ ينظر: الجنى الداني، ص45، ومغني اللبيب، ص143، وهمع الهوامع، ج2، ص335، والكلّيات، ص229.

(2) ــ لسان العرب: (حسن)، ج7، ص708.

(3) ــ ينظر: البحر المحيط، ج6، ص23، وتفسير أبي السعود، ج4، ص307.

(4) ــ التحرير والتنوير، ج13، ص57.

أحْسَن إليّ وأحْسَنَ فيّ، ومنه قول عبد الله بن أبي ابن سلول: يا محمّد أحْسِن في موالي، وهذه المناحي مختلفة المعنى، وألْيقها بيوسِف قوله "بي" لأنّه إحسان درج فيه دون أن يقصد هو الغاية التي صار إليها. » (1)

قال السّامرائي مفرّقا بين الصيغتين: « إنَّ معنى: "أحْسَنَ إليه" قدّم إليه إحسانا، أو صَنع له إحسانا، أمّا "أحْسَنَ به" فمعناه وضع إحسانه به، ومن ذلك أنّك تقول: أحسنتَ بهذا الأمر وأحسنتَ بعملك، أي: ألصقتَ إحسانك بعمَلك ووضعته به، ولا تقل: أحسنتَ إلى عملك، ولا أحسنتَ إلى هذا الأمر؛ إلا على معنى آخر، وهو أنّك قدّمت إليه إحسانا، وهو معنى مجازي، فإنّ الإحسان في "أحْسِن به" ألصق إذ إنّ فيه معنى الرّعاية واللّطف، قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: 77] وقال على لسان سيّدنا يوسف عليه السلام: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ [يوسف: 100] ففي الثانية إحسان خاصّ يختلف عن الأوّل، فإنّ الآية الأولى في عموم الخَلق وإحسان الله إلى الخلق إحسان عامّ يشترك فيه سيّدنا يوسف وبقية الخلق، أمّا قوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ [يوسف: 100]، فإنّ فيه إحسانا خاصّا ألصق من الأوّل؛ إذ أخرجه من السّجن وبوّأه مكانة عالية، وجاء إليه بأهله، وما إلى ذلك من العناية الرّبانية، واللّطف. » (2)

ولهذا أقول: إنّ "الباء" هنا ليست بمعنى "إلى" والفعل "أحْسَن" ليس مُضمّنا معنى "لَطف"، وإنّما الباء على أصلها للإلصاق(3)، ولما تركّبت مع فعل الإحسان دلّت على مباشرة الإحسان وإناطته بأهله، أمّا تفسير "أحْسَنَ" بلَطفَ فهو مبنيّ على تصحيح وجه هذه التعدية بفعل يتَعدّى بالباء ومما يدلّ على هذا كون "لَطف" يعدّى أيضا باللام، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: 100]، فيكون التضمين هنا غير وجيه للدّلالة الحقيقية لمعنى الإحسان، ولّما كان سياق الآية سياق ذكر منّة الله تعالى ولُطفه، وإلصاق إحسانه بعَبْده، جيء بحرف "الباء" مُشرَباً معنى الدَّناوَة، لأنّ « تعدية "أحسن" بالباء أدلّ على القُرب من المُحْسِن من التعدية بـــ"إلى" » (4)

(1) ــ المحرر الوجيز، ج3، ص282.
(2) ــ معاني النّحو، ج3، ص23.
(3) ــ معجم حروف المعاني، ج2، ص473.
(4) ــ نظم الدرر، ج4، ص99.

وحاملاً معه كساء الرّحمة الرّبانية التي أرادها تعالى أن تباشر هذا الصّدِّيق النّبيّ، وتناسباً مع هذا المعنى قال في سياق الآية: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100].

الصورة الثانية: العدول عن "على" إلى "الباء"

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: 75].

قال بعض اللّغويين إنّ الباء في قوله تعالى: ﴿تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ وأيضا: ﴿بِدِينَارٍ﴾ بمعنى "على" [1]، ومِن بين ما استدلّوا به؛ قول الشّاعر [2]:

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَان بِرَأسِهِ لَقدْ ذَلَّ مَنْ بالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ.

قال الطبري: « و"الباء" في قوله: "بدينار" و"على" يتعاقبان في هذا الموضع، كما يُقال: "مَرَرْتُ به، ومَرَرْتُ عليه". » [3]

لكن ابن عاشور لم يرتض كون الباء في البيت السّابق بمعنى "على"، وقال إنّه « مَحملٌ بعيد لأنّ الباء في البيت للظّرفية، كقوله تعالى: ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: 24]. » [4]

ويعلّل الرازي إمكانية تعاقب الحرفين للفعل نفسه، بأنّه « يقال: أمِنته بكذا، وعلى كذا، كما يقال: مرَرْت به وعليه، فمعنى الباء: إلْصاق الأمانة، ومعنى "على": استعلاء الأمانة، فمن اؤْتُمن على شيء فقد صار ذلك الشّيء في معنى الملتَصِق به لقُربه منه، واتّصاله بحفظه وحياطته، وأيضاً صار المودِع كالمستعلي على تلك الأمانة والمستولي عليها، فلهذا حسُن التعبير عن هذا المعنى بكِلْتا العبارتين... » [5]

ومع كونه لم يفرّق بين الصّيغتين، في هذا التركيب لأنها ـــ برأيه ـــ بمعنى، فقد جاء قوله أقرب لدواعي النّظم، وأسرار البلاغة.

---

(1) ـ ينظر: الجنى الداني، ص42، ومغني اللبيب، ص142، والبرهان، ج4، ص257، وهمع الهوامع، ج2، ص337، والكليات، ص228، ومعجم حروف المعاني، ج2، ص458.

(2) ـ يُنسب هذا البيت لغاوي بن ظالم السُّلميّ، وقيل لأبي ذرّ الغفاري، وقيل لعبَّاس بن مِرداس السُّلمي، انظر: تاج العروس: (ثعلب) ج1، ص334.

(3) ـ جامع البيان، ج6، ص520.

(4) ـ التحرير والتنوير، ج3، ص286.

(5) ـ مفاتيح الغيب، ج8، ص89.

وأورد أبو حيان أقوالا دون تعقيب أو ترجيح، فقال: « والباء في: ﴿ بِقِنطَارٍ ﴾، وفي: ﴿ بِدِينَارٍ ﴾ قيل: للإلصاق، وقيل: بمعنى "على"، إذ الأصل أن تتعدّى بـــ"على"، كما قال: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: 11]، وقال: ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ ﴾ [يوسف: 64]، وقيل: بمعنى "في"، أي: في حفظ قنطار، وفي حفظ دينار. »[1]

لكن هذه الأقوال هي تقريب للمعاني والمفاهيم، وليست تحليلا بيانيّا لهذا التركيب الوارد في سياق معيّن، لأنّ القرآن دقيق في ألفاظه وتراكيبه، ولو كانت الباء بنفس معنى "على" لم يؤثرها السّياق و لم يعدل إليها !

وعلى هذا المنحى ذهب ابن عاشور، لكن على طريقة التضمين، ففعل الأمانة عنده مضمّن معنى المعاملة، قال: « وعُدّي ﴿ تَأْمَنُهُ ﴾ بالباء مع أنّ مِثلَه يتعدّى بـــ"على" كقوله: ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [يوسف: 64]، لتضمينه معنى "تُعامِلُه" بقنطار ليشمل الأمانة بالوديعة والأمانة بالمعاملة على الاستيمان... »[2]

والحقّ أن يستقلّ كلّ حرف بمعناه، وأن لا يُصرف فعل الأمانة عن معناه الحقيقي، ولا شكّ أنّ ثمّة فرقا بين تعدية فعل الأمانة بالباء وبين تعديتها بحرف الاستعلاء، « فقولك: "آمنْتُه به" يختلف عن قولك: "آمنْتُه عليه" فقولك: "لا آمنُه عليك" معناه: لا آمنُه أن يحيف عليك أو يهجم عليك أو يتعدّى عليك وما إلى ذلك، ففيه معنى الاستعلاء والتسلّط والعُدوان.

وأمّا قولك: "لا آمنُهُ بدرهم" فمعناه: لا آمنُه من أن يتصرّف به، أو يَعبث به، لأنّ "على" تفيد الاستعلاء، و"الباء" تفيد الإلصاق، والمعنى أنّه لا يَلتصق أمْنُه بدرهم، بل سيفارقه أمانته، ويتصرّف به.

فـــ"آمنُه عليه" تستعمل للهجوم والاعتداء، و"آمنُه به" تستعمل للتصرّف ـــ كما ذكرنا ـــ تقول: لا آمَنُ عليك الذّئاب، ولا آمَنُ عليك غوائل الطريق، ولا تقول: لا آمَنُ بك الذّئاب.

(1) ـ البحر المحيط، ج2، ص524.

(2) ـ التحرير والتنوير، ج3، ص286.

ولذلك ــ والله أعلم ــ استعمل القرآن "آمَنه عليه" مع الأشخاص، و"آمَنه به" مع الأموال. فقال: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: 11]، وقال: ﴿ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ ﴾ [يوسف: 64]، وقال في الأموال: ﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ ﴾ [آل عمران: 75] لأنّ في الأُولى معنى العدوان، وفي الثانية معنى التصرّف، وإن كان يجوز أن يقال: "لا آمَنُه على هذا المال" بمعنى التسلّط عليه والاستحواذ... » [1]

وهذا التحليل ليس ببعيد عما ذكره الرازي من أنّ « معنى قولك: أمِنْتُك بدينار، أي: وثِقْتُ بك فيه، وقولك: أَمِنْتُك عليه، أي: جعلْتُك أميناً عليه وحافظاً له. » [2]

لأنّ الثّقة بالشّيء هي في باب التصرّف، كما أنّ الحَصانة والحِفاظ في باب التسلّط والاستحواذ.

كما نشرت "الباء" على هذا السّياق الْتِزام الأمانة بصاحبها، فمن آمِنْته بشيء؛ فقد ألزمته به « لأنّ اللّزوم يناسب الإلصاق، فإنّ الشّيء إذا لزِم الشيء كان ملتصقا به لا محالة. » [3]، لذا كانت أنسب لهذا المقام من "على"؛ الموحية بإلقاء الحفظ والحماية على الأمانة، واشتمال الحِصن عليها؛ كاشتمال الملبوس على لابسه، وبذلك جاء حرف الإلصاق متمكِّنا في هذا السّياق، يُوسَم بالعُجمة لو قيل: هو بمعنى غيره. والله أعلم.

الصورة الثالثة: العدول عن "عن" إلى "الباء"

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ٥٩ ﴾ [الفرقان: 58- 59].

الشّاهد في قوله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ ﴾، و لم يقل: فسأل عنه، مع أنّ "عن" مع السّؤال أشهر من "الباء".

(1) ــ معاني النّحو، ج3، ص61- 62.

(2) ــ مفاتيح الغيب، ج8، ص89.

(3) ــ كشف الأسرار، ج2، ص260.

قال الراغب: ((السّؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال... إذا كان للتعريف تَعدّى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجارّ، تقول: سألته كذا، وسألته عن كذا، وبكذا، وبـــ"عن" أكثر ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: 85] وقال: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: 1]، وإذا كان السّؤال لاستدعاء مال فإنّه يتعدّى بنفسه أو بـــ"من"، نحو: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: 53]، ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ [الممتحنة: 10]...)) [1]

ومن كلام الراغب نفهم أنّ معنى فعل السؤال يتعيّن بالحرف المعدّى به، كما حكى صاحب التاج عن ابن برّي قوله: ((سأَلْتُهُ الشَّيء، بمعنَى استعْطَيْتُهُ إيَّاه، وسألتُه عن الشَّيء: اسْتخبَرْتُهُ.)) [2]

لكن إذا ذهبْنا كتب معاجم اللّغة فإنّنا نجدها تقرّر أنّ: سألَهُ كذا، وعن كذا، وبكَذا بمعنى واحد [3]، أي استواء الفعل في الدّلالة، وهذا ما درجت عليه آراء النّحاة، والمفسّرين. [4]

واستدلّ القائلون بأنّ"الباء" في قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ ﴾ للمجاوزة، أي بمعنى "عنه"، بقول علقمة الفحل [5]:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ. [6]

قال السّيوطي: ((والبصرية أنكروا هذا المعنى، وأوّلوا الآية والبيت على أنّ المعنى: اسأل بسببه خبيراً، وبسبب النّساء لِتعْلموا حالَهنّ، أو تضمين السّؤال معنى الاعتناء والاهتمام. قالوا: ولو كانت "الباء" بمعنى "عن" لجاز أطعمته بجوع، وسقيته بعَيْمة، تريد عن جوع وعن عَيْمة.)) [7]

---

(1) ــ المفردات، ص250.

(2) ــ تاج العروس: (سأل)، ج14، 324.

(3) ــ ينظر: القاموس المحيط، ج3، ص 392، وتاج العروس: (سأل)، ج14، ص323.

(4) ــ ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص568، والأزهية، ص284، والجنى الداني، ص41، ص133، والكلّيات، ص336 والتحرير والتنوير، ج19، ص61.

(5) ــ هو علقمة بن عَبَدَة بن ناشرة بن قيس، يلقب بعلقمة الفحل، من بني تميم، شاعر جاهلي،عاصر امرئ القيس، وله معه مساجلات توفي نحو: 20 قبل الهجرة، 603م، له ديوان شعر؛ شرحه الشنتمري، انظر: الأعلام، ج4، ص247، ومعجم المؤلفين، ج6، ص294.

(6) ــ ينظر البيت في: أدب الكاتب، ص397.

(7) ــ همع الهوامع، ج2، ص338.

لكن نجد ابن هشام يُبعد كون الباء للسّببية، بقوله: ((وتأوّل البصريون ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[الفرقان: 59]، على أنّ الباء للسّببية، وزعموا أنها لا تكون بمعنى "عن" أصلاً، وفيه بُعْد، لأنّه لا يقتضي قولك: سَألتُ بسببه أنّ المجرور هو المسؤول عنه.)) (1)

أمّا الزمخشري فذهب مذهب التضمين في الفعل، فضمّن السؤال معنى الاعتناء والاهتمام، وفرّق بين الصّيغتين على ضوءه، فقال: ((الباء في به صلة "سل"، كقوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: 1]، كما تكون "عن" صلته في نحو قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: 8]، فسأل به كقوله: اهتمّ به، واعتني به، واشْتَغل به، وسأل عنه؛ كقولك: بحث عنه؛ فتّش عنه، ونقر عنه، أو صلة خبيراً وتجعل خبيراً مفعول سل، يريد: فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته، أو فسل رجلاً خبيراً به وبرحمته، أو فسل بسؤاله خبيراً؛ كقولك: رأيت به أسداً، أي برؤيته، والمعنى: إن سألته وجدته خبيراً، أو تجعله حالاً عن الهاء تريد: فسل عنه عالماً بكلّ شيء.)) (2)

ولخصّ المرادي هذه الأقوال، فقال: ((أمّا كونها بمعنى "عن" بعد السؤال فهو منقول عن الكوفيين، وتأوله الشلوبين على أنّ الباء في ذلك سببية، أي: فاسأل بسببه، وقال بعضهم: هو من باب التضمين، أي: فاعتن به، أو فاهتمّ به.)) (3)

لكن لا يمكن التسليم لرأي الكوفيين عند قولهم باستواء الحرفين في الدّلالة، لأنّ "سأل عن" ليست بمعنى "سأل بـــ"، فـــ"سَأَل عنه" معناه: بحثَ عنه(4)، أمّا سأل به في سياق الآية فمعناه: اعتنى به واهتمّ به، وهذا المعنى الأخير دلّ عليه السّياق، ولم تدلّ عليه الصّيغة اللّفظية "سأل بـــ" بدليل ورودها في قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: 1]، ولم تدلّ على معنى الاعتناء، بل دلّت على معنى الدّعاء والطّلب، قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: ((ضُمِّن "سَأَلَ"

(1) ــ مغني اللبيب، ص142.
(2) ــ الكشاف، ج3، ص294- 295، وانظر: تفسير أبي السعود، ج6، ص227.
(3) ــ الجنى الداني، ص42.
(4) ــ ينظر: معاني النحو، ج3، ص20.

معنى "دعا"، فعدّي تعديته،كأنه قيل: دعا داع بعذابٍ واقع، من قولك دعا بكذا إذا استدعى وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدّخان: 55]. » [1]

وهذا لأنّ سبب نزولها هو أنّ النّضر بن الحارث قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32] [2]، « فأنزل الله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: 1]، أي دعا بالعذاب لنفسه، وطَلَبه لها، و لم يسأل عن العذاب وموعده. » [3]

وكلّ هذا يَكشِف عن دور السّياق في إبراز المعاني وتحديدها، والعدول بين حروف الجرّ يُنبئ عن زيادة في المعنى، فـــ« الفعل المعدّى بالحروف المتعدّدة؛ لا بدّ أن لا يكون له مع كلّ حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر... » [4]

(1) ــ الكشاف، ج4، ص611.
(2) ــ المصدر نفسه، ج4، ص611.
(3) ــ معاني النحو، ج3، ص20.
(4) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص423.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "حتى"

العدول عن "إلى" إلى "حتى"

قال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر:3- 5].

اختلف النّحاة في مجرور حتّى هل هو مجرور بحتّى نفسها أو بإلى بعدها [1]؟ أكثر النّحويين على أنّ الجرّ بـــ"حتّى" نفسها، وذهب الكسائي إلى أنّ الجرّ بـــ"إلى" مقدرةً بعد حتى، والتقدير: حتّى انتهى إلى مطلع الفجر، لكن هذا القول فيه بُعد لأنّه يؤدّي إلى إبطال المعنى الوظيفي لـــ"حتّى" [2]، ولأنّ عدم التقدير أولى لأنّ القول بالتقدير يؤدّي ((إلى زيادة كثيرة، وكانت "إلى" في صلة "انتهى" لا في صلة "حتى"، وذلك خروج عن المتناولات القريبة من غير برهان ولا قرينة.)) [3]

وإذا كانت حتّى تجرّ بنفسها، فقد اختيرت عن حرف "إلى" في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ فهل يمكن أن تحلّ "إلى" محلّها في هذا السّياق ؟ أقول: إنّ "حتّى" تفارق حرف الانتهاء من عدّة وجوه:

قال المبرّد في مخالفة "إلى" لـــ"حتّى": (("حتّى" من عوامل الأسماء الخافضة لها، تقول: ضربت القوم حتّى زيد، ودخلت البلاد حتى الكوفةِ، وأكلت السّمكة حتى رأسِها؛ أي: لم أبق منها شيئاً، فعملها الخفض وتُدْخِلُ الثاني فيما دخل فيه الأول من المعنى... فلذلك خالفت "إلى"، قال الله ﷻ: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر: 5].)) [4]

ويقول المرادي مفرّقا بين الحرفين: ((إنّ مجرور "إلى" لا يلزم كونه آخر جزء أو ملاقي آخر جزء، تقول: أَكَلْت السّمكةَ إلى نصفِها، بخلاف "حتى"، وأيضا أنّ أكثر المحقّقين على أنّ "إلى" لا يدخل ما بعدها فيما قبلها بخلاف "حتى".)) [5]

---

(1) ــ ينظر تفصيل هذه المسألة في: الإنصاف، ج2، ص601، وشرح المفصّل، ج8، ص17، وارتشاف الضرب، ص1662، وهمع الهوامع، ج2، ص299.

(2) ــ ينظر: شرح المفصّل، ج8، ص17، وشرح الرضي على الكافية، ج4، ص53- 54، ومغني اللبيب، ص167.

(3) ــ الإنصاف في مسائل الخلاف، ج2، ص601.

(4) ــ المقتضب، ج2، ص37.

(5) ــ الجنى الداني، ص546.

كما وضّح الزمخشري جوهر هذا الفرق بقوله: « إنّ "حتى" مختصّة بالغاية المضروبة، تقول: أكلْت السّمكة حتى رأسِها، ولو قلتَ: حتى نصفِها، أو صدرِها: لم يَجُز، و "إلى" عامّة في كلّ غاية. »[1]

وبالتالي فإنّ "حتى" أفادت بوضعها أنّ مطلع فجر ليلة القدْر غايةً قد ضُربت لسلامتها، فما كان لذهاب هذه السّلامة دون الانتهاء إلى هذا المطلع.

وقال ابن عاشور عن سرّ اختيار "حتّى" دون "إلى": « وجيء بحرف "حتى" لإدخال الغاية لبيان أنّ ليلة القدر تمتدّ بعد مطلعِ الفجر بحيث أنّ صلاة الفجر تعتبر واقعة في تلك اللّيلة لئلا يُتوهّم أنّ نهايتها كنهاية الفِطر بآخر جزء من اللّيل، وهذا توسعة من الله في امتداد اللّيلة إلى ما بعد طلوع الفجر. »[2]

ولنفس هذا الغرض قال البقاعي: « اختير التّعبير بـــ"حتى" دون "إلى" ليفهم أنّ لما بعدها حكم ما قبلها فيكون المطلع في حكم اللّيلة. »[3]

فكلّ هذه المعاني لا يمكن التنبّه إليها إلا بدراسة أثر العدول إلى الحرف الذي آثره السّياق دون الحرف الذي يُتوهّم أنه يؤدّي وظيفته؛ لاشتراكهما في المعنى العام، والفيصل في معرفة كلّ ذلك هو السّياق القرآني.

(1) ــ الكشاف، ج4، ص361.
(2) ــ التحرير والتنوير، ج30، ص466.
(3) ــ نظم الدرر، ج8، ص493.

❖ **العدول إلى حرف الجرّ "على"**

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "على"

قال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحجر: 41]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النّحل: 9]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [اللّيل: 12]

من مقتضى ظاهر هذه الآيات يمكن أنّ تكون "على" قائمة مقام "إلى" في الدّلالة، فالصّراط المستقيم وقصد السّبيل، والهدى؛ ينتهون بالإنسان إلى الله تعالى، لكن بالنّظر إلى سياق الآيات وعُرف خطاب القرآن نجد أنّ هناك دلالة سياقية جاء بها حرف الاستعلاء مما لا يستطيع حرف الانتهاء الإتيان بها، فما هي هذه الدّلالة ؟

ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحجر: 41] يردُّ ابن القيّم ــ استناداً إلى السّياق ومقاصد القرآن ــ قولَ الكسائي المفسِّر لــ"على" في هذا السّياق على أنها للتّهديد والوعيد كما تقول: "طريقك عليّ" و "ممرّك عليّ" لِمن تريد إعلامه بأنّه غير فائتٍ لك ولا مُعجِز، فقال: ((والسّياق يأبى هذا ولا يناسبه لمن تأمّله، فإنّه قاله مُجيبا لإبليس الذي قال: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: 39-40]، فإنّه لا سبيل لي إلى إغوائهم ولا طريق لي عليهم. فقرّر الله ﷻ ذلك أتمّ التقرير وأخبر أنّ الإخلاص صراطٌ عليه مستقيم، فلا سلطان لك على عبادي الذين هم على هذا الصراط؛ لأنّه صراط عَليَّ ولا سبيل لإبليس إلى هذا الصّراط، ولا الحَوْم حول ساحته، فإنّه محروس محفوظ بالله، فلا يَصِل عدوّ الله إلى أهله... وأمّا تشبيه الكسائي له بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: 14] فلا يخفى الفرق بينهما سياقاً ودلالة فتأمّله، ولا يقال في التهديد: هذا طريقٌ مستقيم عليّ؛ لمن لا يسلُكه، وليست سبيل المهدَّد مستقيمة، فهو غير مهدّد بصراط الله المستقيم، وسبيله التي هو عليها ليست مستقيمة على الله، فلا يستقيم هذا القول البتّة.))[1]

فقول الكسائي ردّه سياق الآية والغرض المتوخّى منه، فإنّ "على" إلى معنى علوّ شأن هذا الصّراط وشأن سالكه وحفظه؛ أقرب منه إلى معنى التهديد والوعيد، وأمّا كونه بمعنى الغاية، أي: "إليّ" فيُبعد عن الخاصية السّياقية التي استأثر بها حرف الجرّ "على".

(1) ــ مدارج السالكين، ج1، ص28-29.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النّحل: 9]، قال ابن القيّم:« والصّحيح فيها كالصّحيح في آية الحجر أنّ السّبيل القاصد وهو المستقيم المعتدِل يُرجع إلى الله ويوصِل إليه... فإنْ قيل: لو أريد هذا المعنى لكان الأَلْيق به أداة "إلى" التي هي للانتهاء لا أداة "على" التي هي للوجوب... قيل: في أداة "على" سرّ لطيف؛ وهو الإشعار بكون السّالك على هذا الصّراط على هدىً وهو حقّ، كما قال في حقّ المؤمنين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ [البقرة: 5]. وقال لرسوله: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ ﴾ [النمل: 79]، والله ﷻ هو الحقّ، وصراطه حقّ، ودينه حقّ فمن استقام على صراطه فهو على الحقّ والهدى، فكان في أداة "على" على هذا المعنى ما ليس في أداة "إلى" فتأمّله فإنّه سرّ بديع. »[1]

ومن هذا الباب أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ ﴾ [اللّيل: 12]، ولم يقل: "إلينا" قال الفرّاء: « من سَلَكَ الهدى فعلى الله سبيله، ومثله قوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النحل: 9] يقول: من أراد الله فهو على السّبيل القاصد... »[2]

ويبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية سرّ التعبير بـــ"على" دون "إلى" في الآيات السّابقة بكون "على" استعملت للدّلالة الرّاشدة والصّراط المستقيم، كما استعملت في عَظَمة الغاية ورِفعة سالكها، فقال: « قال "علينا" بحرف الاستعلاء ولم يقل "إلينا" والمعروف أنْ يقال لمن يُشار إليه أنْ يقال: "هذه الطريق إلى فلان"، ولمن يمرّ به ويجتاز عليه أن يقول "طريقُنا على فلان"، وذكر هذا المعنى بحرف الاستعلاء، وهو من محاسن القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، فإنّ الخلْق كلّهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أيّ طريق سلكوا، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ ﴾ [الانشقاق: 6]، وقال: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾ [آل عمران: 28]، ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴾ [الغاشية: 25]، أيْ: إلينا مرجعهم... فأيّ سبيل سلَكها العبدُ فإلى الله مرجعه ومنتهاه، لا بدّ له من لقاء الله ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ [النّجم: 31]، وتِلْك الآيات قُصد بها أنّ سبيل الحقّ والهدى هو

(1) ــ مدارج االسالكين، ج1، ص27- 28.
(2) ــ معاني القرآن، ج3، ص271.

الصّراط المستقيم هو الذي يُسعد أصحابه، ويناولون به وَلاية الله ورحمتَه وكرامتَه؛ فيكون الله وليُّهم دون الشّيطان، وهذه سبيل من عَبَد الله وحده وأطاع رسلَه،فلهذا قال:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ [الليل: 12]،﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النحل: 9]، ﴿ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الحجر: 41]، فالهدى وقصد السَّبيل والصِّراط المستقيم إنَّما يدلُّ على عبادته وطاعته؛ لا يدلُّ على معصيته وطاعة الشّيطان فالكلام تَضَمَّن معنى "الدَّلالَة"، إذ ليس المراد ذكرَ الجزاء في الآخرة فإنّ الجزاء يَعُمُّ الخلق كلّهم، بل المقصود بيانُ ما أمر الله به من عبادته وطاعته وطاعة رسله. »[1]

ويتساءل شيخ الإسلام ثم يجيب، فقال: « ما الذي يدلّك على ذلك؟ فكأنّه قيل: الصّراط المستقيم يدلّك على الله؛ على عباده وطاعته، وذلك يبيّن أنّ مِن لغة العرب أنّهم يقولون: "هذه الطريق على فلان" إذا كانت تدلّ عليه وكان هو الغاية المقصودة بها؛ وهذا غير كونها "عليه" بمعنى أنّ صاحبها يمرّ عليه، وقد قيل:

فَهُنّ المَنَايَا أيُّ وَادٍ سَلَكْتُهُ عَلَيْهَا طَرِيقِي أَوْ عَلَيَّ طَرِيقُهَا. »[2]

وأردفَ: « فإنّ الغاية المطلوبة إذا كانت عظيمة فالسّالك يقع عليها ويرمي نفسه عليها، وأيضا فسالك طريق الله متوكّل عليه، فلا بدّ له من عبادته ومن التوكّل عليه، فإذا قيل:"عليه الطريق المستقيم" تضمّن أنّ سالكه: عليه يتوكّل، وعليه تدلّه الطريق، وعلى عبادته وطاعته يقع ويسقط لا يعدِل عن ذلك، إلى نحو ذلك من المعاني التي يدلّ عليها حرف الاستعلاء دون حرف الغاية» [3]

وبهذا تكشف دلالة السّياق عن عظمة السّبيل الموصل إلى الله، وأنّ سالكهما على الحقّ المبين وذلك بالعدول عن حرف الغاية إلى حرف الاستعلاء. وأسرار حروف القرآن تربوا على كلّ العقول.

الصورة الثانية: العدول عن "مع" إلى "على"

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة: 177]

عَدل التعبير القرآني في قوله: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ عن حرف "مع" الذي يقتضيه الظّاهر إلى حرف الاستعلاء، فكيف يؤتى المال على الحبّ ؟.

(1) ــ مجموع الفتاوى، ج15، ص213- 214.
(2) ــ المصدر نفسه، ج15، ص215.
(3) ــ المصدر نفسه، ج15، ص215- 216.

ذهب بعض اللّغويين إلى إنّ "على" في قوله: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ بمعنى "مع"، أي: آتى المالَ مع حبّه.[1]

وأشير إلى اختلاف المفسّرين في ضمير "حُبّه" على ماذا يعود، وذكروا أقوالا، لكن أكتفي بقَول الأكثرين، وهو أنّه راجع إلى المال، قال الطبري: « أعطى المال ـــ وهو له محبّ، حريصٌ على جمعه شحيحٌ به ـــ ذَوي قَرابته؛ فَوَصَلَ به أرحامهم. »[2]

قال ابن عاشور عن معنى "على": « و"على" في قوله: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ مجاز في التمكّن من حبّ المال مثل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [لقمان: 5] وهي في مثل هذا المقام للتنبيه على أبعد الأحوال من مظنّة الوصف، فلذلك تفيد مفاد كلمة "مع"، وتدلّ على معنى الاحتراس، كما هي في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان: 8]، وقول زهير[3]:

مَن يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلَّاتِه هَرِماً يَلْقَ السَّمَاحَةَ فِيهِ وَالنَّدَى خُلُقاً[4]

قال الأعلم في "شرحه" أي: فكيف به وهو على غير تلك الحالة. »[5]

لكن السّامرائي يرى أنّها على حقيقتها، فيقول عن معنى "على": « والظّاهر أنّها للاستعلاء وليست بمعنى "مع" تماما، فقوله: "على حبّه" قد يفيد أنّه مستعلٍ على حبّه، أو أنّه يؤتي المال مع انطواء قلبه على حبّه فحبّ المال في القلب، والقلب منطوٍ عليه، وهي حالة تختلف عن المصاحبة فانطواء القلب على الشّيء أشدّ من مصاحبته له. »[6]

---

(1) ـــ ينظر: الكشاف، ج1، ص243، والجنى الداني، ص476، ومغني اللبيب، ص190، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم 1، ج2، ص189.

(2) ـــ جامع البيان، ج3، ص344، وانظر: مفاتيح الغيب، ج5، ص35، وتفسير ابن كثير، ج1، ص486، وتفسير أبي السعود، ج1، ص193.

(3) ـــ هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر؛ ولد بـــ"مزينة" قرب المدينة، حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمّة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافّة، ابناه كعب وبجير شاعرين، أقام في الحاجز بنجد، إلى أن توفي سنة 13ق.هـــ، 609م، له ديوان مطبوع. انظر: الأعلام، ج3، ص52.

(4) ـــ وفي ديوانه: « إنْ تلْقَ يوماً على عِلاتِه هَرِما تَلْقَ السَّمَاحَة مِنْهُ والنَّدَى خُلُقاً ». (على علّاتِه): على قلّة مالِه، انظر: ديوان زهير، ص43.

(5) ـــ التحرير والتنوير، ج2، ص130.

(6) ـــ معاني النحو، ج3، ص43.

وهذا هو الأَولى في هذه الآية، أي حملها على حقيقتها للاستعلاء، وليست من باب المجاز، لأنّ القول بالمجاز هو حصر الدّلالة في مجرّد اللّفظ، وهذا الفهم عابه ابن القيّم عن بعض المفسّرين الذين حصروا ((الدّلالة في مجرّد ظاهر اللّفظ، دون إيمائه، وتنبيهه، وإشارته، وعُرفِه عند المخاطبين...)) [1]، وهذا المعنى نتدبّره أكثر في قول سيبويه: ((فقد يشذّ الشّيء من كلامهم عن نظائره ويستخِفُّون الشّيء في موضع ولا يستخِفُّونه في غيره... يقولون: العَمْر والعُمْر، ولا يقولون في اليمين إلا بالفتح، يقولون كلّهم: لَعَمْرُك.)) [2]

فكذلك لو قلنا بإنابة "على" عن حرف المصاحبة؛ ليس معناه تخطئة المعنى ـــ كما لو قال أحد: لَعُمْرُك ـــ وإنما استخفاف المعنى في هذا الموضع، لأنّ عرف استعمال العرب عند مجيء معنى الثّقل واللّزوم؛ الإتيان بـــ"على" لتشير باستعلائها إلى هذا المعنى.

ومنه قول العرب: فلانٌ على جلالته يقول كذا، وكأنّ المعنى: ((أنّه يَلْزمها لُزوم الرّاكب لمركوبه من قولهم: ركِبَتْه الدّيون، أي لَزمته.)) [3]

وتقول أيضا في معنى: "على رَغم أَنْفِه": فُلانٌ قُدومُه على كَثٍّ مُنْخُرِه، وفَعَلَ الشّيء على عَرْتَمَتِه ويقال: لَقيته على أوْفاضٍ: أي عَجَلَة [4]، نستشعر من وجود "على" في كلّ هذه الأقوال الفصيحة دِلالة المشقّة في الفعل، والثّقل الذي قذفته "على" على القلوب والنّفوس، ما لا يمكن للمصاحبة أن تؤدّي هذه الدّلالات.

وفي معنى ركوب حبّ المال على قلب بادِله، قال أبو قيس بن الأسلت [5]:

هلْ أَبْذُلُ المالَ على حُبِّـــهِ فِيكُمْ، وآتِي دَعْوَةَ الـــدَّاعي. [6]

---

(1) ـــ إعلام الموقعين، ج3، ص99.

(2) ـــ الكتاب، ج1، ص210.

(3) ـــ شرح الرضي، ج4، ص322.

(4) ـــ ينظر: تاج العروس، ج3، ص251، ج17، ص474، ج10، ص177

(5) ـــ هو صيفي بن عامر الأسْلت بن جشم بن وائل الأَوسي الأنصاري، أبو قيس، شاعر جاهلي، من حكمائهم،كان رأس الأوس وشاعرهم وخطيبها وقائدها في حروبها، وكان يكره الأوثان، ويبحث عن دين يَطمئنّ إليه، وُصِف له دين إبراهيم فقَبِلَه، تريّث في قَبول الدعوة الإسلامية، و مات قبل أن يُسلِم سنة 1هـــ، 622م، انظر: الأعلام، ج3، ص211.

(6) ـــ البيت في: جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، ص235.

وما أوضح ما نحن بسبيله؛ في قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: 9]، فلم يقل: عن أنفسهم، أو غير ذلك، لأنّ المعنى المتوخّى من الإيثار يندثر لو بغير "على" جاء التعبير.

إذن فمجيء "على" في سّياق الآية يُشعِر بالثّبات على الأمر[1]، ومشقّته، واستثقاله على النّفس ومكابدة الإنفاق في سبيل الله، ليحقّق البِرَّ المنشود، على حدّ قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: 92]، وهذه المعاني تجفّ إذا جاءت"مع" في السّياق نفسه الذي يحكي لنا إيتاء المال وحبّه إيّاه حُباً هو غاية في التمكّن منه، والاستعلاء على قلبه الذي فُطر على حبّ المال والحاجّة إليه، فالمشقّة النّفسية والشّح يلازم نفوس المنفقين من كسْبهم، وهذا المعنى نجده أيضا في سياق حبّ النفس للطعام، عند قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: 8] لا يمكن أن يحلّ حرف المصاحبة هنا محلّ حرف الاستعلاء الذي صوّر المعنى غايةً في البيان.

الصورة الثالثة: العدول عن "من" إلى "على"

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ ﴾ [المطففين: 1-2]

لماذا اختار السّياق القرآني حرف "على" في قوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ على حرف "مِن" الأكثر استعمالاً واشتهارا مع الفعل "اكتال" ؟

ذهب كثير من اللّغويين إلى أنّ "على" في قوله ﷻ: ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بمعنى "مِن"، أي: من النّاس. [2]

ونقل الطبري قول الفراء: ((وهما يعتقبان "على"و"مِن"؛ في هذا الموضع، لأنّه حقّ عليه؛ فإذا قال: اكتَلْتُ عليك فكأنّه قال: أخذتُ ما عليك؛ وإذا قال: اكتَلْتُ منك، فهو كقوله: استَوْفَيتُ منك.)) [3]

---

(1) ــ ينظر: الصاحبي، ص159.

(2) ــ ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص573، وحروف المعاني، ص23، ومغني اللبيب، ص191، وهمع الهوامع، ج2، ص355.

(3) ــ معاني القرآن، ج3، ص246، وانظر: جامع البيان، ج24، ص278.

لكن لا يمكن التسليم للقائلين بالتناوب، لضَعفه، ولأنّ السياق لما يعدل إلى حرف مقصود لابدّ له من خصيصة بيانية فُقِدت في غيره، أوضحها الزمخشري بقوله: « لما كان اكتيالهم من النّاس اكتيالاً يضرّهم ويُتحامل فيه عليهم: أبدل "على" مكان "مِن" للدّلالة على ذلك. »[1]

وهناك من لم يرتض التناوب، لكنّه ضمّن فعل"اكتال" معنى التحامل والاستيلاء، قال ابن عاشور: « وحقّ فعل "اكتال" أن يتعدّى إلى مفعول واحد هو المكيل، فيقال: اكتال فلان طعاماً مثل ابتاع ويعدّى إلى ما زاد على المفعول بحرف الجرّ، مثل "مِن" الابتدائية، فيقال: اكتال طعاماً من فلان، وإنما عُدّي في الآية بحرف "على" لتضمين "اكتالوا" معنى التحامل، أي: إلقاء المشقّة على الغير وظُلمه، ذلك أنّ شأن التاجر وخُلقه أن يتطلّب توفير الرّبح وأنّه مظِنّة السَّعة ووجود المال بيده، فهو يستعمل حاجة من يأتيه بالسّلعة. »[2]

وإنما دخل حرف الجرّ "على" ليؤذن أنّ الكيل على البائع للمشتري، وعُضّد هذا المعنى بزيادة التاء في "اكتالوا" على حروفه الأصلية، لأنّها « تؤذن بمعنىً زاد على معنى الكلمة، لأنّ الآخِذ للشّيء كالمبتاع والمكتال والمشتري ونحو ذلك؛ يدخل فعله من التناول، والاحتراز إلى نفسه والاحتمال إلى رحله مالا يدخل فعل المعطي والبائع. »[3]

لذلك لا ينبغي أن نجعل "على" بمعنى "مِن" « لأنّ هناك فرقا بين قولك: اكتال منه، واكتال عليه فاكتال منه لا تفيد أنّه ظلَمه حقّه، وهضمه مالَه، بخلاف اكتال عليه فإنّ فيه معنى التسلّط والاستعلاء... فهُمْ إذا أخذوا منهم، أخذوا أكثر من حقّهم، وإذا أعطوهم أعطوهم أقلّ من حقّهم ففيه إذن معنى التحكّم، والجَوْر والظّلم، وهو أبلغ من "مِن" هنا، وليست بمعنى "مِن"، ولا تفيد "مِن" هذا المعنى. »[4]

ومما يعين على نكتة اختيار حرف الاستعلاء دون غيره، هو السّياق القرآني، فقد أورد الشنقيطي عن سبب نزول هذه الآية، أنّها « نزلت في رَجل كان له مكيالان؛ كبير وصغير، إذا اكتال لنفْسه على غيره اكتال بالمكيل الكبير، وإذا كال من عنده لغيره؛ اكتال بالمكيل الصّغير. »[5]

---

(1) ــ الكشاف، ج4، ص720.

(2) ــ التحرير والتنوير، ج30، ص190-191، وانظر: تفسير أبي السعود، ج9، ص124.

(3) ــ نتائج الفكر، ص272.

(4) ــ معاني النحو، ج3، ص45.

(5) ــ أضواء البيان، ج8، ص454.

وهكذا تسموا بلاغة القرآن في براعة تصوير التسلّط على النّاس، وظُلمهم في أموالهم حين جيء بحرف الاستعلاء الذي امتزجت دلالتُه بوحي اللّوم والعتاب؛ مصوّرا معاني البَخس والاستهتار التي أُشرِبت في قلوب المطفّفين المنقِصين من حقوق النّاس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ العدول إلى حرف الجرّ "عن"

الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "عن"

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النّجم: 1- 4].

الشاهد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ عدل ـــ سبحانه ـــ عن تعدية "نطق" بالباء إلى تعديته بـــ"عن"، مع أنّ الفعل "نطق" جاء في القرآن معدّيا بالباء، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [المؤمنون: 62] وقوله ﷻ: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الجاثية: 29]، فما الأثر البلاغي وراء هذا العدول ؟

قال بعض اللّغويين إنّ "عن" هنا بمعنى "الباء"، أي: وما ينطق بالهوى. [1]، لكن بهذا القول نغيّب المعاني السّياقية لحرف الجرّ "عن" الذي يختلف في دلالته عن حرف "الباء" الدّالّ على الإلصاق، لذلك فرّق الطبري بين الحرفين قائلا عن معنى الآية: أي: ما ينطِقُ عن هواه، وقيل: بالهوى [2]، لكنّه لم يُفصح عن دقيق الفرق.

أمّا ابن عاشور فقد التمس من حرف المجاوزة معنى أوسع في النّفي، فقال: ((نفيُ النّطق عن هَوى يقتضي نفي جنس ما يَنطق به عن الاتّصاف بالصّدور عن هوى، سواء كان القرآن أو غيره من الإرشاد النّبوي بالتعليم والخطابة والموعظة والحكمة، ولكن القرآن هو المقصود لأنّه سبب هذا الردّ عليهم، واعلم أنّ تنزيهه ﷺ عن النّطق عن هوى يقتضي التنزيه عن أن يفعل أو يحكم عن هوى، لأنّ التنَزّه عن النّطق عن هوى أعظم مراتب الحكمة.)) [3]

ومنهم من ذهب إلى التضمين في الفعل فضمّن النّطق معنى الصّدور، فلذا عدّي بـــ"عن"[4] وهذا المذهب رجّحه الرضي وإن لم يصرّح بالتضمين فقال: ((والأَوْلى أنها بمعناها، والجارّ والمجرور

(1) ـ ينظر: مجاز القرآن، ج2، ص236، وحروف المعاني، ص74، والكلّيات، ص1006، معجم حروف المعاني، ج2، ص677.

(2) ـ ينظر: جامع البيان، ج22، ص498.

(3) ـ التحرير والتنوير، ج27، ص93.

(4) ـ ينظر: روح المعاني، ج27، 46.

صفة للمصدر أي: نطقا صادرا عن الهوى...كما في قولك: قلتُ هذا عن علم، أو عن جهل، أي قولا صادرا عن علم. »[1]

لكن الأَوْلى أن نقول إنّ "عن" هنا بمعناها، وفعل النّطق الأَوْلى حمله على معناه الحقيقي؛ وإنما لمّا رُكّب مع حرف المجاوزة في هذا السّياق دلّ على أصل النّطق ومحلّه وصدوره، فكانت أبلغ في النّفي.

وهذا القول يؤيّده سياق هذه الآية الذي قال فيه تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: 1-2]، وهو الشّهادة للرسّول، صلوات الله وسلامه عليه بأنّه بارّ راشد تابع للحقّ ليس بضالّ، والضّال هو: الجاهل الذي يسلُك على غير طريق بغير علم والغاوي: هو العالم بالحقّ العادِل عنه قَصدًا إلى غيره، بل هو عليه الصّلاة والسّلام، وما بعثه الله به من الشّرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسّداد.[2]، فلمّا جاء السّياق في براءة الرّسول وتنزيهه عما نُسب إليه من الضّلال والغيّ؛ عدل ـــ سبحانه ـــ عن قوله: وما ينطق بالهوى، إلى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾، لأنّ النّطق عن الهوى أبلغ في التنـــزيه، فإنّه يدلّ على أنّ نطق الرسول ﷺ لا يصدر عن هوى، فضلا عن أن ينطق به فحَمَلت هذه الصّيغة نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النّطق، ونفيه عن نفسه، وهذا يعني أنّ « المراد استمرار نفي النّطق عن الهوى، لا نفي استمرار النّطق عنه. »[3]

وبالتالي لا يمكن للباء أن تبلّغ المعنى قلوب سامعيه بالمعنى الذي أوصله حرف المجاوزة "عن" الذي أدلى بظِلال التنزيه والذّب عن صفاء الرّسالة وصاحبها، بمجاوزة الهوى عنه فضلا عن الْتصاقه به، كما أشارت "عن" بأنّ النبيّ ﷺ مبلِّغ عن ربّه وحيَه ورسالتَه، لذلك قال بعده: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النّجم: 4]ـــ والله أعلم ـــ.

(1) ـ شرح الرضي، ج4، ص321، وانظر: مغني اللبيب، ص198.
(2) ـ تفسير ابن كثير، ج7، ص442- 443.
(3) ـ تفسير أبي السعود، ج8، ص155.

الصورة الثانية: العدول عن "في" إلى "عن"

قال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ﴾ [الماعون: 4-5]

قيل إنّ "عن" في قوله تعالى: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ ﴾ بمعنى "في"، والمعنى: في صلاتهم ساهون.[1]

قال الزمخشري: ((فإن قلتَ: أيّ فرق بين قوله: "عَن صَلاتهم" وبين قولك: "في صلاتهم" ؟ قلتُ: معنى: "عن": أنهم ساهون عنها سَهْو تركٍ لها وقلّة التفات إليها؛ وذلك فعل المنافقين أو الفَسَقَة الشّطار من المسلمين، ومعنى "في": أنّ السّهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلِم.))[2]

وتابع ابن عاشور رأي الزمخشري في دلالة "عن" عن التّرك بقوله: ((وعُدّي "ساهون" بحرف "عن" لإفادة أنهم تجاوزوا إقامة صلاتهم وتركوها، ولا علاقة لهذه الآية بأحكام السّهو في الصّلاة.))[3]

لكن ابن القيّم يدلّل بذكاء ويبيّن أنّ السّهو عن الصّلاة ليس معناه الترك، فيقول: ((وليس السّهو عنها تركها، وإلا لم يكونوا مصلّين، وإنما هو السّهو عن واجبها... فإنّه سبحانه أثبت لهم صلاةً، ووصفهم بالسّهو عنها فهو السّهو عن وقتها الواجب، أو عن إخلاصها وحضورها الواجب ولذلك وصَفَهم بالرّياء، ولو كان السّهو سهو ترك لما كان هناك رياء.))[4]

ويؤيّد ما ذهب إليه ابن القيم ما رواه الخطابي عن أبي العالية أنّه سُئل عن معنى قوله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: 4]، فقال: الذي لا يدري عن كم ينصرف عن شفع أو عن وتر، فقال الحسن: مَهْ يا أبا العالية ليس هذا بل الذين سَهوْا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ ﴾. قال الخطابي[5]: ((وإنّما أُتِيَ

---

(1) ــ ينظر: البحر المديد، ج8، ص360.

(2) ــ الكشاف، ج4، ص809.

(3) ــ التحرير والتنوير، ج30، ص567.

(4) ــ مدارج السالكين، ج1، ص430.

(5) ــ هو حمد بن محمّد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان، فقيه محدّث، من أهل بست؛ من بلاد كابل، ولد سنة 319هـ من نسل زيد بن الخطاب؛ أخي عمر بن الخطاب، توفي سنة: 388هـ، له: معالم السُّنن؛ في شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن وغريب الحديث... انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ج17، ص23، والبغية، ج1، ص546.

أبو العالية في هذا من حيث لم يفرّق بين حرف "عن"و"في"، فتنبّه له الحسن فقال: ألا ترى قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾ يؤيّد أنّ السّهو الذي هو الغلط في العدد إنّما هو يعرض في الصّلاة بعد ملابستها، فلو كان هو المراد لقيل:" في صلاتهم ساهون"، فلمّا قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾ دلّ على أنّ المراد به الذّهاب عن الوقت. »(1)

قال أبو حيان عن سبب نزول هذه الآية: « ويدلّ على أنها في المنافقين؛ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: 6] وقاله ابن وهب عن مالِك، قال ابن عباس ﷺ: ولو قال: في صلاتهم؛ لكانت في المؤمنين. »(2)

ومن تَدبَّر هذا الفرق؛ فَهِم قول « عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4]، ولم يقل: في صلاتهم ساهون. »(3)

الصورة الثالثة: العدول عن "من" إلى "عن"

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى: 25].

الشاهد في قوله ﷻ: ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾، ومقتضى الظاهر أن يعدّى "قَبِلَ" بـــ"مِن"، فما حكمة إيثار "عن". ؟

قال أبو عبيدة عن قوله ﷻ: ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾، قال: أي: مِن عبيده، كقولك: أخذْته مِنك وأخذْته عنك(4) وإلى هذا ذهب كثير من النّحاة واللّغويين. (5)

ويرى الألوسي أنّ فعل "قَبِل"مضمّن أفعال أخرى يبيّنها بقوله: « والقَبول يعدّى بـــ"عن" لتضمّنه معنى الإبانة، وبـــ"مِن" لتضمُّنه معنى الأَخذ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ

(1) ــ بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص32.

(2) ــ البحر المحيط، ج8، ص518.

(3) ــ تفسير ابن كثير، ج8، ص493.

(4) ــ مجاز القرآن، ج1، ص268.

(5) ــ ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص577، والأزهية، ص278، ومغني اللبيب، ص198، وهمع الهوامع، ج2، ص360، والكليات، ص634.

﴿ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ ﴾ [التوبة: 54]، أي: تُؤخذ، وقيل: القَبول مضمّن هنا معنى التجاوز، والكلام على تقدير مضاف، أي: يقبل التوبة متجاوزا عن ذنوب عباده، وهو تكلّف. » (1)

ويرى أحد الباحثين أنّ التضمين في الفعل فيه تكلّف، وأنّ التسوية بين التركيبين لا يبرّر تفضيل القرآن الكريم لأحدهما في بعض السّياقات، وللآخَر في سِياقات أُخرى، وغنيّ عن البيان أنّ الذِّكْر الحكيم يضع الحروف في مواضعها بإتقان بديع. (2)

وهذا ما نجده عند بعض المفسّرين الذين فرّقوا بين التعبيرين، قال الزمخشري: « فمعنى قَبِلْتُه منه: أخذتُه منه، وجعلته مبدأً قَبولي ومَنشأه، ومعنى: قَبِلْته عنه: عَزلْتُه عنه، وأبَنْته عنه. » (3)

وهناك من جعل « كلمة "مِن" وكلمة "عَن" متقاربتان، إلا أنّ "عن" تفيد البعد، فإذا قيل: جلس عن يمين الأمير، أفاد أنّ جلس في ذلك الجانب، ولكن مع ضربٍ مِن البُعد، فيفيدها أنّ التائب يجب أن يعتقد في نفسه أنّه بعيد عن قَبول الله توبته بسبب ذلك الذّنب، فيحصل له انكسار العبد الذي طرده مولاه وبعده عن حضرته، فلفظة "عن" كالتنبيه على أنّه لا بدّ من حصول هذا المعنى للتائب. » (4)

قال أبو حيان: « والذي يظهر من موضوع "عن" أنها للمجاوزة، فإن قلتَ: أخذتُ العلم عن زيد فمعناه: أنّه جاوَز إليك، وإذا قلتَ: مِن زيد، دلّ على ابتداء الغاية، وأنّه ابتداء أخْذك إيّاه من زيد و"عن" أبلغ لظهور الانتقال معه، ولا يظهر مع "مِن" وكأنهم لَمَّا جاوزت توبتهم عنهم إلى الله، اتّصف هو تعالى بالتوبة عليهم. » (5)

كما فرّق ابن عاشور أيضا بين"قَبِل من" التي تفيد معنى الأخذ للشيء المقبول صادراً من المأخوذ منه و"قَبِل عن" المفيدة لمعنى مجاوزة الشيء المقبول أو انفصالِه عن معطيه وباذِلِه، وهو أشدّ مبالغةً في معنى الفعل من تعديته بحرف "من" لأنّ فيه كناية عن احتباس الشّيء المبذول عند المبذول إليه بحيث لا يُردّ على باذِلِه. (6)

---

(1) ــ روح المعاني، ج25، ص35.

(2) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص307.

(3) ــ الكشاف، ج4، ص227.

(4) ــ البحر المحيط، ج5، ص100.

(5) ــ المصدر نفسه، ج5، ص100.

(6) ــ التحرير والتنوير، ج25، ص89.

ولعلّ هذا سرّ مجيء قَبول التوبة في القرآن مع حرف المجاوزة دون حرف الابتداء، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: 104]، وقال ﷻ: ﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ [الأحقاف: 15- 16].

فالتوبة هي رجوع عن المعاصي، وقَبولها هو الانتقال بهم عن حال الذّنوب إلى التجاوز عنها إشارة إلى تمكّن القَبول عن التائب، ومجاوزة توبة العبد عنه إلى أرحم الراحمين وملاذ التائبين، وما يؤكّد سلامة هذا التجاوز؛ هو العفو عن السّيئات بسبب التوبة، ومعناه أن " يقبل التوبة في المستقبل، ويعفو عن السّيئات في الماضي "[1]، وكأنّ الله ــ تعالى ــ عزل العمل الصالح عن السّيء، والطيّب عن الخبيث وكلّ هذه اللّطائف تتناسب وحرف المجاوزة "عن" في سياق هذه الآية، التي صوّرت معنى قَبول التوبة والتجاوز عن صاحبها ما لا يمكن أن تدليه "مِن" بهذه المعاني وبنفس الإيحاءات. والله أعلم.

(1) ــ تفسير ابن كثير، ج7، ص205.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "في"

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "في"

المقطع الأول: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [آل عمران: 175- 176].

مما اشتهر عن فعل سارع أنّه يتعدّى بـــ"إلى" وليس بـــ"في"، فما الوجه الذي أوثر به هذا الحرف عن الحرف الشّهير.؟

قال أبو السّعود عن كيفية المسارعة في الكفر: ((يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه، وشدّة رغبتهم فيه وإيثار كلمة "في" على ما وقع في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ [آل عمران: 133] للإشعار باستقرارهم في الكفر، ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المؤمنون: 61]، فإنّ ذلك مُؤذن بملابستهم للخيرات، وتقلّبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها.))[1]

أمّا ابن عاشور فعدّ هذا من باب الاستعارة التمثيلية؛ فقال: ((شُبِّه حال حرصهم وجدّهم في تكفير النّاس وإدخال الشكّ على المؤمنين وتربّصهم الدّوائر وانتهازهم الفرص؛ بحال الطّالب المسارع إلى تحصيل شيء يخشى أن يفوته، وهو متوغّل فيه متلبّس به، فلذلك عُدِّي بـــ"في" الدّالة على سرعتهم سرعة الطّالب التّمكين، لا طالب الحُصول، إذ هو حاصل عندهم، ولو عُدِّي بـــ"إلى" لفُهم منه أنّهم لم يكفروا عند المسارعة.))[2]

كان النّبيّ ﷺ حريصا على الخَلْق، مجتهدا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [آل عمران: 176] الذي تمكّن منهم، لأنّ المسارعة دلّت على أنّ الكفر قد ملأ أبدانهم ونفوسهم وأرواحهم، فلا تُبالهم، ولا تحفِلْ بهم، إنما يضرّون ويسعَون في ضرر أنفسهم.

---

(1) ــ تفسير أبي السعود، ج2، ص115، وانظر: روح المعاني، ج4، ص132.

(2) ــ التحرير والتنوير، ج4، ص173.

يريد الله ﷻ أن لا يجعل للذين يسارعون في الكفر نصيبًا في ثواب الآخرة، فلذلك خَذَلهم؛ فسارعوا فيه. (1)

وهذا شأن عرف القرآن في استعمال "سارع" مع حرف الظرفية المشعِر بقرار الفعل وثباته ودوام أهله عليه، فكلّ سياقاته في القرآن دلّت على ذلك، قال تعالى في سياق الكفّار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [المائدة 41]، وقال: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ ﴾ [المائدة: 52]، « وإيثار كلمة "في" على كلمة "إلى" للدّلالة على أنّهم مستقرّون في الموالاة، وإنّما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها... لا أنهم خارجون عنها متوجّهون إليها. » (2)

وقال ﷻ في الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [الأنبياء: 90]، وعن المؤمنين الصادقين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [المؤمنون: 61] لأنّهم « يبادرون في وجوه الخيرات معْ ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير، وهو السرّ في إيثار كلمة "في" على كلمة "إلى" المشْعِرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجّهين إليها. » (3)

إذن أقول: إنّ تفسير معنى الظّرفية بمعنى "إلى" في هذا السّياق لا يتوقّف عند عدم المناسبة، بل يتعدّاه إلى إيهام خلاف المقصود ـــ كما أشرنا ـــ، وفي العدول عن الأحرف التي يقتضيها الظاهر إلى الأحرف المذكورة في السّياق معانٍ منشودة؛ تزول بزوال معنى الإيثار، والتخيّر؛ للفصاحة والإبلاغ.

(1) ـ ينظر: جامع البيان، ج7، ص419.
(2) ـ تفسير أبي السعود، ج3، ص48.
(3) ـ المصدر نفسه، ج6، ص83.

المقطع الثاني: **قال تعالى:** ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ [إبراهيم: 9].

وَرَدَ في هذا الموضع الفعل "ردّ" معدّيا بـــ"في" وهو الموضع الوحيد في القرآن الكريم، لأنّ المشهور هو تعديته بـــ"إلى" [1]، فكيف عدل إلى حرف الظّرفية في هذا السّياق ؟

اختلف المفسّرون في معنى قوله تعالى: ﴿ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ومناسبة مجيء الظّرفية في غير شهرة استعمال فحَكَوْا أقوالا [2] كثيرة نذكر منها: أي: عضّوا عليها تغيُّظًا، ومنها: أن يجعل إصْبعه في فيه ومنها: ردُّوا عليهم قولهم و كذّبوهم، وقيل: جعلوا أيدي أنفسهم في أفواه الرّسل ردًّا لقولهم.

والأشبه بالصّواب عند الطبري هو: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعضُّوا عليها، غيظاً على الرُّسل كما وَصف الله جلّ وعزّ به إخوانهم من المنافقين، فقال: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: 119]. [3]

وكثير من اللّغويين لجـــأ إلى تناوب حرفَي الجرّ، فقالوا إنّ "في" هنا بمعنى "إلى" أي: إلى أفواههم. [4]

وهي عند ابن عاشور للظّرفية المجازية بمعنى "على"، والمعنى: جعلوا أيديهم على أفواههم. [5]

وقيل إنّ "في" بمعنى "الباء" أي: بأفواههم، والمعنى: كذّبوهم بأفواههم، يقال: جلستُ في البيت وبالبيت. [6]

---

(1) ــ ينظر لذلك مثلا: [البقرة: 85]، و[النّساء: 91]، و[الأنعام: 62]، و[التوبة: 64]، و[النّحل: 70]، و[الكهف: 87]...

(2) ــ ينظر: جامع البيان، ج16، ص530، والكشاف، ج2، ص509، والبحر المحيط، ج5، ص387، وأضواء البيان ج2، ص242.

(3) ــ ينظر: جامع البيان، ج16، ص530- 536.

(4) ــ ينظر: الأزهية، ص271، والعوامل المائة النحوية، ص113، والجنى الداني، ص252، ومغني اللّبيب، ص225، ومعجم حروف المعاني، ج2، ص766.

(5) ــ التحرير والتنوير، ج13، ص197، وانظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج1، ص201.

(6) ــ ينظر: البحر المحيط، ج5، ص398.

وقال الفراء: ((قد وجدْنا من العرب من يجعل "في" موضع الباء، فيقول: "أدخلَكَ الله بالجنَّة" يريد: في الجنّة، وأنشدني بعضهم:

وَأَرْغَبُ فِيهَا مِنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنّي عَنْ سِنْبِس لَسْتُ أَرْغَبُ

فقال: أرغب فيها يعني بنتاً له، أي: إني أرغب بها عن لقيط. [1]

وقد أثبت أبو عبيدة هذا من باب ضرب الْمَثَل: يقال: ردّ يده في فَمِه، أي: أمْسَك؛ إذا لم يُجبْ [2] لكن الطّبري ردّ هذا القول [3]، بدليل أنّهم أجابوا بالتكذيب، و قالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [إبراهيم: 9].

أمّا الزمخشري فأعطى تأويلا آخر، واعتبره قولا قويّا، وهو أنّهم ((أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به مِن قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [إبراهيم: 9] أي: هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره، إقناطاً لهم من التّصديق، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [إبراهيم: 9]...)) [4]

لكن هذه الأقوال لم تبيّن سرّ العدول إلى حرف "في" دون الحرف المشهور، قال ابن جني: ((فإذا كانت الألفاظ أدلّة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به، وكذلك إن انحُرِف به عن سَمْته وهِدْيَتِه[5] كان ذلك دليلا على حادِث متجدّد له، وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائدا فيه لا منتقصا منه...)) [6]، فالانحراف عن السّمت هو عدول اللّفظ عن الأكثر استعمالاً، وقد رجّح ابن جني أن يكون إلى زيادةٍ في المعنى أقرب منه إلى نقصانها. وبالتالي فالظّاهر ــ والله أعلم ــ أنّ استعمال "في" إشارة إلى التمكّن من فعل الردّ حتى أصبحت أفواههم كالوعاء المتضمّن للشيء، وما يكون للأيدي من العضّ الشّديد لامتلاء قلوبهم من الغَيظ على رُسُل الله

(1) ــ ينظر: معاني القرآن، ج2، ص70.
(2) ــ مجاز القرآن، ج1، ص336.
(3) ــ ينظر: جامع البيان، ج16، ص535.
(4) ــ الكشاف، ج2، ص510.
(5) ــ "هِدْيَتِه" بمعنى: سَمْته، وطريقته، وقصْده، وسيرته، انظر: اللسان: (هدي)، ج8، ص775-776.
(6) ــ الخصائص، ج3، ص268.

وهذا مناسب للسّياق الذي يحكي دأب الكَفَرة الأُوَل من شدّة صدّهم وكفرهم بما جاء به رسل الله.

ولأنّ "في" تأتي للتمكّن في الشّيء إيماءً بتمكّن الشّيء المقصود، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الأعراف: 49]، فلم تأت "على" وَفق مقتضى ظاهر الاستعمال، لأنّها فقدت معنى التمكّن والقرار الذي صحبته "في" في هذا السّياق الوارد في تمكّن النّدم والخيبة والخسران التي سَقطت في أيدي بني إسرائيل، يقال لكلّ من ندم وعجز عن شيء ونحو ذلك: سُقط في يد فلان[1]، « على معنى التّشبيه بالأسير الذي تكتّف يداه، فكأنّ صاحب هذه الحال يستأسِر ويقع ظهور الغَلَبة عليه في يده. »[2]

ولهذا التمكّن لـــ"في" قال نوح عن قومه: ﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴾ [نوح: 7]، لتمكّن معنى سدّ الأذن لعدم السّماع. لذا فإنّ العدول إلى حرف الظرفية أشار إلى شدّة العضّ المتمكّن في أفواههم تبعاً للغيظ المتمكّن في قلوبهم، ما لا يمكن بحال أن يعوّضه حرف الغاية الجافّ من معنى الشدّة.

المقطع الثالث: قال تعالى: ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء: 92- 93]

عدل النّظم الحكيم عن حرف "إلى" في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ إلى حرف الظّرفية ومقتضى الظّاهر أن يقال: "أو ترقى إلى السّماء".

قال الفراء: « المعنى: إلى السّماء، غير أنّ جوازه أنهم قالوا: أو تضع سُلَّما فتَرقَى عَلَيْه إلى السّماء، فذهبَتْ "في" إلى السُلَّم. »[3]

(1) ــ مجاز القرآن، ج1، ص228.

(2) ــ المحرر الوجيز، ج2، ص456، وانظر: مفاتيح الغيب، ج15، ص9، والبحر المحيط، ج4، ص392.

(3) ــ معاني القرآن، ج2، ص131.

قال الطّبري عن هذه الآية: ((يعني: أو تصعد في درج إلى السّماء، وإنما قيل: في السّماء، وإنما يرقى إليها لا فيها، لأنّ القوم قالوا: أو ترقى في سلّم إلى السّماء، فأدخلت "في" في الكلام ليدلّ على معنى الكلام يقال: رَقِيت في السلّم، فأنا أرقَى رَقيا ورِقيا ورُقيا، كما قال الشاعر:

أَنْتَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي رَقْيَ الدَّرَج عَلَى الكَلالِ والمَشِيبِ والعَرَجِ. [1])) [2]

وقال ابن عاشور: ((وإنما عُدّي "ترقى في السّماء" بحرف "في" الظّرفية للإشارة إلى أنّ الرّقي تدرّج في السّماوات كمن يصعَد في المرقاة، والسلّم.)) [3]

لذلك أقول إنّ التعبير بـــ"في" دون "إلى" هو لمشاكلة قولهم، وهذا لما جاء في حديث طويل وفيه أنّ رسول الله ﷺ كان مع عبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمّته ((فقال: يا محمّد، عرض عليك قومك ما عرضوا، فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله، فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أؤمن بك أبدًا حتى تتّخذ إلى السّماء سلّمًا، ثمّ ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة، معك أربعة من الملائكة يشهدون أنّك كما تقول: وايمُ الله، لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدّقك...)) [4]

وقوله تعالى بعدها: ﴿ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ ﴾ [الإسراء: 93] فيه دليل على أنّ رقي السّماء لم يكن مُنتهى غايتهم، لأنّ معنى هذه الآية ((أنّه لو رقى في السّماء لكذّبوا أعينهم حتّى يرسل إليهم كتاباً يرونه نازلاً من السّماء.)) [5] بل أرادوا الصّعود في سلّم إلى السّماء درجة درجة، وهم ينظرون إليه صاعداً [6]، كما قال ابن أميّة: "وأنا أنظر حتى تأتيها" كما أنّ قوله تعالى: ﴿ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام : 35]، إشارة إلى قولهم: ﴿ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ [الإسراء: 93] [7]

---

(1) ــ البيت في اللسان: (رقي)، و لم ينسبه إلى قائله، انظر: اللسان، ج8، ص310.

(2) ــ جامع البيان، ج17، ص554.

(3) ــ التحرير والتنوير، ج15، ص210.

(4) ــ تفسير ابن كثير، ج5، ص119.

(5) ــ التحرير والتنوير، ج15، ص210.

(6) ــ ينظر: نظم الدرر، ج4، ص426.

(7) ــ البحر المحيط، ج4، ص119.

وبالتالي فإنّ حرف الجرّ "في" أبلغ في المعنى لهذا السّياق من معنى حرف الانتهاء.

الصورة الثانية: العدول عن "الباء" إلى "في"

قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشّورى: 11]

الذّرْء: إظهار الله تعالى ما أبداه، يقال ذرأ الله الخلق أي: أوجد أشخاصهم. [1]، وقال ابن عطية في هذه الآية: إنّ" لفظة ذَرَأَ تزيد على لفظة خَلَقَ معنى آخر ليس في خَلَقَ، وهو توالي الطّبقات على مرّ الزّمان." [2]

ومعنى قوله: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾ أي: " في ذلك الخلق على هذه الصّفة لا يزال يذرؤكم فيه؛ ذكورا وإناثا خلقا من بعد خلق، وجيلا بعد جيل، ونسلا بعد نسل، من النّاس والأنعام. " [3]

قال ابن عطية: " وقوله: "فيه" الضّمير عائد على الجعل الذي يتضمّنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمۡ﴾ وهذا كما تقول: كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه. " [4]

وعلى هذا الأساس فمقتضى الظّاهر أن يقال: يذرؤكم به، أي: بذلك الجعل، فكيف عدل القرآن إلى حرف الجرّ "في" في قوله: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾ ؟

ذهب جمع من علماء العربية إلى أنّ معنى: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾، أي: يَذْرَؤُكم به. [5]

وقال ابن هشام ليست بمعنى الباء " بل هي للتعليل أي: يكثّركم بسبب هذا الجعل. " [6]

أمّا الزمخشري، فكان حسّه أرهف وذوقه أسلم في إيضاح نكتة هذا العدول، قال: " فإن قلتَ: ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير ؟ وهلا قيل: "يذْرَؤُكم به" ؟ قلتُ: جعل هذا التّدبير كالمنبع

---

(1) ــ المفردات، ص178.

(2) ــ المحرر الوجيز، ج5، ص28.

(3) ــ تفسير ابن كثير، ج7، ص194.

(4) ــ المحرر الوجيز، ج5، ص28.

(5) ــ ينظر: معاني القرآن، ج3، ص22، والجنى الداني، ص251، والكليات، ص1077.

(6) ــ مغني اللبيب، ص224، وانظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص779.

والمعدِن للبثّ والتّكثير، ألا تراك تقول: للحيوان في خلق الأزواج تكثير، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: 179]. »[1]

والأَوْلى: أنّ "في" ليست بمعنى "الباء"، وإن بدت في الظّاهر أنّها بمعناها، كما قال ابن عطية: « ولَفْظة "في" مشتركة على معانٍ وإن كان أصلها الوعاء، وإليه يردّها النّظر في كلّ وجه. »[2]

وهذا ما ذهب إليه ابن القيّم، لكن على مذهب التّضمين في الفعل، فقال عن هذه الآيـــة: « والمعنى: يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر: من جعله لكم أزواجا، فإنّ سبب خلْقنا وخلْق الحيوان: بالأزواج والضّمير في قوله: "فيه" يرجع إلى الجعل؟، ومعنى "الذَّرْء" الخلق، وهو هنا الخلق الكثير، فهو خلق وتكثير، فقيل "في" بمعنى "الباء" أي: يكثّركم بذلك؛ وهذا قول الكوفيين والصّحيح أنها على بابها والفعل تضمّن معنى "يُنشئكم"، وهو يتعدّى بـــ"في" كما قال تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: 61]. »[3]

وقال ابن عاشور: « وحرف "في" مستعار لمعنى السّببية، تشبيهاً للسّبب بالظّرف في احتوائه على مسبّباته كاحتواء المنبع على مائِه، والمعدِن على ترابه. »[4]

وقيل عن حكمة هذا العدول أنّه: « لمـــا كان الأزواج في غاية المحبّة للزّواج، بحيث إنّه مُسْتول على القلوب كان كأنّه محيط بهم، فقال: "فيه" أي في ذلك التزاوج، بحيث يجعلكم مولَعين به »[5]

وبالنّظر إلى السّياق، الذي جاء لتقرير محلّ التكثير والإنشاء على مرّ الزّمان، نجد أنّ "في" على حقيقتها، أي: يخْلُقُكم ويكثّركم في الجعل [6]، ولما كانت الباء مشعرة بالإعانة على الذّرء، ولما تقرّر في الأوهام وثبت في كثير من الأذهان أنه لا يكون شيء إلا بسبب التّزاوج كان ربما سرى

(1) ــ الكشاف، ج4، ص217.
(2) ــ المحرر الوجيز، ج5، ص28.
(3) ــ مدارج السالكين، ج2، ص449.
(4) ــ التحرير والتنوير، ج25، ص45.
(5) ــ نظم الدرر، ج6، ص606.
(6) ــ ينظر: البحر المحيط، ج7، ص488.

شيء من هذا الوهم في حقّ الخالق سبحانه، فنفاه بأبلغ وجه، فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]. (1)

الصورة الثالثة: العدول عن "على" إلى "في"

قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه: 71].

لم يأت التّركيب: "ولأصلّبنّكم على" وَفق مقتضى الظّاهر، بل عدل فيه إلى حرف الظّرفية "في"، فما الأثر البلاغي وراء هذا التركيب ؟

ذهب جمع من علماء العربية إلى أنّ "في" عند قوله تعالى: ﴿ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ بمعنى "على" (2)، وقيل ليست بمعناها، « والذي يقال في المشهور: إنّ "في" بمعنى "على" فضعيف. » (3)

ورأى بعض البيانيين(4) أنّ هذا التركيب على طريقة الاستعارة التبعيّة، فاستعير حرف الجرّ "في" "في" للدّلالة به على معنى حرف الجرّ "على"، فذهبوا مذهب المجاز والتشبيه.

قال الزمخشري: « شبّه تَمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه، فلذلك قيل: ﴿ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: 71]. » (5)

ومنهم من ذهب إلى أنّ الأقرب أن يكون الكلام جاريا على طريقة التضمين، وهو تضمين "لأصلّبنّكم" معنى فعل آخر يتعدّى بحرف الجرّ "في" فعُدّي تعديته، « وأصل الكلام: لأُصلّبنّكم على جذوع النّخل ولأُثبتنّكم فيها بالمسامير التي تدخل في الجذوع، فنابت التعدية بحرف الجرّ "في" مناب ذكر الفعل الذي حُذف، وضمّن الفعل المذكور معناه. » (6)

---

(1) ــ ينظر: نظم الدرر، ج6، ص606.

(2) ــ ينظر: مجاز القرآن، ج2، ص23، وأدب الكاتب، ص394، والمقتضب، ج2، ص318، وحروف المعاني، ص12، ومغني اللبيب، ص224.

(3) ــ مفاتيح الغيب، ج22، ص76.

(4) ــ ينظر: روح المعاني، ج16، ص232، والتحرير والتنوير، ج16، ص265، والبحر المديد، ج4، ص289.

(5) ــ الكشاف، ج3، ص78.

(6) ــ البلاغة العربية، ج2، ص239، وانظر: مغني اللبيب، ص151.

ونقل ابن فارس جواز حمل "في" على حقيقتها، من قول بعضهم: لأنّ الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور، فلذلك جاز أن يقال فيه هذا، وأنشدوا [1]:

وهُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ، فَلَا عَطَسَت شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا [2]

لكن لم يبيّن ـــ برأيه ـــ مدى صحّة هذا القول.

قال الفراء: « يصلح "على" في موضع "في"، وإنما صَلحت "في" لأنّه يرفع في الخشبة في طولها فصَلحت "في" وصلحت "على" لأنّه يُرفع فيهَا فيصير عليها... » [3]

ولعلّ هذا من باب اقتراب معانيهما في سياقات معيّنة، أمّا مطلقا فلا يمكن قبوله، وقول الفراء قريب من قول الزمخشري في معنى الحرفين؛ عند قوله ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر: 80]، وقوله تعالى قبلها: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [هود: 40] قال: « معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء: كلاهما مستقيم، لأنّ الفُلْك وعاء لمن يكون فيها حَمولة له يستعليها، فلمّا صحّ المعنيان صحّت العبارتان. » [4]

وقال ابن عطية عن هذا التركيب هو « اتّساع من حيث هو مربوط في الجذع، وليست على حدّ قولك: ركِبْت على الفَرس. » [5]، وكلامه يوحي بأنّ "إلى" في هذا السّياق ليست بمعنى "على"؛ الدّالة على الاستعلاء، وأثبت المعنى من طريق الاتّساع الذي هو إثبات المعاني بالألفاظ المعدولة عن أصول استعمالها ـــ وَفق لسان العرب ـــ لتحقّق أغراض بلاغية يُفْصِح عنها السّياق وهذا ـــ برأيي ـــ أقرب إلى الصّواب لأنّه إثبات للمعنى من غير تأويل اللّفظ، ودون اللّجوء إلى القول بتناوب حروف الجرّ.

(1) ـ البيت في اللسان: (عبد)، ج2، ص665، وهو لسويد ابن أبي كاهل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام.

(2) ـ ينظر: أدب الكاتب، ص394، وحروف المعاني، ص12، والصاحبي في فقه اللغة، ص161، والخصائص، ج2، ص313.

(3) ـ معاني القرآن، ج2، ص186.

(4) ـ الكشاف، ج4، ص186.

(5) ـ المحرر الوجيز، ج4، ص53.

ومـــنهم من خرّج العدول بأنّ الظرفية أشعرت هنا بطول الأَمَد « وإيثار كلمة "في" للدّلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار الظّرف في المظروف المشتمِل عليه. »[1]

ولخّص أبو حيان الوجوه دون ترجيح؛ بقوله: « ولما كان الجذع مقرّاً للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عُدِّيَ الفعل بـــ"في" التي للوعاء، وقيل "في" بمعنى "على"، وقيل: نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله فصار ظرفاً لهم حقيقةً حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً. »[2]

لكن هذه الأقوال حاولت تبرير هذه التعدية، وهي في حقيقتها استعمال عربي فصيح[3]؛ ينبئ عن اتّساع وشجاعة في التعبير، تختزل معها معان ثوان؛ ينشرها السّياق، وهي تجسّد معنى الإيجاز في التعبير، ففي هذا السّياق لم تستطع "على" أن تصوّر الزّفرة التي لَفَظَتْها أنفاس فرعون لَمّا رأى قومَه خرّوا سجّدا لربّ الأرض والسّماء، وصدّقوا موسى عليه السلام، وهو أشدّ ما يكون غضبا، مع نكْث أعقاب المناظرة بعدما فتَحَ بابها، زيادةً إلى عدم استئذانه للإيمان، فكانت الظّرفية أبلغ في هذا السّياق، قال الزركشي: « ولم يقلْ "على" كما ظنّ بعضهم، لأنّ "على" للاستعلاء، والمصلوب لا يُجعل على رؤوس النّخل، وإنما يُصلب في وسطها، فكانت "في" أحسن من "على" »[4]،كما أوحت "في" بقهره، وما أَلِفَه وضَرِيَ به من تعذيب النّاس بأنواع العذاب حتى كأنّ الصَّلب لم يتجاوز الجِذع من تمكينه وشدّته.

(1) ــ تفسير أبي السعود، ج6، ص26.
(2) ــ البحر المحيط، ج6، ص242- 243.
(3) ــ ينظر: أضواء البيان، ج4، ص64.
(4) ــ البرهان، ج4، ص176.

❖ العدول إلى حرف الجرّ "اللام"

الصورة الأولى: العدول عن "على" إلى "اللام"

المقطع الأول: قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: 64- 65]

نلحظ في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ تعدية الفعل باللام، ومن المشهور في فعل الصّبر والاصطبار تعديته بـــ"على" [1]، وليس باللام، فما الأثر وراء العدول إلى حرف اللام ؟

أحسن ما قيل في الصّبر هو: تجرُّع المرارة من غير تعبّس. والمصطبِر: هو المكتسِب الصّبر المليء به [2]، وإذا عُرف هذا، فكيف يكون الاصطبار لعبادة الله ؟

قيل إنّ "اللام" في قوله: ﴿ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ بمعنى "على"، أي: على عبادته. [3]، ولا معنى للعدول إذن.

وذهب كثير من البيانيين[4] إلى القول بتضمين الاصطبار معنى الثّبات، لذلك عدّي باللام، قال الزمخشري: ((فإن قلتَ: هلا عُدّي "اصطبر"بـــ "على" التي هي صلته، كقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه 132] ؟ قلتُ: لأنّ العبادة جُعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك، أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته، أريد أنّ العبادة تورد عليك

(1) ــ ينظر لذلك مثلا: [طه: 130]، و[طه: 132]، و[لقمان: 17]، و[ق: 39]، و[المزمل: 10].

(2) ــ ينظر: مدارج السالكين، ج1، ص556- 557.

(3) ــ ينظر: معجم حروف المعاني، ج2، ص854.

(4) ــ ينظر: مفاتيح الغيب، ج21، ص205، والبحر المحيط، ج6، ص193، وتفسير أبي السعود، ج5، ص274، والتحرير والتنوير، ج16، ص142.

شدائد ومشاقّ فاثبُت لها ولا تَهِن، ولا يضِق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحي عليك مُدّة، وشماتة المشركين بك. » [1]

وقال ابن عاشور: «...لما أمر الله رسولَه بالصّبر على العبادة كلّها وفيها أصناف جمّة تحتاج إلى ثبات العزيمة؛ نُزِّل القائم بالعبادة مَنزلة المغالب لنفسه، فعُدّي الفعل باللاّم، كما يُقال: اثْبُت لعُدَاتك. » [2]

وقيل غير التضمين وهو أنّه « لما أضيفت العبادة إلى ضمير يعود على الله ﷻ، عَدل النصّ الحكيم عن حرف الاستعلاء واستخدم حرف الاختصاص؛ لأنّ عبادة الله يناسبها الاصطبار لها أي: لأجلها، وليس الاصطبار عليها. » [3]

وإذا نظرنا في سياق الآية لأدركنا مناسبة العدول إلى اللام؛ الدّالة على الاختصاص، وذلك لأنّ الآية جاءت لتنفي عن المخلوق أن يكون مشابها ومماثلا للخالق؛ بحيث يستحقّ العبادة والتعظيم قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ ﴾ [مريم: 64-65]، علّل إحاطة علمه، وعدم نسيانه، بأنه ربّ السموات والأرض وما بينهما، وهو برهان قاطع على علمه الشّامل، إذن فاعبده، أي: فالزم طاعته، وذلّ لأمره ونهيه، وخصّه بالعبادة دون كلّ ما سواه، ولمعنى اختصاص الله تعالى بالعبادة؛ قال بعدها: ﴿ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: 65]، لا أحد يعلم للربّ مثلا، أو شبيها، فهذا برهان قاطع على أنّ الله هو المستحقّ لإفراده بالعبودية، فلهذا أمر بعبادته وحده والاصطبار لها، وعلّل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى [4]، فمناسبة الاختصاص واضحة لهذا السّياق حاكيةً بذلك معنى التّوحيد الخالص، ولهذه المعاني ـــ والله أعلم ـــ جيء بالصّبر مقترنا باللام؛ في قوله تعالى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدّثر: 7]، وقوله ﷻ: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم: 48].

(1) ـ الكشاف، ج3، ص32، وانظر: مفاتيح الغيب، ج21، ص205.
(2) ـ التحرير والتنوير، ج16، ص142- 143.
(3) ـ القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج2، ص73.
(4) ـ ينظر: جامع البيان، ج18، ص266، وتفسير السعدي، ص498.

ولعلّ هذا الصّبر هو من باب الصّبر لله تعالى، الذي جعله ابن القيّم من أعلى درجات الصّبر فإنّ الصبر لله متعلّق بإلهيته، ولأنّ الصّبر له عبادة، والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها، والصّبر له منزلة الرّسل والأنبياء والصدّيقين، ولأنّ الصّبر له؛ صبرٌ فيما هو حقّ له، محبوب له، مرضيّ له. (1)

المقطع الثاني: قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنبياء: 51- 53].

لم يقل سبحانه: "عليها عاكفون" على مقتضى الظاهر، بل عدل إلى اللام في قوله تعالى: ﴿ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾، واختلفت أقوال العلماء معنى اللام وهل هي للصّلة، أم لغير الصّلة.

من المفسّرين من قال إنّ "اللام" في قوله: ﴿ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ بمعنى "على"، أي: عليها عاكفون. (2)

لكن الزمخشري يرى أنّ اللام ليست للصّلة؛ لأنّ عكف يُعدّى بـــ"على" وليست باللام، فقال: « لم ينوِ للعاكفين مفعولاً، وأجراه مجرى ما لا يتعدّى، كقولك: فاعلون العكوف لها أو واقفون لها. فإن قلتَ: هلا قيل: "عليها عاكفون" كقوله تعالى: ﴿ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ [الأعراف: 138]؟ قلتُ: لو قصد التّعدية لعدّاه بصِلَتِه التي هي: "على". » (3)

وقيل: اللام في "لها" للبيان، فهي متعلّقة بمحذوف كما في قوله تعالى: ﴿ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف 43]. (4)

ومن المفسّرين من حكى التعدية، وضمّن: "عاكفون" معنى العبادة، فلذلك عدّي باللام لإفادة ملازمة عبادتها. (5)

وقال أبو حيان بعد ما أورد بعض الأقوال: « والظّاهر أنّ اللام في "لَها" لام التعليل أي لتعظيمها، وصلة "عَاكفُون" محذوفة أي: على عبادتها. » (1)

---

(1) ــ ينظر: مدارج السالكين، ج1، ص565- 566.

(2) ــ ينظر: البحر المحيط، ج6، ص299، وروح المعاني، ج17، ص59.

(3) ــ الكشاف، ج3، ص122.

(4) ــ روح المعاني، ج17، ص856.

(5) ــ ينظر: تفسير أبي السعود، ج6، ص72، والتحرير والتنوير، ج17، ص95، ومعجم حروف المعاني، ج2، ص880.

لكن بالنّظر إلى عُرف القرآن في العكوف نجد أنّه للعبادة، فلا داعي إذن للتضمين، لكن عُبّر عن العبادة بالعكوف " الذي هو عبارةٌ عن اللّزوم والاستمرار على الشّيء لغرض من الأغراض قصداً إلى تحقيرها وإذلالها، وتوبيخاً لهم على إجلالها "[2]، ولدلالة إقامتهم على عبادتها وخدمتها، وتكون حينئذٍ اللام في "لها" للاختصاص.[3]

وسياق الآية جاء في إنكار إبراهيم لتعلّق أبيه وقومه بغير الله، ودعوتهم إلى توحيد الله في عبادته وحده لا شريك له وبيان ضلالهم وشركهم، فيقول لهم: فإيّاه فاعبدوا؛ لا هذه التماثيل التي هي خَلْقه التي لا تنفع ولا تضرّ، فجاء قوله: "لها كاعفون" ليبيّن اختصاص عبادتهم لأصنامهم والخضوع لها ظاهرا وباطنا ليس الملازمة الظّاهرة فقط؛ كما يُتوهّم من صيغة: "عَكف على" ولأنّه سألهم عن سبب ملازمة عبادتها، وبأيّ معنى استحقّت منكم هذا الاختصاص، فأجابوا بغير حجّة؛ جوابَ العاجز، الذي ليس بيده أدنى شبهة: ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 52]، كما جاءت هذه العبودية صريحة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الشّعراء: 69-71].

المقطع الثالث: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة: 90- 91].

عدّ الراغب هذه الآية من باب قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ [الواقعة: 25-26]، فهو سلام لا يكون لهم بالقول فقط، بل ذلك بالقول والفعل جميعا.[4]

اختلف المفسّرون في قوله تعالى: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ ﴾ ، هل هو سلام تحيّة، أم سلام بمعنى السلامة والنّجاة.

---

(1) ــ البحر المحيط، ج6، ص299.

(2) ــ تفسير أبي السعود، ج6، ص72، وانظر: روح المعاني، ج17، ص59.

(3) ــ معجم حروف المعاني، ج2، ص856.

(4) ــ المفردات، ص240.

فذهب بعضهم إلى أنّ هذا السّلام؛ سلام تحيّةً لكنّه إخبار من الله تعالى لصاحب اليمين من إخوانه، أي: يسلّمون عليك. [1]

قال أبو السعود: « إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض، كما يُفصح عنه اللام؛ لا حكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض، وإلا لقيل: عليك. » [2]

ومنهم من عدّه من السّلامة، أي: سلامة لك من أمر خاف قلبك منه، أو سُلّمت من عذاب الله، ومما تكره، لأنّك من أصحاب اليمين [3]، قال ابن عطيّة: « جملة مدح، وصفة تخلّص، وحصول في عالٍ من المراتب ليس في أمرهم إلا السّلام والنّجاة من العذاب، وهذا كما تقول في مدح رجل: أما فلان فناهيك به أو: فحسبك أمره، فهذا يقتضي جملة غير مفضّلة من مدحه » [4]، ومنهم من حكى الوجهين دون ترجيح بينهما. [5]

لكن ما مدى مناسبة كونه سلام تحيّة أو نجاة وسلامة؛ لما نريده من سرّ العدول إلى حرف "اللام" ؟

أقول: إنّ السّلام المركّب مع "على" في جلّ مواضعه القرآنية دالّ على سلام التحيّة [6]، وأنّ سرّ تَعْدية سلام التحيّة بـــ"على" رهين بمعرفة معنى "سلَّمْتُ" فإذا عُرف معناها عُرف أنّ حرف "على" أَلْيق به، لذلك بيّن ابن القيّم أنّ"سلّمتُ عليه" هي جملة طلبية، وليس موضوعها معاني مفردة، فقولك: "سلّمت" موضوعه: قلت: "السّلام عليك"، وهذا نظير "سبّحتُ الله" إذا قلت: "سبحان الله"و "بسْملتُ" إذا قلت: "بسم الله" فإذا ثبت هذا؛ فقولك: "سلَّمتُ عليه"، أي: ألْقيتُ عليه هذا اللّفظ وأوقعته عليه إيذانا باشتمال معناه عليه كاشتمال لباسه عليه، فكان حرف "على" أَلْيق الحروف به فتأمّله. [7]

---

(1) ــ الكشاف، ج4، ص469، وانظر: البحر المديد، ج7، ص306.

(2) ــ تفسير أبي السعود، ج8، ص202.

(3) ــ ينظر: جامع البيان، ج23، ص163، ومفاتيح الغيب، ج29، ص176.

(4) ــ المحرر الوجيز، ج5، ص254.

(5) ــ ينظر: البحر المحيط، ج8، ص215، والتحرير والتنوير، ج27، ص348، وتفسير السعدي، ص836.

(6) ــ ينظر لهذا مثلا: [الأنعام: 54]، و[الأعراف: 46]، و[الرعد: 24]، و[النحل: 32]، و[مريم: 47]، و[الصافات: 120]...

(7) ــ ينظر: بدائع الفوائد، ج2، ص619.

فإذا اتّضح هذا؛ فكيف يعدل النّظم الحكيم عن حرف "على" ليأتي بحرف "اللام"، وهو أفصح البيان ؟

ويجيب ابن القيّم معتمدا السّياق في استجلاء المعنى: « وأمّا قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة: 91-92]، فليس هذا بسلامُ تحيّة، ولو كان تحيّة لقال "فسلامٌ عليه"، كما قال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: 109] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ ﴾ [الصّافات: 79] ولكن الآية تضمّنت ذكر مراتب النّاس وأقسامهم عند القيامة الصّغرى حال القدوم على الله، فذكر أنّهم ثلاثة أقسام: مقرّب له الرّوْح والرّيحان وجنّة النّعيم، ومقتصد من أصحاب اليمين له السّلامة؛ فوعَدَه بالسّلامة ووعد المقرّب بالغنيمة والفوز وإن كان كلّ منهما سالماً غانماً. وظالمٌ بتكذيبه وضلاله فأوعده بنُزُل من حميم وتَصْلية جحيم فلمّا لم يكن المقامُ مقامَ تحيّة، وإنّما هو مقامُ إخبار عن حالِه ذَكَرَ ما يحصُل له من السّلامة. »[1]

لما كان السّياق واردا في الرّاحل عن الدّنيا حال كونه من أصحاب اليمين؛ وإخبارٍ عن العاقبة أسَلامة أم هلاك؟ بُشِّر صاحب اليمين بالسّلامة الحاصلة له من كلّ مكروه عند قدومه على ربّه ﷻ قال ابن القيّم عن مناسبة اللام للآية: « فأعلم أنّ المدعو به من الخير والشرّ مضاف إلى صاحبه بلام الإضافة الدّالة على حصوله له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ [الرّعد: 25]، ولم يقل: "عليهم اللّعنة" إيذانا بحصول معناها وثبوته لهم، وكذلك قوله: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 18]، ويقول في ضدّ هذا: لك الرّحمة، ولك التّحية ولك السّلام، ومنه هذه الآية: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ ﴾ أي: ثَبَتَ لك السَّلام وحَصَل لك. »[2]

فكلّ هذا يبيّن أنّ معرفة سرّ ارتباط الفِعل أو المصدر بالحرف يعين على معرفة معناهما، فإذا كان التّسليم مع "على" جملة طلبية؛ فإنّه لما تغيّر السّياق القرآني عُدل بالحرف إلى"اللام" وتغيّر معنى السّلام إلى الثّبوت والتّحقّق والحصول. والله أعلم.

(1) ــ ينظر: بدائع الفوائد، ج2، ص619-620.

(2) ــ بدائع الفوائد، ج2، ص620-621.

❖ **العدول إلى حرف الجرّ "من"**

الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "من"

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَٰنًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا [الشورى: 44-45]

عدل النّظم الحكيم عن حرف الباء في قوله: ﴿ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا ﴾ إلى حرف الجرّ "مِن"، فما النّكتة ؟

ذهب ثلّة من علماء العربية إلى أنّ "مِن" في قوله تعالى: ﴿ يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا ﴾ بمعنى الباء أي: بطرف خفيّ. (1)

وذكر المرادي أنّ الأخفش نقل عن يونس أنّ المعنى: ينظرون بطرف خفيّ، كما تقول العرب: ضربته من السّيف، أي بالسّيف، لكنّه احتمل أن تكون لابتداء الغاية. (2)

وقيل إنّهم يحشَرون عمياً لذلك وُصف النّظر بالخفيّ، فهم نظروا إلى النّار بقلوبهم، وَلم يروها بأعينهم لأنهم يحشرون عمياً. (3)، لكن هذا التأويل فيه تكلّف كما رأى بذلك الزمخشري وابن عطية. (4)

وقيل: لما كان نَظَرهم ضعيفا، ولحظهم بمهانة، وَصَفه بالخفاء، ومنه قول الشّاعر:

فَغُضّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ... (5)

لكن بالنّظر إلى السّياق وإيثاره لحرف الجرّ "من" عن الباء لا يمكن القول بتناوب الحرفين، لأنّه لا بدّ أن يكون للعدول إلى حرف الابتداء مغزى؛ قد يخفى على الكثير لدقّته ولطف مأخذه.

---

(1) ــ ينظر: الجنى الداني، ص314، ومغني اللبيب، ص423، والبرهان، ج4، ص420، وهمع الهوامع، ج2، ص378.

(2) ــ ينظر: الجنى الداني، ص314.

(3) ــ معاني القرآن، الفراء، ج3، ص26.

(4) ــ ينظر: الكشاف، ج4، ص235، والمحرر الوجيز، ج5، ص41.

(5) ــ ينظر: المحرر الوجيز، ج5، ص41، والبيت لجرير، وتتمّته: فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا. انظر: ديوان جرير، دار بيروت، ص63.

وعلى هذا بنى الزمخشري تصوّره للمعنى؛ وفقا لمقتضيات سياق الذلّ والمهانة، فقال: « أي: يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفيّ بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السّيف وهكذا نَظرُ النّاظِر إلى المكاره؛ لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها، ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحابّ. » (1)

أمّا أبو عبيدة، فاعتبر "مِن" هنا للتبعيض، أي: « لا يفتح عينه، إنما ينظر ببعضها. » (2)

وعلى هذا فمعنى الآية أنّهم « يُسارقون النّظر لما كانوا فيه من الهمّ وسوء الحال، لا يستطيعون النّظر بجميع العين، وإنما ينْظُرون من بعضها. » (3)

وهذا ما ذهب إليه السّامرائي بقوله: « ويترجّح عندي أنّها للتبعيض، أي: يَنْظُرون ببعض طرفهم وهو المناسب لمشهد الذلّ الذي هم فيه، ومثله في حياتنا اليومية أن يغضب أبٌ على ابنه في فعله، فينهَرُه ويُغلظ عليه، والابن لا يستطيع مواجهة أبيه من كلّ طرفه، بل ينظر إليه ببعض طرفه. » (4)

وظاهر الصّواب هو قول الزمخشري في كون "مِن" للابتداء (5)، والمعنى أنّهم « يَنْظرون نظراً مُنبعثاً من حَركة الجِفن الخفيّة. » (6)

فالسّياق القرآني لم يُرد أن يُثبت لهم مجرّد النّظر إلى العذاب، وإلا لكان حرف الباء ألْيق به لكن لما جاء السّياق في فضح شأن الظالمين حال عرضهم على النّار؛ أشدّ ما يكون خشوعا من الذّل والصَّغار فجاءت "مِن" لتبيّن ابتداءَ تحريك أجفانهم تحريكا خفيّا؛ تسترق خلاله النّظر؛ وهو إليها بغيض، ولأنّ ابتداء النّظر أبلغ في اتّضاح حالهم وسوء مآلهم؛ كانت "إلى" أبلغ من الباء في هذا السّياق.

---

(1) ــ الكشاف، ج4، ص235، وانظر: مفاتيح الغيب، ج27، ص156.

(2) ــ مجاز القرآن، ج2، ص201.

(3) ــ المحرر الوجيز، ج5، ص41، وانظر: البحر المحيط، ج7، ص501، والبرهان، ج4، ص420.

(4) ــ معاني النحو، ج3، ص70.

(5) ــ ينظر: مغني اللبيب، ص423، ونظم الدرر، ج6، ص644، وتفسير أبي السعود، ج8، ص35.

(6) ــ التحرير والتنوير، ج25، ص128.

الصورة الثانية: العدول عن "على" إلى "من"

المقطع الأول: قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 66 - 77]

ذهب أكثر النّحاة واللّغويين إلى أنّ "مِن" في قوله: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ بمعنى "على"، أي: على القوم. (1)

فهل يمكن التفريق بين "نَصَر مِن" و"نَصَر على" أم هما سواء في المعنى ؟

قال الزمخشري عن فعل "نَصَرَ": ((هو "نصر" الذي مطاوعه "انتصر"، وسمعت هذليّا يدعو على سارق: اللّهم انصرهم منه أي: اجعلهم منتصرين منه.)) (2)

ومنهم من ذهب إلى تضمين "نصر" فعلا يتعدّى بـــ"مِن" كالمنع والحماية لتصحيح وجه التعدية، قال ابن عاشور: ((وعدّي "نصرناه" بحرف "مِن" لتضمينه معنى المنع والحماية، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ [المؤمنون: 65]، وهو أبلغ من تعديته بـــ"على"، لأنّه يدلّ على نصر قويّ تحصل به المَنعَةُ والحماية فلا يناله العدوّ بشيء، وأمّا "نَصَره عليه" فلا يدلّ إلا على المدافعة والمعونة.)) (3)

لكن الأَولى هو إبقاء كلّ حرف على معناه ولا يدلّ على معنى حرف آخر، وكذا الفعل، قال السّامرائي مفرّقا بين الصيغتين: ((فقد ذهب قوم إلى أنّ "مِن" هنا بمعنى "على"، وهذا فيه نَظَر فإنّ هناك فرقا في المعنى بين قولك: "نصره منه" و"نصره عليه" فالنّصر عليه يعني التمكّن منه والاستعلاء عليه والغَلَبة، قال تعالى: ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: 14]، وقال: ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 286]، أي: مكّنا منهم، وليس هذا معنى "نصره منه"، أمّا "نصرناه منهم" فإنّه بمعنى نجّيناه منهم، أو منعناه منهم، قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ

(1) ــ ينظر: حروف المعاني، ص50، والأزهية، ص282، والجنى الداني، ص313، ومغني اللبيب، ص424.

(2) ــ الكشاف، ج3، ص128.

(3) ــ التحرير والتنوير، ج17، ص113.

﴿ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ [هود: 30]، فليس المعنى من ينصرني على الله، بل مَن ينجيني ويمنعني منه. » (1)

كما نَقل ابن منظور عن ابن برّي قوله: « يقال نصرتُه مِنْ فلان، أي: مَنَعْتُه منه، لأَنّ النّاصر لكَ مانعُ عدوّك، فلمّا كان نَصرتُه بمعنى مَنَعْتُه، جاز أَن يتعدّى بـــ"مِن" » (2)

وبالتالي فإنّ الدّلالة اللّغوية للفعل تختلف باختلاف تعديته بحرف الجر؛ فيتعيّن المعنى بتعيّن الحرف المناسب للسّياق الوارد فيه، فإذا جاء في سياق النّصر المقتضي للتخلّص والمنع، عدّي بـــ"مِن"، وإذا جاء في سياق النّصر المقتضي للغلَبة، عدّي بـــ"على"، كما نُقل هذا عن العزّ بن عبد السّلام (3)، لأنّ حروف الجرّ تثير المعاني الكامنة في الأفعال.

وإذا ما نظرنا في سياق الآية الأُولى التي قال قبلها: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأنبياء: 6]، والكرْب هو أقصى الغمّ والأخذ بالنّفس ووصَفَه بالعظيم، وقصد به هنا الغرق بالطّوفان الذي تتلاطم أمواجه كأنّها الجبال العظام (4) وقال بعدها: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء: 77]، فإنّنا لا نتردّد في القول أنّ "مِن" جاءت في سّياق النّصر المقتضي للتخلّص منهم، وليس لغلَبتهم على يديه، وهذا ما يكشف عن سرّ البيان القرآني، ودقّته العظيمة في العدول إلى الألفاظ المناسبة لسياقها الملائم.

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [البقرة: 226-227].

الشّاهد في ﷻ: ﴿ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾، ففيه عدول عن حرف الجرّ "على" إلى حرف "مِن" لأنّ الفعل "آلى" لا يتعدّى بـــ"مِن" « والإيلاء مصدر "آليت على كذا"، إذا حلفتُ عليه بالله أو

(1) ــ معاني النحو، ج3، ص12.
(2) ــ لسان العرب: (منن)، ج7، ص1002.
(3) ــ ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني، ج2، ص383.
(4) ــ ينظر: أضواء البيان، ج4، ص169.

بغيره، من الطّلاق أو العتاق أو الحجّ أو نحو ذلك...» [1]، لذا كان "على" ألْيَق به في الظّاهر فلماذا عدل عنه السّياق القرآني. ؟

يرى الزمخشري أنّ سبب هذا العدول هو تضمين الفعل معنى البعد، فقال: « فإن قلتَ: كيف عُدِّي بـــ"مِن" وهو معدّى بـــ"على" قلتُ: قد ضمّن في هذا القَسَم المخصوص؛ معنى البُعد فكأنّه قيل: يبعدون من نسائهم مؤلين، أو مُقسِمين، ويجوز أن يراد لهم ﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾،كقوله: لي منك كذا. » [2]

وهذا ما ذهب إليه الرازي بقوله: « أمّا قوله: ﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ ففيه سؤال، وهو أنّه يقال: المتعارف أن يُقال: حلف فلان على كذا، أو آلى على كذا، فلِمَ أبدلت لفظة "على" ههنا بلفظة "مِنْ" ؟

والجواب من وجهين؛ الأوّل: أن يُراد لهم من نسائهم تربّص أربعة أشهر، كما يُقال: لي منك كذا والثاني: أنّه ضُمّن في هذا القَسَم معنى البُعد، فكأنّه قيل: يبعدون من نسائهم مولين أو مقسمين. » [3]

وتبعهم في هذا الرأي الطّاهر بن عاشور حيث ذهب إلى تضمين "آلى" معنى "بَعُد" لذلك عُدِّي بالحرف المناسب لفعل البُعد، فكأنّه قال: للذين يؤلون متباعدين مِن نسائهم. [4]

وقال ابن العربي: « وحمل "آلى" معنى اعتزل النّساء بالأليّة حتى ساغ لغةً أن يتّصل "آلى" بقولك "مِن"، ونظْمُه في الإطلاق أَن يتّصل بِآلى؛ قَولُك "على"، تقول العرب: اعْتَزَلْتُ مِن كذا، وعن كذا، وآليتُ وحلفْتُ على كذا، وكذلك عادة العرب أن تحمِل معاني الأفعال على الأفعال؛ لِمَا بينهما من الارتباط والاتّصال... » [5]

أمّا أبو حيان فقد ساق في هذا عدّة آراء؛ هي قوله: « ...وآلى لا يتعدّى بـــ"مِن"، فقيل: "مِن" بمعنى: على، وقيل: بمعنى "في" ويكون ذلك على حذف مضاف، أي: على تركِ وطْء نسائهم، أو في ترك وطْء نسائهم. وقيل: "مِن" زائدة، والتقدير: يؤلون أن يعتزلوا نساءهم، وقيل: يَتَعلّق

(1) ــ الكليات، ص330.
(2) ــ الكشاف، ج1، ص296.
(3) ــ مفاتيح الغيب، ج6، ص96.
(4) ــ التحرير والتنوير، ج2، ص385.
(5) ــ أحكام القرآن، ج1، ص243.

بمحذوف، والتقدير: للذين يُؤلُون من نسائهم تربّصُ أربعة أشهر، فتتعلّق بما تتعلّق به لهم المحذوف، قاله الزمخشري. » (1)

ثم ضعّف كلّ هذه الأقوال مبيّنا ـــ برأيه ـــ الصّواب في ذلك، فأردف « وهذا كلّه ضعيف يُترَّه القرآن عنه، وإنما يتعلّق بيؤلون على أحد وجهين: إمّا أن يكون: "مِن" للسّبب، أي: يحلفون بسبب نسائهم، وإمّا أن يُضمّن الإيلاء معنى الامتناع فيعدّى بـــ"مِن"، فكأنه قيل: للذين يمتنعون بالإيلاء من نسائهم... » (2)

وكلام أبي حيان يكشف لنا عن عدم قبوله لرأي التناوب، لضَعْف القول به، بل الواجب تنزيه القرآن عن القول بتناوب الحروف، لأنّه ضرب من العجمة، ووكْسٌ في البيان.

وهذا ما ذهب إليه ابن القيم إيضاحا لعملية العدول إلى حرف "مِن" دون "على" حيث عدّ هذا التركيب من عُرف خطاب الشَّرع، فقال: « الإيلاء لغةً: الامتناع باليمين، وخُصَّ في عُرف الشرع بالامتناعِ باليمينِ مِن وطْء الزّوجة، ولهذا عُدّي فعلُه بأداة "مِن" تضميناً له معنى "يمتنِعُون" من نسائهم، وهو أحسنُ من إقامة "مِن" مقام "على"... » (3)

وتيمّما إلى الغرض الذي سيقت له هذه الآية التي اكتنفها سلفاً الكلام عن النّكاح وآدابه وبعدها عن الطّلاق وآدابه، جاءت آية الإيلاء مع حرف الابتداء، دون الحرف المشهور، لتحمل معنى أدبيّ يُترجّى للزوجين معاً وهوـــ والله أعلم ـــ استدعاء الرّجوع، لأنّ الإيلاء ـــ غالباً ـــ فيه إضرار بالمرأة، كما نلمس من هذا التعبير مراعاة مقتضى المتطلّبات النّفسية للمرأة، وذلك أنها لا تستطيع الصّبر فوق أربعة أشهر، ولأنّ إبدال معنى "مِن" بمعنى "على" يوهِم بعَدَم الانتهاء وأنّ غرض الشارع يريد الطّلاق وبترَ علائق الأزواج؛ وهذا ما تتنزّه عنه مقاصد الشريعة الإسلامية لذا ـــ ووِفاقا مع هذا المقصد ـــ بدأ الله تعالى بالرّجوع قبل عزم الطّلاق، فقال: ﴿ **فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾** ﴾ [البقرة: 226-227].

*** تمّت بحمد الله تعالى الدّراسة التطبيقية ***

(1) ـ البحر المحيط، ج2، ص 192.

(2) ـ المصدر نفسه، ج2، ص 192، وانظر: مغني اللبيب، ص898- 899.

(3) ـ زاد المعاد، ج5، ص344.

خاتـــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبعد فهذه خاتمة هذا البحث الذي يدرس: عدول حروف المعاني الجارّة في السّياق القرآني وأثره البلاغي، وفيها نتائج مستخلصة، أوجز أهمّـــها فيما يأتي:

ـــ أَبْرزَ البحث مدى تأثير عدول حروف الجرّ في فهم معنى الآية، فكثيرا ما يتوقّف فهم الآية على تحديد أثر عدول حروف الجرّ في الدّلالة، كما أنّ الإخفاق في تحديد أثره، يولّد التقصير في الفهم ومنه الاستنباط المبني على هذا الفهم.

ـــ أنّ بعض البيانيين حال ذكرهم لبلاغة عدول حروف المعاني الجّارة، يكتفون بالأثر البلاغي للحرف الذي عَدل إليه النّظم، أمّا الحرف المعدول عنه فلا يُبرَر وجه عدم ملائمته لهذا السّياق لكن الأنسب ذكر الفرق بين الحرفين في السّياق نفسه، لأنّ الحرف الذي لا يناسب هذا السّياق قد يليق ومقام آخر.

ـــ يتجلّى للباحث في لغة القرآن خلال حروف المعاني الجّارة أثر السّياق القرآني في الكشف عن دلالات حروف الجرّ، وأنّه لا يمكن تحديد معانيها بمعزل عن سياقها وتركيبها المتكامل.

ـــ أنّ كثيرا من التراكيب التي تسارع النّحوي في الحكم عن شذوذها وتمحّل البلاغي في تخريجها جاءت في القرآن الكريم ـــ وَفق نظرية السّياق ـــ من ألطف طرق البلاغة، وأعزّ سبل البيان.

ـــ أفاد البحث أنّ حروف الجرّ في القرآن حين تأتي في تركيب نادر من حيث الاستعمال، أو حين تتعلّق بأفعال تقلّ وتَنْدر تعلّقها بها، فإنّها تحمِل معها لطائف بلاغية ولمسات بيانية يَكشف عنها السّياق القرآني وهذا لا يعني أنّ التراكيب الموافقة لشهرة الاستعمال عديمة من هذه المعاني.

ـــ أنّ القول بتناوب حروف الجرّ لا يتلاءم والبلاغة القرآنية الدّقيقة في اختيار الألفاظ وشدّة مطابقتها للمعاني؛ المناسبة للسّياق الواردة فيه، لأنّ كثيرا من الحروف التي أخرجوها عن معانيها ـــ بتفحّص السّياق ـــ نجد أنّها متمكّنة في مقامها؛ وهذا بَعد الفِكر والتدبّر، كما أنّ العدول إلى الحرف المذكور دون الآخَر يستدعي وجود خصيصة بيانية فُقِدت في الحرف الأوّل.

هذا ما يسّر الله تعالى بحثه وبسطه في هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن العليم الحكيم وما كان فيه من خلل فمني ومن زلل الشيطان، وأسأل الله جلّ وعلا أن يقيل عثرتي، وأن يعفو عن زلّتي، وأن يجعل هذا العمل خالصا له وحده، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلم.

ـــ وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ـــ

الفـــهارس العامـــة:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأعلام.

فهرس الشواهد الشعرية.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الـــمحتويات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيـــات القرآنية

الآيـــــــــــــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾	5	50-80-158
﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ﴾	14	136
﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ ﴾	19	76
﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾	51	122
﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ ﴾	74	43
﴿ وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ﴾	76	138
﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾	97	109
﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾	111	141
﴿ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ ﴾	111	141
﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾	112	141
﴿ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ ﴾	112	141
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾	115	73
﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾	138	80
﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ ﴾	148	74
﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ ﴾	171	67
﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ١٧٧ ﴾	177	159

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾	179	178
﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾	187	139-84
﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾	187	47
﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾	187	143
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾	189	33
﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	213	128
﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾	222	140
﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ ﴾	223	143
﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾	226 – 227	193-191
﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾	228	72
﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ ﴾	233	72
﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	255	42
﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾	271	69
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾	286	114
﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾	286	190
سورة آل عمران		
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾	7	71
﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾	7	71
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	7	71
﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	158

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾	31	14
﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	52	89-88
﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ.. ﴾	72	108
﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾	75	151-149
﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾	84	108
﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾	92	162
﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾	119	173
﴿ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾	130	144
﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ ﴾	133	171
﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾	147	67
﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾	159	32
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	164	122
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ... ﴾	175 – 176	171
سورة النساء		
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾	2	145-142
﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ... ﴾	5	133
﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾	6	144
﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾	8	135-133

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	11	115
﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	17	79
﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾	23	50
﴿ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم ﴾	102	110
﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾	103	101
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	105	108
سورة المائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ ﴾	6	46
﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾	6	145
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾	41	172
﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾	52	172
﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	68	108
﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾	89	14
﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾	105	42
سورة الأنـــعام		
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾	25	98-97
﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	9

﴿ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	35	176
﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾	39	123
﴿ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَا ﴾	104	115
﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ ﴾	108	50
﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾	135	80
﴿ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَا ﴾	164	115
سورة الأعراف		
﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	16-17	117
﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ﴾	38	51
﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ﴾	49	175
﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾	59	121
﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾	59-61	103
﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾	66	104
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	67	104
﴿ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ ﴾	138	184
﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾	143	100
﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾	189	140

﴿ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾	204	97
سورة الأنفال		
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	22	72
﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ... ﴾	32	154
سورة التوبة		
﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾	14	190
﴿ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾	25	123
﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	47	81
﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ ﴾	54	168
﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾	61	129
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾	104	169
﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ ﴾	109	81
﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾	128	42
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	-66-55 124
سورة يونس		
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا	12	100

عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾	22	29
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾	35	127
﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	61	73
﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾	83	130
سورة هود		
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	6	50
﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾	30	191
﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	37	81
﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾	40	180
سورة يوسف		
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾	17	129
﴿ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾	43	184
﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ ﴾	64	150
﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾	85	43
﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾	95	123
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ	100	147

وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾		
سورة الرعد		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾	25	187-48
﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ ﴾	30	121
سورة إبراهيم		
﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ ... ﴾	9	173
﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ ﴾	9	174
سورة الحجر		
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	10	122
﴿ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	39-40	157
﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾	41	157-49-159
سورة النحل		
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾	9	157-49-159-158
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	44	109
﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم	45-47	111

بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾		
﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾	48	118
﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	64	108
سورة الإسراء		
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾	1	106
﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾	3	106
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾	9	128
﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾	15	115
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾	46	97
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾	46 - 47	96
﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾	67	133
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾	85	152
﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ... ﴾	92- 93	175
﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾	100	17
﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟ ﴾	107	42

﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾	107	101
سورة الكهف		
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾	6	71
سورة مريم		
﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾	64-65	183-182
﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	71	22
﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾	84	99
سورة طـــــه		
﴿ هِىَ عَصَاىَ ﴾	18	19
﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾	39	81
﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾	40	133
﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	50	127
﴿ ...قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾	70-71	130
﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾	71	179
﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾	83-84	100 -98
﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾	114	98
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾	132	182

سورة الأنبياء		
﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾	6	191-190
﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	18	48
﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾	37	98
﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾	51-53	184
﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾	52	185
﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾	71	133
﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾	74	132
﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	66-77	190
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	77	191
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾	90	172
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾	101	115
سورة الحج		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾	11	81
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى	25	34

جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾	73	97
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	23	120
﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	32	120
﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	54	123
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾	61	172-171
﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾	62	165
﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾	65	190
﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾	117	32
سورة النور		
﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	31	79
﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾	35	128
سورة الفرقان		
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾	58-59	151
سورة الشعراء		
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟	69-71	185

﴿ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ ﴾		
﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ ﴾	219	112
سورة النمل		
﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾	87	34
﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ ﴾	79	158-50
سورة القصص		
﴿ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا ﴾	8	80
﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾	77	148
سورة العنكبوت		
﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ ﴾	26	130
﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾	51	109
سورة الروم		
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾	21	50
﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾	30	116
سورة لقمان		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾	5	160
﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ ﴾	22	140
﴿ ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾	22	142
﴿ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾	23	50

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	28	68
﴿ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	29	68
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ... ﴾	33	68
سورة الأحزاب		
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾	7	42
﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾	26	113
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾	50	14
﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾	50	14
﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾	53	152
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	70-71	67
سورة سبأ		
﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	3	73
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	123-54
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾	34	121
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾	44	121
سورة فاطر		
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾	10	42
﴿ ...وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ	13	69

فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾		
﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	24	138
سورة الصافات		
﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾	28	119-118
﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ ﴾	79	187-47
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾	91-93	110
﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾	109	187-47
سورة ص		
﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ﴾	24	143-89
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾	75	13
سورة الزمر		
﴿ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾	5	
﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ... ﴾	6-5	68
﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ ﴾	8	102
سورة غافر		

﴿ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾	80	42
سورة فصلت		
﴿ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾	45	123
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا ﴾	46	115
سورة الشورى		
﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾	11	
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	11	178-177
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	25	168
﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ ﴾	44-45	188
سورة الزخرف		
﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ ﴾	71	42
سورة الدخان		
﴿ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾	30	133
﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾	49	71
﴿ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾	54	51
﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾	55	154
سورة الجاثية		

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾	29	165
سورة الأحقاف		
﴿ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾	15-16	170
﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾	31	66
﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ.. ﴾	34-35	99
﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾	35	99
سورة الفتح		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾	4	113
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾	18	114-113
﴿ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾	24	149
سورة ق		
﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾	17	119-117
سورة الذاريات		
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	20	42
﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	73
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾	26	110
سورة النجم		
﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾	1-4	166-165
﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾	9	9

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾	31	158
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	39	116
سورة القمر		
﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾	14	81
سورة الواقعة		
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾	25-26	185
﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	61	178
﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾	90-91	185-187
سورة الحشر		
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾	1	42
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	9	162
سورة الممتحنة		
﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾	10	152
سورة الصف		
﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	12	67
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ.... يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	10-12	67
﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	14	139-144-145
﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾	14	145
سورة الملك		
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم﴾	16-17	73

﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ﴾		
سورة القلم		
﴿ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	95
﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾	48	183
سورة المعارج		
﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾	1	152
﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾	37	119
سورة نوح		
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾	4	67
﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴾	7	175
سورة الجن		
﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ ﴾	19	106
سورة المدثر		
﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾	7	183
سورة القيامة		
﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾	17	50
سورة الإنسان		
﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾	5- 6	105
﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾	5	107
﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾	8	160
﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾	8	162
سورة الانفطار		

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ ﴾	7	5
سورة المطففين		
﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ ﴾	2-1	162
سورة الانشقاق		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ ﴾	6	158
سورة الأعلى		
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾	3-2	128
سورة الغاشية		
﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾	-25 26	50-49
﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴾	25	158
سورة الفجر		
﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤ ﴾	14	157
سورة الليل		
﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ ﴾	12	158
سورة القدر		
﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾	5 -3	155
﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾	5	155-43
سورة البيّنة		
﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾	8	42
سورة التين		
﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ ﴾	3 -1	43
﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ﴾	4	43

سورة التكاثر		
﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾	8	153-42
سورة الماعون		
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾	5 -4	167
﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾	6	168
سورة النصر		
﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	1	70

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلـــــــم	الصـــفحة
إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (البقاعي)	102
إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (الشاطبي)	26
أحمد بن فارس (ابن فارس)	3
إسماعيل بن حمّاد (الجوهري)	4
أيّوب بن موسى الحسيني (أبو البقاء الكفوي)	7
جابر بن حني بن حارثة التغلبي	101
الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (الراغب)	51
الحسن بن عبد الله المرزبان (السيرافي)	45
حمد بن محمّد بن إبراهيم (الخطابي)	167
خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي	14
زهير بن أبي سلمى	160
صيفي بن عامر الأسْلت	161
طفيل بن عوف بن كعب	49
عبد الله بن المعتزّ بن المتوكّل بن المعتصم (ابن المعتزّ)	40
عبد الله بن يوسف بن أحمد (ابن هشام)	8
عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (السهيلي)	81
عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (السعدي)	63
عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم (العز بن عبد السلام)	74
عبد العظيم بن الواحد بن ظافر (ابن أبي الأصبع العدواني)	9
عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (الجرجاني)	24
عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع	4
علقمة بن عَبَدَة بن ناشرة بن قيس (علقمة الفحل)	152
علي بن محمد بن العباس التوحيدي (أبو حيان التوحيدي)	44

غيلان بن عقبة (ذو الرمّة)	3
محمد بن بهادر بن عبد الله (الزركشي)	7
محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر)	60
محمد بن السري البغدادي (ابن السراج)	91
محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين (ابن عثمين)	14
محمد الطاهر بن عاشور (ابن عاشور)	52
محمد بن عبد الرحمن بن عمر (القزويني)	25
محمّد بن عبد الله الاشبيلي المالكي (ابن العربي)	46
محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي	68
محمد بن علي بن شعيب (ابن الدهان)	13
محمد بن علي المالكي، تقي الدين أبو الفتح (ابن دقيق العيد)	58
محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ابن منظور)	3
محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (المبرد)	22
محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي (الفيروزأبادي)	4
محمد عبد العظيم الزرقاني	77
المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي	4
مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي	91
معمر بن المثنى التيمي البصري (أبو عبيدة)	28
نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح (ابن الأثير)	29
همام بن غالب بن صعصعة التميمي (الفرزدق)	137
يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني (العلوي)	40
يوسف السكاكي، أبو يعقوب (السكاكي)	19

فهرس الأبيات الشّعرية والمنظومات

البيـــــت	الصفحة
وَأَرْغَبُ فِيهَا مِنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِس لَسْتُ أَرْغَبُ	174
أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَان بِرَأسِهِ لَقدْ ذَلَّ مَنْ بالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ	149
مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السَّبيلِ عَلَيهِمُ، وصَرْفُ الْمَنَايَا بالرِّجَالِ تَشَقْلَبُ	49
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرُ بِأَدْوَاءِ النّسَاءِ طَبِيبُ	152
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُولَةٌ لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ	147-87
أَنْتَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي رَقْيَ الدَّرَج عَلَى الكَلالِ والمَشِيبِ والعَرَج	176
شَرِبْنَ بِمَاءِ البَــحْرِ، ثُمّ تَرفَّعتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ، لَهُــنّ نَئِيــجُ	105
وهُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ، فَلَا عَطَسَت شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا	180
مَن يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلَّاتِه هَرِماً يَلْقَ السَّمَاحَةَ فِيهِ وَالنَّدَى خُلُقاً	160
ولَو قُلْتِ طَأْ في النَّارِ أَعْلَمُ أنَّه رِضاً لَكِ أو مُدْنٍ لَنا مِنْ وِصَالِكِ	100
فَإِنْ يَكُ فِي مَنَاسِمِهَا رَجَاءٌ فَقَدْ لَقِيَتْ مَنَاسِمُهَا الْعِدَالَا	4
وإِنِّي لأُنْحِي الطَّرْفَ مِنْ نَحوِ غَيْرِهَا حَيَاءً وَلَوْ طَاوَعْتُهُ لَمْ يُعَادِلِ	3
فَلَمَّا أَنْ صَرَمْتُ، وَكَانَ أَمْرِي قَوِيماً لَا يَمِيلُ بِــهِ الْعُدُولُ	4
تَناوَلَهُ بِالرّمْحِ ثُمَّ انْثَنَى بِهِ فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ	101
وإِنَّ دَماً لَوْ تَعْلَمِينَ جَنَيْتُه عَلَى الحَيِّ جَانِي مِثْلِه غَيْرُ سَالِمِ	116
فَهُنَّ الْــمنَايَا أَيُّ وادٍ سَلَكْتُهُ عَلَيْهَا طَرِيقِي أَوْ عَلَيَّ طَرِيقُهَا	49
هلْ أَبْذُلُ المالَ على حُبِّـــهِ فِيكُمْ، وآتِي دَعْوَةَ الــدَّاعي	162
كَيْفَ تَرَانِي قَالِباً مِجَنِّي فَقَدْ قَتَــلَ اللهُ زِيَاداً عَنِّي	137
النــّظم	
بالظّاهِرِ اخْصُصْ مُنْذُ، مُذْ، وَحَتَّى وَالْكَاف، والْوَاو، ورُبَّ، والتَــا	41
مُذْ، مُنذُ، رُبّ، اللّامُ، كَيْ، واوٌ، وتا والكَافُ، والبَــا، و لَعَلَّ، ومَتَــى	37
هَاكَ حُرُوفَ الجَرِّ وهِيَ: مِنْ، إِلَى حَتَّى، خَلا، حَاشَا، عَدَا، فِي، عَنْ، عَلَى	37

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.**

- ابن القيم اللّغوي، أحمد ماهر البقري، مؤسسة شهاب الجامعة الإسكندرية، 1409هـ-1989م.

- ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ط1، 1402هـ- 1982م.

- الإبلاغية في البلاغة العربية، سَمير أبو حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت، لبنان، ط1 1991م.

- الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي، شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السّيوطي، مطبعة حجازي، القاهرة، (د ط).

- الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، أبو السعود حسنين الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية ط1، 1989م.

- الأزهية في علم الحروف، الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1413هـ- 1993م.

- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3.

- الأُسلوبية والبيان العربي، محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد السعدي فرهود، وعبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1412هـ- 1992م.

- الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ- 1991م.

- الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة 1420هـ - 2000م.

- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1408 هـ - 1988م.

- الأعلام، (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

- الإعجاز الصرفي في القرآن، عبد الحميد أحمد هنداوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429هـ- 2008م.

- الإمام في بيان أدلة الأحكام، العزّ بن عبد السّلام، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1407هـ- 1987م.
- أمالي ابن الشّجري، هبة الله ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة ط1، 1413هـ.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ- 2003م.
- الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2002م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م.
- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1399هـ- 1979م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط).
- أحكام القرآن، ابن العربي؛ أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ- 2003م.
- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى، ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط1، 1426هـ- 2005م.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963م
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ- 1998م.
- أسرار النحو، ابن كمال باشا، تحقيق: أحمد حسن حامد، دار الفكر، ط2، 1422هـ- 2002م.
- أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، حسن طبل، دار الكتب، 1990م، (د ط).
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان النّورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط1 1409هـ - 1989م.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1995م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ - 1973م.
- إعراب القرآن؛ المنسوب للزجاج، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د ط).
- إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ابن القيم، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.
- أعيان العصر وأعوان النصر، خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم محمد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1418هـ- 1998م.
- ألفية ابن مالك في النحو والصرف، محمد بن عبد الله بن مالك، دار الإمام مالك، الجزائر 1430هـ - 2009م.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.
- البحر المديد، أحمد بن محمد الحسني الإدريسي الشاذلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1423هـ - 2002م.
- بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، جدّة، (د ط).
- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع، تحقيق: حنفي محمد شرف، (د ط)، (د ت).
- البديع، ابن المعتز، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1402هـ- 1982م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، لبنان، (د ط).
- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ط)، 1991م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ط2 1427هـ- 2006م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ- 1996م.

- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط).
- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، دار نوبار، القاهرة، ط1، 1994م.
- البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2007م.
- بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
- بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ط1، 1392هـ.
- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1420هـ- 2000م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط4.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1414هـ- 1994م.
- التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1 1426هـ - 2005م.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ -1973م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث، القاهرة، (د ط).
- التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م
- تخريج الفروع على الأصول، شهاب الدين محمود الزنجاني، تحقيق: محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1420 هـ - 1999م
- التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، ط2، 1422هـ- 2002م.
- تعدد المعنى في القرآن، ألفة يوسف، دار سحر للنشر، كلية الآداب، تونس، ط2.

- التعليل النحوي في الدرس اللغوي، خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، دار المسيرة، عمان، ط1 1427هـ - 2007م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، محمد بن محمد العمادي أبو السعود دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط).
- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلّا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، 1420هـ-1999م.
- تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة، أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان، تحقيق: صالح بن ناصر بن صالح الخزيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1422 هـ-2001م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- جلاء الأفهام في فضل الصّلاة والسّلام على محمّد خير الأنام، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1419هـ- 1998م.
- الجمع بين الصّحيحين، محمد الحميدي، ت: علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1423هـ - 2002م.
- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 هـ- 1992م.
- جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم البريدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1426هـ- 2005م.

- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.
- حروف الجرّ في العربية بين المصطلح والوظيفة، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، 2006م.
- حروف المعاني، الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الأردن، ط2، 1406هـ - 1986م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت ط1، 1987م.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ - 1996م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، (د ط).
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، (د ط).
- درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، تحقيق: محمد مصطفي آيدين، جامعة أم القرى، ط1، 1422هـ -2001م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط2، 1992م.
- دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، ط1، 1424هـ.
- دور الحرف في أداء معنى الجملة، الصادق خليفة راشد، دار الكتب الوطنية، بنغازي، (د ط) 1996م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، (د ط).
- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 1406هـ- 1986م.
- ديوان زهير ابن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1402هـ-1982م.

- ديوان عدي بن الرقاع العاملي، جمع: حسن محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ- 1990م.
- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1990م، (القسم الأول: شعر أبي ذؤيب، وساعدة بن جؤية).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ط).
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ- 1992م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط14، 1407هـ- 1986م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413 هـ- 1993م.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي، تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، ط2، 1996م.
- شرح المفصّل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، (د ط).
- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: محمود بن الجميل؛ و خالد بن محمد، مكتبة الصّفا، القاهرة، ط1، 1423هـ- 2002م.
- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1411هـ- 1990م.
- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ- 1993م.
- الصّحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، القاهرة، 1376 هـ- 1956م.
- الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـ- 1998م.
- الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي، دار الكتب الخديوية، مصر، 1914م.

- عروس الأفراح ضمن شروح التّلخيص، السّبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط).
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ-1998م.
- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة، القاهرة، (د ط).
- العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5.
- العوامل المائة النّحوية في أصول علم العربية، عبد القاهر الجرجاني، شرح: خالد الأزهري الجرجاوي تحقيق: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2.
- الفتاوى الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ -1987م.
- الفروسية، ابن القيم، تحقيق: مشهور بن حسن، دار الأندلس، السّعودية، ط1، 1414هـ-1393م.
- في نقد النحو العربي، صابر بكر أبو السعود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د ط)، 1988م.
- القاعدة النحوية تحليل ونقد، محمود حسن الجاسم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـ-2007م
- القاعدة النحوية دراسة تحليلية نقدية، أحمد عبد العظيم عبد الغني، دار الثقافة، القاهرة، 1410هـ- 1990م.
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار الكتاب العربي، (د ط).
- القرآن الكريم وتفاعل المعاني، محمّد محمّد داوود، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1423هـ -2002م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402هـ-1982م.
- كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام للبزدوي، عبد العزيز البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.
- الكشاف، الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط).

- الكلّيات، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ - 1993م.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1 1426هـ - 2005م.
- اللّغة معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، طبعة 1994م.
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ- 2000م
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، و بدوي بطانة، دار نهضة، مصر، ط2.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنّى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط).
- مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ- 2005م.
- مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ- 1993م.
- مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1423هـ- 2002م.
- مدارج السّالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1422هـ- 2001م.
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م.
- مفتاح العلوم السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ط2، 1987م.
- الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ - 1997م.
- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف، (د ط).

- معاني النّحو، فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ط2، 1423هـ- 2003م.
- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1417هـ - 1996م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط).
- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د ط)، 1399هـ- 1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985م.
- المفردات في غريب القرآن، الرّاغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (د ط).
- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح خلف الربيعي، جامعة أم القرى، 1416هـ - 1996م.
- المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ط3، 1415هـ- 1994م، ج1. ج4، ط2، 1399هـ- 1979م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، (د ط).
- من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، عبد الحكيم راضي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006م.
- من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1424هـ- 2003م.
- نتائج الفكر في النحو، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ- 1992م.
- النحو القرآني قواعد وشواهد، جميل أحمد ظفر، مكة المكرمة، ط2، 1418هـ، 1998م.
- نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط).

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ- 1995م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ- 1998م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1971م.

❁ ❁ ❁

الرسائل الجامعية

- أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه، سارة عبد الله الخالدي، (ماجستير)، الجامعة الأمريكية في بيروت، 2006م.
- أثر دلالات حروف المعاني الجارّة في التفسير، علي بن مناور بن ردة الجهني، (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى، 1428هـ-2007م
- أثر الدّلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، مشرف بن أحمد الزهراني، (دكتوراه)، جامعة أم القرى، 1427هـ.
- دلالة السّياق القرآني في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، أحمد لافي فلاح بطي المحية المطيري (رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، 2007م.
- دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصّة موسى، فهد الشتوي، (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى، 2005م.
- السّياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود محمود، (دكتوراه)، الجامعة الأردنية 2005م.
- علم المعاني في التّفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية، فايزة سالم صالح يحيى أحمد (دكتواره)، جامعة أمّ القرى، 1996 م.
- المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية، صالح بن عبد الله الشتري، (دكتوراه)، جامعة أمّ القرى 1421هـ- 2001م.
- مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الأفعال ومواقعها في القرآن الكريم، ظافر العمري، جامعة أمّ القرى، (دكتوراه)، 1434هـ- 2004م.

❁ ❁ ❁

المجـــلات

- التنوع في أساليب القرآن الكريم، عبود شلتاغ، مجلة كلّية الدّعوة الإسلامية، العدد 10، 1993م.
- ظاهرة التقارض النحوي في القرآن الكريم، سوزان عبد الجبار، مجلّة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية العدد3، 2009م.
- العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، إبراهيم بن منصور التركي، مجلّة جامعة أمّ القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد40، ربيع الأول، 1428هـــ.
- فاعلية المعنى النّحوي الدلالي، فايز صبحي عبد السّلام، مجلّة كلية الدّعوة، العدد21، 2004م.
- من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم، يوسف بن عبد الله الأنصاري، مجلّة جامعة أمّ القرى العدد27، 1424هـــ.
- النّحو بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، محمد عبد المطلب، مجلّة فصول، العدد1، 1984م.

فهرس المحتويات

مقدمة..... أ
القسم الأول: الدراسة النظرية..... 1
الفصل الأول: ظاهرة العدول وحروف الجرّ..... 2
المبحث الأول: العدول مصطلحا..... 3
المطلب الأول: تعريف العدول لغة..... 3
المطلب الثاني: تعريف العدول اصطلاحا..... 6
المطلب الثالث: العدول وأصل المعنى..... 16
المبحث الثاني: ظاهرة العدول في البحث البلاغي..... 24
المطلب الأول: العدول ونظرية النظم البلاغي..... 24
المطلب الثاني: العدول وظواهر الأسلوب الأخرى..... 28
أوّلا: أسلوب الالتفات..... 28
ثانيا: وضع الظّاهر موضع الضّمير، ووضع الضّمير موضع الظاهر..... 31
ثالثا: الأسلوب الحكيم..... 32
رابعا: الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المستقبل، وبالعكس..... 33
المطلب الثالث: العدول وعلم الأسلوب الحديث..... 35
المبحث الثالث: حروف الجرّ وعدولها في القرآن..... 37
المطلب الأول: حروف الجرّ، مُسمّياتها، وأنواعها..... 37
أ ــ حروف الجرّ..... 37
ب ــ مسمّيات حروف الجرّ..... 41
ج ــ أنواع حروف الجرّ..... 41
ــ الحروف المختصّة بجرّ الظاهر والمضمر..... 42
ــ الحروف المختصّة بجرّ الظاهر فقط..... 43
المطلب الثاني: أثر حروف الجرّ في تحديد معاني القرآن..... 44
المطلب الثالث: أثر حروف الجرّ في إبراز بلاغة القرآن..... 49
المثال الأول:..... 49

المثال الثاني:..... 50
المثال الثالث:..... 51
المطلب الرابع: تجليّات ظاهرة عدول حروف الجرّ في القرآن..... 53
الفصل الثاني: السياق القرآني وأثره في معاني حروف الجرّ..... 57
المبحث الأول: السّياق القرآني تعريفه، أركانه، وأنواعه..... 58
المطلب الأول:تعريف السّياق القرآني..... 58
أ ــ تعريف السّياق لغة..... 58
ب ــ تعريف السّياق اصطلاحا..... 58
المطلب الثاني: أركان السّياق القرآني..... 61
الركن الأول: معرفة الغرض من الكلام وحال المتكلّم..... 61
الركن الثاني: معرفة حال السّامع والمتكلّم عنه..... 62
الركن الثالث: النّظم القرآني؛ "ألفاظ الخطاب ودلالات التّركيب"..... 63
المطلب الثالث: نوعا السّياق القرآني..... 65
النوع الأول: السّياق القرآني العام (سياق السّورة)..... 65
النوع الثاني: السّياق القرآني الخاص (سياق الآيــة)..... 68
المبحث الثاني: أهمية السّياق القرآني، وعناية العلماء به..... 70
المطلب الأول: أهمية السّياق القرآني..... 70
ــ السّياق القرآني من أركان الإعجاز البياني للقرآن الكريم..... 70
ــ أنّ السّياق أصل معتبر في التّفسير عند العلماء..... 70
ــ أثر السّياق القرآني في ترجيح وجه دلالي لحروف المعاني..... 71
ــ أثر السّياق في الترجيح بين المعاني..... 72
ــ أهمية السّياق في إبراز معاني حروف الجرّ..... 72
ــ يعين السّياق على بيان سبب الإفراد والجمع..... 72
ــ أثر السّياق في بيان المجمل..... 73
المطلب الثاني: عناية العلماء بالسّياق..... 74
المبحث الثالث: أثر السّياق في إبراز معاني حروف الجرّ..... 78

المبحث الرابع: حروف الجرّ بين التناوب والتضمين..... 83
القسم الثاني: الدراسة التطبيقية..... 93
تمهيد..... 94
النمط الأول للعدول..... 96
العدول إلى حرف الجرّ "إلى"..... 96
الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "إلى"..... 96
الصورة الثانية: العدول عن "عن" إلى "إلى"..... 98
الصورة الثالثة: العدول عن "اللام" إلى "إلى"..... 100
العدول إلى حرف الجرّ "الباء"..... 103
الصورة الأولى: العدول عن "في" إلى "الباء"..... 103
الصورة الثانية: العدول عن "من" إلى "الباء"..... 105
العدول إلى حرف الجرّ "على"..... 108
الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "على"..... 108
المقطع الأوّل..... 108
المقطع الثاني 110
الصورة الثانية: العدول عن "في" إلى "على"..... 111
المقطع الأوّل..... 111
المقطع الثاني..... 113
الصورة الثالثة: العدول عن "اللام" إلى "على"..... 114
العدول إلى حرف الجرّ "عن"..... 117
الصورة الأولى: العدول عن "من" إلى "عن"..... 117
العدول إلى حرف الجرّ "في"..... 120
الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "في"..... 120
الصورة الثانية: العدول عن "على" إلى "في"..... 122
الصورة الثالثة: العدول عن "اللام" إلى "في"..... 124
العدول إلى حرف الجرّ "اللام".....127

الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "اللام"..... 127
الصورة الثانية: العدول عن "الباء" إلى "اللام"..... 129
العدول إلى حرف الجرّ "من"..... 132
الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "من"..... 132
الصورة الثانية: العدول عن "في" إلى "من"..... 133
النمط الثاني للعدول..... 136
العدول إلى حرف الجرّ "إلى"..... 136
الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "إلى"..... 136
المقطع الأوّل..... 136
المقطع الثاني..... 139
الصورة الثانية: العدول عن اللام إلى "إلى"..... 140
الصورة الثالثة: العدول عن "مع" إلى "إلى"..... 142
المقطع الأوّل..... 142
المقطع الثاني..... 144
العدول إلى حرف الجرّ "الباء"..... 147
الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "الباء"..... 147
الصورة الثانية: العدول عن "على" إلى "الباء"..... 149
الصورة الثالثة: العدول عن "عن" إلى "الباء"..... 151
العدول إلى حرف الجرّ "حتى"..... 155
العدول عن "إلى" إلى "حتى"..... 155
العدول إلى حرف الجرّ "على"..... 157
الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "على"..... 157
الصورة الثانية: العدول عن "مع" إلى "على"..... 160
الصورة الثالثة: العدول عن "من" إلى "على"..... 162
العدول إلى حرف الجرّ "عن"..... 165
الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "عن"..... 165

الصورة الثانية: العدول عن "في" إلى "عن"..... 167
الصورة الثالثة: العدول عن "من" إلى "عن"..... 168
العدول إلى حرف الجرّ "في"..... 171
الصورة الأولى: العدول عن "إلى" إلى "في"..... 171
المقطع الأوّل..... 171
المقطع الثاني..... 173
المقطع الثالث..... 175
الصورة الثانية: العدول عن "الباء" إلى "في"..... 177
الصورة الثالثة: العدول عن "على" إلى "في"..... 179
العدول إلى حرف الجرّ "اللام"..... 182
الصورة الأولى: العدول عن "على" إلى "اللام"..... 182
المقطع الأوّل..... 182
المقطع الثاني..... 184
المقطع الثالث..... 185
العدول إلى حرف الجرّ "من"..... 188
الصورة الأولى: العدول عن "الباء" إلى "من"..... 188
الصورة الثانية: العدول عن "على" إلى "من"..... 190
المقطع الأوّل..... 190
المقطع الثاني..... 191
الخاتمة..... 194
ملخص البحث..... 195
الفهارس..... 198
فهرس الآيات..... 199
فهرس الأعلام المترجم لهم..... 220
فهرس الأبيات الشعرية..... 222
ثبت المصادر والمراجع..... 223
فهرس المحتويات..... 235

ملخّص البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخـــّص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أمّا بعد:

فهذا بحث بعنوان: عدول حروف المعاني الجارّة في السّياق القرآني وأثره البلاغي ـــ دراسة نظرية تطبيقية ـــ

تتحدّث هذه الرّسالة عن ظاهرة بيانية؛ وهي عدول حروف الجرّ في السّياق، والأثر البلاغي منه، ثمّ تطبيقها في القرآن الكريم.

وقد اشتَمَلت هذه الرّسالة على قِسمين، وخاتمة.

فالقسم الأوّل خُصّص للدّراسة النظرية، وقُسّم إلى فصْلين:

الفصل الأوّل: وتناول دراسة مصطلح العدول، ومكانته في الدرس البلاغي، كما درس حروف الجرّ وأثرها في معنى القرآن، وعدولها في القرآن.

أمّا الفصل الثاني فتناول للسّياق القرآني وأثره في معاني حروف الجرّ، كما درس ظاهرة التناوب والتضمين.

وبخصوص القسم الثاني فخُصّص للدّراسة التطبيقية، وتمثّلت في صور عدول حروف المعاني الجارّة في السّياق القرآني، وأثره البلاغي، ومجالها القرآن الكريم.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أهمّها:

- أبرز البحث مدى تأثير عدول حروف الجرّ في فهم معنى الآية.
- أن دلالات حروف الجرّ لا يمكن دراستها بمعزل عن السّياق والتركيب المتكامل.
- أنّ القول بتناوب حروف الجرّ لا يتلاءم والبلاغة القرآنية الدّقيقة في اختيار الألفاظ.

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon our Prophet Mohammad

The present study entitled: "reversing prepositions in quranic context theoretical applied study" deals with rhetorical figure which is the reverse of prepositions and the rhetorical effect resulting from it and then the examination of this figure in the Holy Quran.

The thesis is divided into two parts and a conclusion.

The part is intended to deal with theoretical quest and is divided into two chapters. The first chapter was devoted to elucidate the tem of rhetorical reverse its position in rhetoric in addition to prepositions and their effect in the meaning of the Holy Quran.

In the second chapter we have dealt with quranic context in its role in understanding the meaning of prepositions, it also dealt with the alternation and the implication.

The second part was purely practical and examined the images of the reversing prepositions in the quranic context its effect and domain in the Quran.

The main results benefited from this study are:

- The effect of the reverse of prepositions in understanding the meaning of verses is so important.
- The signification of prepositions cannot be conceived far from the context and the compound structures.
- Explaining the reverse by alternation of preposition doesn't go with accurate rhetoric of the Quran that selects the exact words.